

مجلة الدراسات الافريقية



١٩٧٢

العدد الأول

يصدرها معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



١٩٧٢

العدد الأول

يصدرها معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

رئيس التحرير : د . محمد السيد غلاب

المراسلات باسم : د . شوقي الجمل

٣٣ شارع المساحة بالدقى – القاهرة

مجلتنا هذه

هذا هو العدد الأول من المجلة العلمية التي يصدرها معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة ، والهدف من المجلة - كما يتضح من الأبحاث المنشورة هنا - علمي بحث ، هو نشر الأبحاث العلمية الجديدة التي يقوم بها المتخصصون من أساتذة المعهد وغيرهم والمتعلقة بالقارة الافريقية في مختلف المجالات .

فالمعهد في الحقيقة - ينظر الى هذه المجلة على أنها تكملة لرسالته العلمية ، فهو كمعهد متخص ي يهدف قبل كل شيء لتشجيع الدراسات المتعلقة بقارتنا العظيمة ثم نشر كل جديد يصل اليه البحث العلمي الدقيق عنها ، وتبادل هذه المعلومات مع المتخصصين الآخرين في هذا المجال سواء في المعاهد والجامعات الأخرى أو المؤسسات العلمية .

ونحن اذ نرحب بهذا التبادل الذي يخدم الهدف العلمي المشترك - نرجو أن تحقق الدراسات عن القارة الافريقية وكل ما يتعلق بها وبسكانها ونشاطهم وحضاراتهم التي أسهموا بها في رقى البشرية منذ أقدم اعصور تقدما مسطردا باستمرار .

وستصدر مجلتنا هذه - مؤقتا في عدد سنوي واحد في شهر يونيو ، وان كان الامل الذي نرجو أن يتحقق في القريب العاجل أن نستطيع اصدار عديدين في العام الواحد ، والله الموفق .

المحرر

المحتويات

الصفحة

القسم العربى :

- ١ - د . محمد السيد غلاب - عميد المعهد البحوث والدراسات الأفريقية
الدراسات الأفريقية ١
- ٢ - د . حسن عثمان
أفريقيا في جحيم داني ٩
- ٣ - د . سعد زغلول عبد ربه
الإستعمار البرتغالى في أنجولا - مرحلة الغزو (١٤٨٢ - ١٨٣٦) . . . ٤٧
- ٤ - د . السعيد إبراهيم البدوى
الوبوايون - دراسة أنثروبولوجية ٧١
- ٥ - د . سمير إبراهيم غبور
الطيور - كافات زراعية في أفريقيا ١٠١
- ٦ - السيد فوزى مكاوى
النشاط التجارى في مملكة مروي ١٢٥

القسم الفرنجى :

- ٧ - دكتور يوسف الجوهري
النشاط التجارى في البحر الأحمر خلال الأمبراطورية الرومانية (باللغة الإنجليزية) . ١
- ٨ - دكتور شوقى الجمل
وثيقة غير منشورة عن تاريخ الصراع الإنجليزي الفرنسى على السيادة
في أعالي النيل . (باللغة الإنجليزية) ٩
- ٩ - دكتورة حورية مجاهد
إمبراطوريات السودان الغربى - تحليل سياسى . (باللغة الإنجليزية) . ٢٣
- ١٠ - دكتورة سعاد شعبان
بحث ميداني أنثروبولوجي على قبائل البجا بالسودان (باللغة الألمانية) . ٤٣

الدراسات الإفريقية

AFRICAN STUDIES

The importance of African studies to Egypt cannot be exaggerated. Egypt is African by its position, its Nile, and its very soil. The founders of the Egyptian civilization were indigenous people who descended from the neighbouring plateaux when arid conditions prevailed in Northan African about 10,000 B.C. The Egyptians were always interested in the South ; they kept sending excursions, campaigns and missions up to the fourth cataract. The Nile in fact links the Mediterranean shores with the Equatorial Plateau. The flow of culture continued to sweep to eastern African through the Nile, where as the flow of water kept flooding the black earth of Egypt, year after year since millenia of years.

Feeling the need for systematic study of Africa, Cairo University founded the Institute of Sudanese studies in 1947. Eminent scholars such as the Late Prof. Awad and the Late Prof. Ghorbal prepared a team of reseachers in Geography and History. Some of the graduates of the Inst. are now professors of Geog. History and occupy key-posts in the country.

Lately the need arose to widen the scope of the Inst. and raise the standard of the reseachers as well. A new Institute was inaugurated in 1970 to replace the old one.

The new Institute is a research centre forming an independent unit of the Univ. of Cairo. It consists of six departments : Natural Resources, Geography, History, Anthropology, African Languages and Economic and Political Systems. The Student should be a University graduate with a «Good» level Degree. Students Attend a two years courses in African studies and prepare an M. A. or M. Sc. thesis in his third year. He can also proceed to Ph. D. research.

M. El-Sayed Ghallab

« من أفريقيا ياتي دائما شيء طريف »

«Ex Africa Semper a liquid nove»

[Pliny N. H. VII, 17].

ان أهمية الدراسات الأفريقية في وطننا الذي يخرس مدخل أفريقيا الشمالي الشرقي ، والذي تتكون تربته مما يحمله نهر النيل العظيم من فتات صخور هضبة الجبشة لا تحتاج الى بيان . فمصر أفريقية بحكم موقعها ، أفريقية بنيلها ، أفريقية بفيضاناتها . والمصريون أفريقيون زحفوا الى الوادي الذي يجري بالماء طول العام عندما عز المطر وجفت الأعشاب وذوت الأشجار في ربوع أفريقيا الشمالية منذ أكثر من سبعة أو ثمانية آلاف سنة فهدوا الى اكتشاف الزراعة واستئناس الحيوان ، وكان هذا الحيوان المستأنس أفريقي الأصل ، أما النبات المستأنس فكان شركة بين أفريقيا وجاراتها الشرقية ، جنوب غرب آسيا . فالمصريون اذن أفريقيون ، ولم يأتوا من مكان آخر والحضارة المصرية الأولى أصيلة في هذا المكان ولم تفد من مكان آخر رغم أن مصر فتحت أبوابها لمؤثرات آسيوية وأوروبية كثيرة على طول تاريخها الطويل . وهذا شأن الحضارات العريقة الحية شديدة الفعالية والتفاعل .

ولقد كانت مصر دائما يتجاذبها عاملان ، عامل يشدها نحو الشمال والشرق وعامل يبعدها مرة أخرى نحو الجنوب ، عامل آسيوى وعامل أفريقي ، وهى وان كانت جزء لا يتجزأ مما اصطلح على تسميته بجنوب غرب آسيا الا أنها تظل دائما أفريقية ، فمنبع حياتها يأتى من قلب أفريقية ومصدرها متصل بأمطار تأتي من جنوبى الأطلنطى مندفعة نحو مرتفعات الجبشة ، فان اشتدت ارتفع الفيضان وعم الرخاء وان وهنت انخفض الفيضان وساد البلاد غم وشدة . هذا النبض الذى سجلته قصة يوسف عليه السلام كان هو العامل الفاصل دائما في تاريخ البلاد ازدهارا وضعفا ، انتشارا وانكماشاً .

وكان اتجاه مصر الاقتصادى نحو الجنوب باستمرار ، ففي فترات الاستقرار والازدهار الاقتصادى أيام مصر الفرعونية كانت سفن مصر تتجه نحو الجنوب لتأتى منها بكل طريف ، وتسجل جدران معهد الدير البحرى بالأقصر الأشجار الأفريقية التى نقلت الى مصر وصور الطيور والحيوانات الأفريقية التى جلبت لها . كانت القوافل تتجه عبر الصحراء ومع النيل نحو الجنوب وأن

أول توسع مصرى لم يتجه نحو الشرق أو الغرب ، بل بحداء النيل نحو الجنوب
فيما سمي فيما بعد ببلاد النوبة .

فعلى ضفاف النيل حتى دنقلة قامت المدن المصرية ذات القلاع ، ثم القرى
المصرية الوادعة والهياكل والأهرامات وبذلك نما جزء من مصر فى النيل
الأوسط . أخرج فيما بعد عندما أغار الأشوريون عليها أسرة مصرية تطرد
المغيرين .

وعندما فكرت مصر فى مشاريع ضبط النيل كان اتجاهها نحو الجنوب ،
فأول مرة - وربما كانت هذه هى الحالة الوحيدة من نوعها فى العالم - ينشأ
مشروع هندسى لحجز المياه لصالح بلد من البلاد فى خارج حدودها فأقيم خزان
جبل الأولياء ثم السد العالى . واستطاعت مصر أن تحقق وحدة مائية حقيقية
مع السودان الشقيق عام ١٩٥٩ .

ان مصر التى أدخلت شعاع المدنية والحضارة الى قلب القارة منذ عصر بعيد
هى التى فتحت القارة للمدنية الحديثة فى القرن التاسع عشر ، وكانت أول دولة
حديثة تصل الى خط الاستواء . وهى التى حملت لواء التحرر ومحاربة
الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية ، وهى التى تمد يد العون الفنى والاقتصادى
لدولها المتحررة .

هذه بعض أضواء على العلاقات المصرية الأفريقية ، فلا غرو أن يكون لنا
اهتمام خاص بهذه القارة ، أرضها وشعوبها وثرواتها وسياستها واقتصادها ومن
ثم جاء التفكير الجاد نحو انشاء معهد متخصص فى الدراسات الأفريقية
فى القاهرة .

وقد بدأت فكرة دراسة أفريقيا عام ١٩٤٧ عندما أنشئ معهد الدراسات
السودانية تابعا لكلية الآداب وكانت مدة الدراسة فيه سنتين . ثم أصبح معهدا
مستقلا تابعا للجامعة مباشرة عام ١٩٥٠ وطورت فيه الدراسة فأصبحت ثلاث
سنوات . ثم ضم المعهد مرة أخرى لكلية الآداب عام ١٩٥٤ .

وقد قام المعهد فى سنى انشائه الأولى بفضل جهود نخبة من الأساتذة
الأجلاء نذكر منهم المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عوض محمد الذى أرسى

البدوى) ، ومدينة الخرطوم (د . سليمان خاطر) وكلها دراسات جديدة
نتيجة أبحاث ميدانية . وقدمت رسائل عديدة عن تاريخ السودان الحديث
ورسالة عن تاريخ المناطق المطلة على البحر الأحمر (د . شوقي الجمل) .

وكان اهتمام المعهد منصبا على جغرافية القارة وشعوبها وتاريخها ، كما
كانت الأبحاث ولا سيما لمرحلة الدكتوراه تتجه نحو السودان . وقدمت رسائل
جيدة عن كثير من أجزائه ، عن إقليم القاش (د . عبد العزيز كامل) وشرق
السودان (د . صلاح الشامي) وأرض الجزيرة (د . شريف محمد شريف)
والمديرية الاستوائية (د . عبد الغنى سعودي) ومنطقة جبال النوبة (د . سعيد
ومنطقة جبال النوبة (د . سعيد البدوى) ، ومدينة الخرطوم (د . سليمان
خاطر) وكلها دراسات جديدة نتيجة أبحاث ميدانية . وقدمت رسائل عديدة
عن تاريخ السودان الحديث ورسالة عن تاريخ المناطق المطلة على البحر الأحمر
(د . شوقي الجمل) .

ثم اتسع اهتمام الباحثين بعد ذلك فشمّل غرب أفريقية وشرقها حيث قدمت
رسالتان للدكتوراه في الجغرافيا السياسية الأولى (د . ياسين مراد والثانية
آجية يونان) . وقدمت رسالة أيضا عن أوغندا (د . محبات شرابي) .
هذا قليل من كثير من الأبحاث التي قدمها طلبة المعهد وخريجوه ، الذين
واصلوا الدرس بعد ذلك وشغلوا مناصب هيئة التدريس بالجامعات المصرية
ومنهم من شغل كرسي الأستاذية . ونرى لزاما علينا أن ننوه بجهودهم حتى
يأتى اليوم الذى تجمع فيه هذه الدراسات وتصنف وتبويب فى محاولة لتقويم
نشاط المعهد .

وقد استرعى العمل فى المعهد انتباه كثير من الدارسين فى ميادين المعرفة
الأخرى ، فبدأت المطالبة بتطوير الدراسة فيه لا اتهامها لها بالقصور ، بل رغبة
فى توسيع مجال البحث والدراسة فى كل ما يتعلق بالدراسات الأفريقية .
وقد نشأت الحاجة الى إعادة النظر فى برامج الدراسة فى المعهد ، ولا سيما
بعد أن أصبح قسما واحدا غير متخصص منضما الى كلية الآداب عام ١٩٥٥ ،
فتشكلت عدة لجان منبثقة عن لجنة العلوم الانسانية التابعة للمجلس الأعلى
للجامعات لدراسة تطوير المعهد . وقدمت عدة مشروعات لهذا الغرض وبدىء

بتفريع الدراسة فيه الى جغرافية وأثروبولوجيا من ناحية وتاريخ من جهة أخرى .

ثم صدر القرار الجمهوري رقم ١٨٠٣ في ١١/٥ عام ١٩٧٠ بإنشاء معهد مستقل للبحوث والدراسات الأفريقية يكون تابعا مباشرة للجامعة . وكان صدور هذا القرار ايذانا بنشاط فعال نحو تطوير الدراسة في المعهد تطورا جذريا .

وقد نصت المادة الأولى من مشروع اللائحة الداخلية للمعهد على أن الغرض من المعهد هو النهوض بالبحوث والدراسات الأفريقية وتنظيم برامج دراسية وتدريبية للعاملين في مجال الدراسات الأفريقية . ونشر البحوث والدراسات وتأليف الكتب والمراجع وتبادل النشرات العلمية وعقد مؤتمرات وندوات واجتماعات علمية في مجال هذه البحوث ، وأن المعهد الذي يبدأ في تحقيق أولى مهامه وهي تنظيم اجراء البحوث والدراسات الأفريقية وتوجيهها ، ليرقى الى اليوم الذي تتاح له فرص تحقيق بقية مهامه .

وان في نية القائمين بالبحث والدراسة فيه اقامة علاقات ثقافية مع المعاهد التخصصية الأخرى مثل معهد دكاكر وأكرا في أفريقيا والمعاهد الشبيهة في الاتحاد السوفيتي وبريطانيا وأمريكا .

ان المعهد بصورته الجديدة يتألف من ستة أقسام متخصصة هي :

- ١ - قسم الموارد الطبيعية .
- ٢ - قسم الجغرافيا .
- ٣ - قسم الأثروبولوجيا .
- ٤ - قسم التاريخ .
- ٥ - قسم النظم السياسية والاقتصادية .
- ٦ - قسم اللغات واللهجات الأفريقية .

كما أنه يمنح درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات الافريقية السالفة الذكر .

واذا كانت الجغرافيا والتاريخ من الأقسام القديمة راسخة القدم في المعهد ،
فان الدراسات الافريقية ستبقى دون شك بإضافة تخصصات أخرى عديدة تدخل
في نطاق العلوم الانسانية ، كما أنها ستكون أكثر ثراءا بإفساح المجال للدراسات
الطبيعية المختلفة .

وقسم الموارد الطبيعية يهتم بدراسة قارة أفريقيا من النواحي الطبيعية مثل
الجيولوجيا والمناخ والنبات والحيوان والتربة . بقصد استكشاف موارد
الثروة الطبيعية وهي موارد دولا يزال معظمها في حالته الطبيعية . ولا تزال القارة
في حاجة الى كشف علمي ومسح شامل في نواحيها الطبيعية المختلفة ، وينتظر
أن تخرج خريطة افريقية الجيولوجية هذا العام بعد أن يقرأها المؤتمر الجيولوجي
الدولي الذي سينعقد في كندا كما أن حياتها النباتية والحيوانية لم تسجل حتى
الآن . ونحن نرجو أن تتمكن من ارسال بعثات علمية لدراسة نواحي مختلفة
في القارة حتى تساهم مصر في كشفها العلمي كما أسهمت مصر في كشفها
الجغرافي .

وفي نية المعهد اعداد نخبة من الباحثين الذين سيتمكنون من القيام بهذا
العمل وهم مدربون أحسن تدريب ، مزودون بمعلومات وافية عن جغرافية
القارة وتاريخها وشعوبها .

ورغم أن الاثروبولوجيا مثل الجيولوجيا نشأت أول الأمر في أحضان
قسم الجغرافيا ، الا أن شعب الدراسات الاثروبولوجية وتنوع ثقافات القارة
استوجبا تخصيص قسم للاثروبولوجيا ، والقارة في الحقيقة حقل متسع لهذه
الدراسات ، فهي من ناحية لا تزال تخرج كل يوم جديدا يلقي ضوء على مسألة
أصل الانسان بعامة وأصل الشعوب الافريقية بخاصة والكشوف الاركيولوجية
الخاصة بعصر ما قبل التاريخ تخرج من تحت الثرى في الصحراء الكبرى
والواحات ومن خواتم شرق افريقيا ومن سهول الفلد في جنوبها ما غير كثيرا
من الآراء التي كانت سائدة عن أصل الانسان وتطوره ، وتطور ثقافته الأولى
في عصر ما قبل التاريخ وفجره ، كما أنها ألفت ضوءا ساطعا على نشأة السلالة
الزنجية وتطورها وعن علاقة شمال افريقيا بما يقع جنوبى الصحراء وعن علاقة

مصر خاصة بغرب افريقيا • هذا باب جديد يتسع للبحث له قيمته العلمية في الذى تشغله الصحراء الكبرى لم يكن حاصرا بين شمال وجنوب ، بل كان اقليم بالبعض الآخر ، وفي تأكيد وحدة القارة التى يحاول بعض الكتاب الغربيين فصمها • فمن تحت الثرى يأتى الدليل على أصالة الايسان فى افريقيا ، وأصالة التطور المحلى ، ويأتى أيضا الدليل على أن القارة وحدة واحدة ليست شمال الصحراء وجنوب الصحراء • ويأتى أيضا الدليل على أن بحر الرمال الواسع الذى تشغله الصحراء الكبرى لم ين حاصرا بين شمال وجنوب ، بل كان اقليم التقاء يمرح فيه الانسان وراء حيوان الصيد ثم مواطن للحضارة الزراعية فى الواحات ثم بحر تقطعه سفن القوافل بين شماله وجنوبه الى أن جاء الاستعمار وفصم هذه العلاقة ردحا لم يطل من الزمن •

أما عن شعوب القارة الحالية وثقافتها وفنونها فالمجال متسع رحيب لدراسات تتسم بالحيمة والتعاطف مع هذه الشعوب بعيدا عن التعالى والتعصب الأوربي •

ولقد كانت شعوب القارة جنوبى الصحراء ، ذات الصلات العديدة عبر الصحراء مع شعوب شمالها ، تسير نحو التطور الطبيعى لتكوين قوميات كبيرة ذات وزن ، لها نظمها وشكلها السياسى ، متأثرة بذلك بالاسلام وذلك لشعوب النطاق السودانى ، أو السافانا من غرب افريقية حتى البحر الأحمر • الآسيوى والافريقى من المعمور ، والذى كان ملهما للتنظيم التشريعى والقانونى لشعوب النطاق السودانى ، أو السافانا من غرب افريقية حتى البحر الأحمر • وتكونت فعلا نوايات لدول عديدة فى هذا النطاق ، كما تكونت نوايات أخرى فى وسط افريقيا وجنوبها ، غير أن حومة الاستعمار الأوروبى أجهضت هذه المحاولات الأولى وقتلت الوليد فى مهده وسحقت تلك النوايات •

وقد ترك الاستعمار بصماته قوية فى جسد القارة ، تتمثل الآن فى تقسيمها بين المتحدثين بالفرنسية والمتحدثين بالانجليزية ، والمستعمرات البرتغالية والأسبانية المتخلفة ، ونظام التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية وروديسيا •

هذه وغيرها من المشاكل تستحق الدراسة . كما أذ التطور الاقتصادي
لبلاد عاشت طويلا في ظل التخلف غنية بموادها الخام لم تبدأ فيها بعد مشاريع
للتنمية ذات قيمة ، كل هذه الارهاصات الاقتصادية في حاجة الى دراسة .

وأخيرا وليس آخرا ما نظن أننا نستطيع التعاطف مع شعوب لا تعرف عن
لغتها شيئا فمئات اللغات الافريقية تحتاج الى فك رموزها لغويا وبالي تصنيف ،
كما تحتاج الى دراسة فوتوطيكية ، تمهيدا لكتابتها فهل يستطيع باحثونا القيام
بهذه الأعباء .

وبعد هذه قارة جديدة تحتاج لاستكشاف علمي وما أظن معهدنا أنشيء
الا لهذا الغرض .

د . محمد السيد غلاب

أفريقيا في جحيم دانتي *

Africa in Dante's Inferno

The known parts of Africa to the Ancient and the Medieval Worlds played an important part in all human activities, and so it participated in the composition of Dante's Divine Comedy, which is one of the eminent master-pieces of the Medieval Civilization. We here try to give an account of this participation in what regards Dante's Inferno. Dante in his Inferno drew from Africa, as well as from other multiplicate sources of inspiration, many pictures and situations. He drew a good deal of his material from Africa's legends, histories, dramas, peoples, cities, countries, men of learning, heroes, leaders, conquerers, battles, deserts, sands, reptiles, mountains, winds, sea-shores and its Nile. He elaborated all his African detailed units with such subtilty and minuteness, so that all his pictures and situations came in perfect harmony with the ideas that he tried to express.

كانت المناطق المعروفة من أفريقيا ، بحكم موقعها الجغرافي ، جزءاً هاماً من العالم القديم ، وظهرت بها حضارات عريقة ، وأخذت تؤثر فيها حولها وتؤثر به ، وجعلت تعطى وتأخذ ، وتمثل وتهضم ، وتساهم في ثمرات البشرية ومصائرهم ووضعت آثار ذلك في شتى النواحي : في الأجناس والأساطير والأديان والحروب والتجارة والعلم والفن والأدب . وتناول كتاب العصر القديم نواحي من أساطيرها وأخبارها وأحوالها مثل هيرودوت وبليني وفرجيليو : وفي العصور الوسطى اضطردت الصلات بين أفريقيا والعالم الخارجي ، وعلى الأخص عندما قامت الدولة العربية وشمّت شمالي أفريقيا ، ومنها أنشأ العرب دولتهم في الأندلس وسيطروا على صقلية . وقويت العلاقة بين الأوروبيين والشرق الأدنى بشقيه في الشام ومصر^١ ، وعرفوا بعض أجزاء من أفريقيا عن طريق الرحلات والتجارة ، وفي أثناء الحروب الصليبية : وأدى هذا الاتصال إلى انتقال عناصر هامة من التراث العربي الإسلامي ،

بما يتضمنه من عناصر التراث الشرقى اليونانى ، إلى الأندلس وإيطاليا ثم إلى أنحاء أوروبا ، وامتزج ذلك كله بتراث الغرب فى العصور الوسطى ، الذى كان أخذاً فى التطور والتهيؤ لبلوغ عصر جديد ، مما ساعد على ظهور عصر النهضة فى إيطاليا وفى أوروبا .

وفى النصف الأول من القرن الثالث عشر كان الإمبراطور فردريك الثانى يعيش فى جنوبى إيطاليا ، تاركاً أملاكه فى شمالى أوروبا لغيره من أفراد أسرة هوهنشتاوفن (١) . وعاصر فردريك المدرسة الأدبية الصقلية (٢) التى تأثرت بتراث العرب والشرق ، والتى تعتبر مرحلة هامة فى نشأة الأدب الإيطالى الوليد (٣) . وانتقلت آثار المدرسة الصقلية إلى مدرسة بولونيا (٤) التى أضافت إليها ثمراتها . وانتقلت هذه الآثار بدورها إلى المدرسة الفلورنسية الحديثة (٥) فأضفت عليها نتاجها ، وأخذ الأدب الإيطالى ينمو ويتطور وفى ثناياه عناصر من التراث الشرقى الإسلامى العربى الأفريقى .

وفى فلورنسا وفى إيطاليا الشمالية عاش دانتى أليجييرى الشاعر السياسى الجندى الفنان ، عاش فى وطنه وفى المنفى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر إلى إحدى وعشرين سنة خلت من القرن الرابع عشر (٦) . وكان دانتى رجلاً واسع الثقافة متعدد الجوانب ، فتأثر بتراث القدماء وتراث العصور الوسطى ، وبآثار الأدب الإيطالى الوليد ، وبثقافة الشرق والعرب وأفريقيا . وكتب دانتى « الكوميديا الإلهية » بأقسامها الثلاثة « الجحيم والمطهر والفردوس » وأشادها على معرفته وأصالته ، واستمدّها من الماضى والحاضر والمستقبل ، من الذكريات والأمانى ، من التجارب والحن والآلام ، من العلم والفن ، من النبات والحيوان والإنسان ، من الآثام والخطايا والعواطف الرقيقة النبيلة ، من غرائز الجسد والزهد والتبتل ، من اليأس والإيمان والأمل ، من الأرض والسماء ، من الأنهار والبحار والصحارى والجبال والبلدان والأقطار والقارات .

كانت أفريقيا من العناصر التى استمد دانتى منها مادته ، فأخذ منها طائفة من الصور والأساطير والشخصيات والحوادث والبلدان . ووضعها فى مواضع مختلفة ، وأحكم صياغتها حتى جاءت وحدة متماسكة متألّفة مع شتى الجزئيات

العديدة التي تألف منها عالمه العظيم . وسنعرض الآن لما أورده داتى عن أفريقيا في « الجحيم » .

في الأنشودة الرابعة وصل داتى برفقة أستاذه ودليله فرجيليو إلى منطقة اللامبو أولى حلقات « الجحيم » ، التي تعتبر في الحقيقة خارجها (٧) . وهي تحتوى على أرواح أولئك الذين عاشوا وماتوا قبل المسيحية ، والذين لم ينالوا التعميد في العهد المسيحى . وهؤلاء لا ينالهم عذاب سوى أنهم يأملون في رؤية الله دون جدوى ويطلقون تهديداتهم حسرة وأسفا ، وهنا يلاقى داتى وفرجيليو شعراء العالم القديم مثل هوميروس وهوراتيوس وأوفيدوس ولوكانوس (٨) . وأحسن هؤلاء استقبال داتى وأومأوا إليه برؤوسهم فابتسم فرجيليو علامة الرضا والاطمئنان (٩) . وتضمنى داتى أن يكون موضعه في الآخرة مع هذه الجماعة العظيمة (١٠) . ومضى داتى وفرجيليو مع هؤلاء العظماء وهم يتحدثون في سيرهم ، حتى جاءوا إلى قلعة نبيلة تحوطها سبعة أسوار عالية ومن حولها جدول يحميها ، فعبروه كأنهم يسرون فوق أرض ثابتة ودخلوا جميعا سبعة أبواب ، ووصلوا إلى مرعى ذى خضرة نضرة . وشهد داتى جماعة من عظماء العالم القديم بعيون هادئة وقورة ، وبدت على وجوههم أمارات سلطان عظيم ، وتكلموا نادراً وبأصوات رقيقة (١١) . ورأى بين هؤلاء بعض الشخصيات الرومانية مثل بروتس ولوكريزيا وجوليا وكورنيليا (١٢) . في هذا الوسط شهد داتى في جانب صلاح الدين وحيدا (١٣) . وهذا هو السلطان صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية في مصر والشام في القرن الثاني عشر للميلاد ، وبطل الحروب الصليبية الذى أثار إعجاب العالم المسيحى ببطولته وفروسيته وتسامحه ، وقد روى أدب الغرب أخباره وقصصه . وإذا كان داتى قد اعتبر صلاح الدين من أهل « الجحيم » - لأن الدين الأمثل عنده هو الدين المسيحى - فقد أبدى إعجابه به ومجده على طريقته ، بوضعه في هذا المكان النبيل المختار في مقدمة « الجحيم » مع حكماء العالم القديم وأبطاله وعظمائه، الذين تمنى أن يكون في زمرتهم .

وكذلك رأى داتى هنا بعض شخصيات الأساطير اليونانية مثل أورفيوس ، وشهد جماعة من العلماء والمفكرين القدماء مثل ديوسقوريدس ولينوس وسينيكا (١٤) ،

ونظر من بينهم إقليدس الهندسى الرياضى الإسكندرى الذى كتب فى الرياضة والهندسة والموسيقى والبصريات (١٥) ، ورأى بطليموس الرياضى الجغرافى الفلكى الإسكندرى الذى ظلت كتاباته فى الجغرافيا سائدة حتى عصر كوبرنيكوس وجاليليو (١٦) .

وفى الأنشودة الخامسة فى الحلقة الثانية ، حيث تبدأ « الجحيم » الحقيقية عند داتى ، بلغ هو وأستاذه فرجيليو المنطقة التى يعذب فيها أولئك الذين غلبوا العاطفة على العقل فى أثناء الحياة ، وارتكبوا الخطيئة بسبب الحب . وينقسم هؤلاء قسمين ، الطائفة الأولى منهم جماعة الذين أمعنوا فى حياة الهوى وشهوة الجسد (١٧) . رأى داتى أرواح هذه الجماعة تطير فى عاصفة هوجاء ، وتطلق صرخاتها كأنها الكراكي تنوح بصوتها الحزين فى أثناء هجرتها من المناطق الباردة فى أوروبا إلى المناطق الدافئة فى أفريقيا .

تساءل داتى عن هؤلاء المعذبين ، فأجابه فرجيليو بأن الأولى من بينهم كانت إمبراطورة لشعب متعدد اللهجات ، وقد استسلمت لشهوة الجسد حتى أصبحت لذة الغرائز مشروعة فى قوانينها (١٨) ، وهى سميراميس ملكة آشور التى يقال إنها عاشت فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، كما يقال إنها خلفت نينو ابنها وزوجها فى وقت واحد ، وقد دان لها ملك يحكمه السلطان (١٩) . ويقصد داتى بهذا سلطان مصر فى عهد المماليك البحرية . ويظن داتى أن حكم سلطان مصر قد امتد حتى شمل الدجلة والفرات : وهذا خطأ وقع فيه ، وهو يخلط بين « بابلونيا » - بابل - على الفرات (وبابلونيا) - الفسطاط - على النيل .

وأشار فرجيليو إلى ديدو ملكة قرطاجنة (٢٠) ، زعيمة الطائفة الثانية من المعذبين فى هذه الحلقة ، الذين ارتكبوا الإثم بسبب الحب ، ولكنهم لم يمعنوا فى الخطيئة بل أخلصوا فى الحب لشخص واحد ، ولا يزال يسودهم الخلق النبيل والوفاء للمحبيب . ويقال فى الأساطير إن ديدو كانت زوجة لسيكيو وأقسمت عند موته ألا تتزوج ، ولكنها وقعت فى حب إينياس عند مروره بقرطاجنة بعد حرب طروادة ، وأسلمت له نفسها ثم هجرها إلى إيطاليا ، فتولاها اليأس وانتحرت أسمى ولوعة .

ورأى داتى من بعد ديدو كليوباترا (٢١) ، آخر مملكة للبطالسة فى مصر ،
وهى تنتمى للطائفة الأولى من هؤلاء الآئمين ، وقد تقلبت فى حب قيصر
وأنطونيوس ، وانتحرت بعد انتصار أوكتافيوس على أسطولها فى موقعة أكتيوم
وحينما يثست من اجتذابه إليها فى ٣١ ق : م :

وعاد داتى فى هذه الأنشودة الرابعة إلى ذكر ديدو ، عندما رأى روحى
فرنتشسكا دا ريمىنى وپاولو مالاتستا اللذين ارتكبا الخطيئة بسبب الحب ، ولكنهما
أخلصا فى العشق وماتا وجداً وهياماً ، وقتلهما جانتشوتو زوج فرنتشسكا وشقيق
پاولو العاشق . أحس داتى برغبة ملحة فى التحدث إلى هاتين الروحين اللتين
اندفعتا معاً وسط العاصفة الهوجاء ، وناداهما داتى ، فسرعان ما ليئا النداء
كفرخى حمام ناداهما الهيام إلى العش الحبيب ، وهكذا خرجا من جماعة ديدو
الآئمة المخلصة فى هواها (٢٢) .

وفى الأنشودة الرابعة عشرة فى الحلقة السابعة ، حيث يعذب أولئك الذين
ارتكبوا العنف ضد الله وضد الطبيعة والفن ، وذلك بممارستهم اللواط ، وهم
يعاقبون بأن تسقط عليهم من السماء شواظ من اللهب فوق رمال قاحلة جرداء ،
وصل داتى وفرجيليو إلى سهل رملى قاحل أحاطته غابة المتحجرين . ووصف
داتى هذا السهل بأنه كان رملاً قاحلاً كثيفاً لا تختلف طبيعته عن السهل الذى
وطئه كاتو السيامى الرومانى فى رمال ليبيا المحرقة ، حينما انضم إلى پوهي ضد
قيصر وهرب بعد معركة فارماليا إلى أفريقيا فى ٤٨ ق : م (٢٣) .

ومضى فرجيليو يطلع داتى على أسرار « الجحيم » ويرشده ويحفظه من
الآخطار ، وأحس داتى برغبته الشديدة فى المعرفة وأراد أن يعلم أصل الجدول
المائل أمامهما والذى تحمد عليه السنة اللهب ، فسأل أستاذه أن يزيده من الغذاء
الذى أذكى شهيته إليه (٢٤) . قال فرجيليو إن كريت تستوى فى وسط البحر ،
وقد كان العالم طاهراً فى ظل ملكها ساتورن ، وإن زوجته ريا اختارت جبل إيدا
بهذه الجزيرة لكى تخفى فيه إبنا جوبيتر من بطش أبيه ، وكانت تحدث أصواتاً
عالية حتى تمنع سماع بكائه . وقال إن فى ذلك الجبل يستوى تمثال ضخم قديم
صنع من الذهب والفضة والنحاس والفخار ، وقد أدار كتفيه للمياط (٢٥) ،

ونظر إلى روما كأنها مرآته . ودمياط هنا رمز الشرق عند داتى لشهرتها في العالم الغربي في أثناء الحروب الصليبية : والمقصود بهذا التمثال الخرافى أن دموع المعذبين كانت تصب في شتى فيه ثم تتجمع وتصنع أنهار « الجحيم » (٢٦) .

وفي الأنشودة الرابعة والعشرين في الخندق السابع من الحلقة الثامنة ، حيث يعذب اللصوص بين الزواحف القاتلة ، رأى داتى منها حشداً مخيفاً ما تزال ذكراه تجمد الدم في عروقه . وقال داتى إنه لا يجوز لليبيا أن تفخر برمالها مزيداً ، لأنه رأى هناك من الطواعين القاتلة ما ليس له في أرضها مثيل أبداً ، ولا في إثيوبيا كلها ، ولا في البلاد الواقعة على البحر الأحمر ، ويقصد بذلك ساحل بلاد العرب وساحل مصر (٢٧) .

وفي الأنشودة السادسة والعشرين في الخندق الثامن من الحلقة الثامنة ، حيث يعذب أولئك الذين بذلوا خادع الرأى فأصابوا غيرهم بالكوارث ، وتسير بهم شعلات من النار ، رأى داتى شعلة ذات لسانين من اللهب يعكس سائر الشعلات . وكانت هذه الشعلة تضم أوليسيس وديوميد اللذين قاما بأعمال الخداع لإحراز النصر في حرب طروادة : قال أوليسيس إن الروابط الأسرية والعواطف الإنسانية لم تغلب حماسه لكي يصبح خيراً بالدنيا وبأحوال البشر ، فركب متن البحر العميق المفتوح مع جماعة من رجاله الأمناء ، وشهد في مسيره الشاطئ الأوروبي حتى أسبانيا ، ورأى الشاطئ الأفريقى حتى مراکش ، وبلغ الممر الضيق الذى اتخذ هرقل عنده علامته ، أى موضع جبل طارق في الشاطئ الأسباني وموضع قمة بنى حسن في الشاطئ المراكشى ، ونظر في الشاطئ الأسباني أشيلية ، ورأى سبتة في شاطئ مراکش (٢٨) .

وفي الأنشودة السابعة والعشرين في ذات الخندق وذات الحلقة والتي هي استمرار للأنشودة السابقة ، لقي داتى جويلدو دا مونتفلترو زعيم الجبلين في أوربينو في القرن الثالث عشر الذى هزمته قوات البابا مارتيانو الرابع ، وامتاز بالحبث والرأى الخادع : قال دا مونتفلترو إن أمير الفريسيين الجدد - أى بونيفاتشو الثامن عدو داتى - قد أعلن الحرب على آل كولونا ، وكان جديراً به أن يحارب العرب واليهود أعداء المسيحية عنده وعند أهل العصر ، ولم يكن من أعدائه بعض المسيحيين

الذين انضموا إلى المسلمين في الاستيلاء على عكا في سنة ١٢٩١ ، وكذلك لم يكن من بين أعدائه بعض المسيحيين أو اليهود الذين اتجروا مع بلاد السلطان في الأسلحة والأخشاب ، على زغم قرار البابا بتحريم الإتجار مع المسلمين في هذه المواد : وسلاطين مصر في عهد دولة المماليك البحرية الذين عاصروا داتى هم الملك الأشرف خليل بن قلاوون الذى استولى على عكا . والملك الناصر محمد ، والملك العادل كتيغا ، والملك المظفر ركن الدين بيبرس ، وقد حكموا من ١٢٩٠ إلى ١٣٤١ . ولم يخجل البابا في عدائه للمسيحيين المخلصين بمركزه الرفيع ولا برداء الرهبنة الذى لبسه دا مونتفلترو بعد توبته (٢٩) ، حينما سأله بونيفاتشو الرأى الخادع للتغلب على أعدائه (٣٠) .

وفي الأنشودة الثامنة والعشرين في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة ، حيث يعذب مشرو الشقاق ومروجو الفتن بقطع أعضائهم وتمزيق أوصالهم على يد شيطان زنيم ، رأى داتى مشهداً رهيباً وأبدى قصوره عن وصف ما شهده من الدماء والجروح : وقال داتى إنه إذا اجتمع كل من بكوا دماءهم فوق أرض أبوليا ضحية للطرواديين ، وللحرب الطويلة التى تكدست فيها خواتم الذهب من أصابع القتلى ، وإذا أظهر الجرحى أعضاءهم الممزقة ، فلن يساوى هذا شيئاً بجانب ما رآه في الوادى التاسع الرهيب . ويقصد داتى بالحرب الطويلة الحروب البونية بين روما وقرطاجنة والى استمرت خلال القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ويريد على الأخص معركة كان (٣١) .

وفي الأنشودة الثلاثين في الخندق العاشر من الحلقة الثامنة ، حيث يعذب مزيفو الأشخاص والكلام والتقود ، رأى داتى المعذبين وقد أصابتهم الأمراض ومن بينهم أدامو دا بريشا الذى زيف عملة فلورنسا الذهبية في النصف الثانى من القرن الثالث عشر (٣٢) . وسأله داتى عن معذبين استلقيا على الأرض متلاصقين وقد تصاعد منهما الدخان : فأجابه أدامو أنهما ظلا هكذا دون حراك منذ أن هبط هو إلى هذه الهاوية ، وأن أحدهما هى الزائفة التى اتهمت يوسف زوراً وبهتاناً بمحاولة اغتصابها عندما لم يستجب لإغوائها . والزائفة هى زوجة فوطيفار المصرى في عهد الهكسوس في حوالى القرن الثامن عشر أو السابع عشر قبل الميلاد كما ورد في الأساطير القديمة (٣٣) .

وفي الأنشودة الحادية والثلاثين في الطريق إلى الحلقة التاسعة ، كان داتى وفرجيليو يسيران في منطقة المردة الذين ثاروا على الآلهة فكان عقابهم أن يقيدوا بالأغلال والسلاسل . وسار فرجيليو بلداتى إلى المارد أنتيوس الذى لم يشترك في ثورة المردة على الآلهة — كما جاء في الأساطير اليونانية — ولذلك لم يقيد بالسلاسل وتكلم دون قيود ، ورأى الشاعران جزءاً هائلاً من أنتيوس خارج البئر فخاطبه فرجيليو وناداه بالذى غنم ألف سبع في الوادى المحتوم — أى وادى باجرادا في نوميديا وتسمى المعركة معركة زاما — في شمالى أفريقيا ، والذى أورث المجد لشييون القائد الرومانى الملقب بالأفريقى ، حينما انهزم هانيبال فولى ظهره مع رجاله ، وقال إنه إذا كان قد انضم إلى سائر المردة في الثورة على الآلهة فربما انتصر أبناء الأرض عليهم . وسأله فرجيليو أن يضعهما في أسفل حيث نهر كوتشيتوس قد تجملت مياهه (٢٤) ، ويربط داتى بين هذه الصورة وانتصار شييون الأفريقى على هانيبال ملك قرطاجنة في زاما في ٢٠٢ ق: م .

وفي الأنشودة الرابعة والثلاثين في آخر جزء من الحلقة التاسعة ، حيث يعذب الخائنون إلى من* أحسنوا إليهم في منطقة واسعة من الثلج والزمهرير ، رأى داتى إمبراطور العالم الأليم — لوتشيفيرو — إبليس — وقد خرج من الثلج بنصف صدره ذى الحجم الهائل ، وكان قبيح المنظر ومصدرا لكل أسى وحزن . وعجب داتى عندما رأى لرأسه ثلاثة وجوه ، وكان الوجه الأمامى أحمر اللون ، وبدا الأيمن بين البياض والصفرة ، وكان الوجه الأيسر في لون قوم يعيشون حيث ينبع نهر النيل : ويقصد داتى بذلك الإثيوبيين ذوى اللون الداكن (٢٥) .

وعلى ذلك نجد داتى قد وضع في إطار واحد — مع تفاوت في بعض التفاصيل — كلا من هوميروس وأوفيدىوس ولوكريتىا وصلاح الدين الأيوبي ، في زمرة عظماء العالم القديم . ووضع ديوسقوريدس وأورفيوس مع إقليدس وبطليموس الإسكندرانيين : وربط بين سميراميس وديدو وكليوباترا . ونقل صورة دقيقة عن كاتو وهو يحب صحراء ليبيا القاحلة : وربط بين كريت وريا وروما ودمياط : ووصل بين زواحف ليبيا وإثيوبيا وسواحل البحر الأحمر . وربط بين أوليسيس وساحل أسبانيا وأشبيلية وساحل أفريقيا ومراكش وسبتة : واقتبس بعض

صوره من السلطنة المصرية في عهد دولة المماليك البحرية : وقارن بين أشلاء القتلى والجرحي في « الجحيم » وبين قتلى حروب طروادة وحروب الرومان والقرطاجيين وجرحاهم : واستوحى قصة يوسف وزوجة فوطيفار المصري وربطها بسينون لغريقى طروادة الكذوب : وربط بين المارد أتيوس وشيبون وهانيبال ومعركة زاما : ومزج بين لون وجه من وجوه لوتشيفيرو - إبليس - والإثيوبيين ومنبع نهر النيل :

هذه هي الصور الأفريقية التي استمدتها داتى في « الجحيم » من أساطير أفريقيا وتاريخها وأهلها وعلمائها وأبطالها وقوادها وغزاتها ، ومن بلادها وصحاريها وزواحفها وجبالها وشطآنها وبحارها ونيلها ومصرها : ومزج داتى في ذلك كله بين الأسطورة والتاريخ ، وبين الخيال والواقع ، وبين الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وبين الطبيعة والإنسان . ولم تبد واحدة من صورته قلقة في موضعها أو متنافرة مع ما يحيط بها أو منفصلة عن السياق العام ، بل جاءت كلها في ثنايا « الجحيم » ممتزجة متسقة مع سائر العناصر والجزئيات ، ومتآلفة مع الأفكار والمعاني التي أقام داتى عليها بناءه الشامخ : وهذه بعض مواهب داتى . ومن غيره استطاع أن يأتي بمثل هذا الفن العظيم ؟

صلاح الدين الأيوبي : ٤ : ١٠٦ - ١١٤ ، ١٢٧ - ١٢٩

- ١٠٦ جثنا إلى أسفل قلعة نيلة ،
محاطة سبع مرات بأسوار عالية ،
ومحمية من حولها بجدول جميل (٣٦) ؛
١٠٩ وهذا خطوناه كأرض صلبة (٣٧) ؛
ودخلت سبعة أبواب مع هؤلاء الحكماء :
ووصلنا إلى مرعى ذى خضرة نضرة ؛
١١٢ كان هناك قوم ذوو عيون هادئة
وقورة ، وفى وجوههم أمارات سلطان عظيم :
تكلموا نادراً وبأصوات رقيقة (٣٨) ؛
... ..
١٢٧ ورأيت بروتس (٣٩) ، هذا الذى طرد تاركوينوس (٤٠) ،
ولوكريتيا (٤١) ، وجوليا (٤٢) ، ومارتريا (٤٣) ، وكورنيليا (٤٤) ؛
وفى جانب رأيت صلاح الدين وحيداً (٤٥) ؛
إقليدس الإسكندري - بطليموس الإسكندري : ٤ : ١٣٩ - ١٤٤
١٣٩ ورأيت ذلك الطيب جامع الخصائص ،
أعنى ديوسقوريدس (٤٦) ؛ ورأيت أورفيوس (٤٧) ،
وتوليوس (٤٨) ، ولينوس (٤٩) ، وسينيك الأَخلاقى (٥٠) ؛
١٤٢ وإقليدس الهندسى (٥١) ؛ وبطليموس (٥٢) ،
وهيوقراطيس (٥٣) ، وابن سينا (٥٤) ، وجالينوس (٥٥) ،
وابن رشد ، الذى صنع التفسير الكبير (٥٦) ؛
هجرة الكراكى (إلى أفريقيا الدافنة) - سلطان مصر : ٥ : ٤٦ - ٦٠
٤٦ وكما تمضى الكراكى شادية بصوتها الباكى ،
وقد جعلت من نفسها فى الهواء صفاً طويلاً (٥٧) ،
هكذا رأيت أشباحاً تأتى وهى تطلق

Saladino :

IV. 106—114, 127—129

- 106 Venimmo al piè d'un nobile castello,
sette volte cerchiato d'alte mura,
difeso intorno d'un bel fiumicello.
- 109 Questo passammo come terra dura ;
per sette porte intrai con questi savi :
giugnemmo in prato di fresca verdura.
- 112 Genti v'eran con occhi tardi e gravi,
di grande autorità ne' lor sembianti :
parlavan rado, con voci soavi.
-
- 127 Vidi quel Bruto che cacciò Tarquino,
Lucrezia, Julia, Marzia e Corniglia ;
e solo, in parte, vidi 'l Saladino.

Euclide—Tolomeo :

IV. 139—144

- 139 e vidi il buono accoglitor del quale,
Dioscoride dico; e vidi Orfeo,
Tullio e Lino e Seneca morale ;
- 142 Euclide geomètra e Tolomeo,
Ipocràte, Avicenna e Galieno,
Averois, che 'l gran comento feo.

I gru (per Africa)—Il Soldano (d'Egitto) :

V. 46—60

- 46 E come i gru van cantando lor lai,
faccendo in aere di sè lunga riga,
così vidi venir, traendo guai,

- ٤٩ صرخاتها ، وتحملها تلك العاصفة :
ولذا قلت : « أستاذى ، مَنْ هؤلاء القوم
الذين يضمنهم الهواء الأسود هكذا ؟ » .
- ٥٢ عندئذ قال لى : « الأولى بين مَنْ
تريد أن تعرف أخبارهم ، كانت
إمبراطورة على لغات عديدة (٥٨) .
- ٥٥ إنها استسلمت لشهوة الجسد ،
حتى جعلت لذة الغرائز مشروعة فى قوانينها ،
لكى تمحو ما انغمست فيه من العار (٥٩) : .
- ٥٨ هى سميراميس (٦٠) ، التى يُقرأ عنها
أنها خلقت نينو ، وكانت له زوجة :
ودان لها ملك يحكمه السلطان (٦١) .
- ديدو — كليوباترا :
٥ : ٦١ — ٦٣
- ٦١ والأخرى هى التى قتلت نفسها وقد
تيمها الحب ، وحثت يمينها لرماد سيكيو (٦٢) ؛
وبعدها كليوباترا أسيرة الشهوات (٦٢) .
- ديدو :
٥ : ٧٣ — ٨٧
- ٧٣ بدأت (٦٤) : « أيها الشاعر (٦٥) ، كم أود
أن أتحدث (٦٦) إلى هذين الإثنين (٦٧) اللذين يذهبان
معاً ، ويبدوان هكذا خفيفين أمام الريح (٦٨) : .
- ٧٦ أجبني : « سترى حينما يصبحان
أقرب إلينا (٦٩) ؛ ادعهما عندئذ باسم
الحب الذى يقودهما (٧٠) ، وسيأتيان (٧١) .
- ٧٩ وإذا مالت بهما الريح إلينا (٧٢) ،
رفعت صوتى (٧٣) : « أيها تان النفسان المعذبتان (٧٤) ،
تعاليا حدثانا ، إن لم يمنعكما عن ذلك أحد (٧٥) : .

49 ombre portate dalla detta briga :
per ch' i' dissi : « Maestro, chi son quelle
genti che l'aura nera sì gastiga ? ».

52 « La prima di color di cui novelle
tu vou' saper » mi disse quelli allotta,
« fu imperadrice di molte favelle.

55 A vizio di lussuria fu sì rotta,
che libito fè licito in sua legge
per tòrre il biasmo in che era condotta.

58 Ell' è Semiramis, di cui si legge
che succedette a Nino e fu sua sposa :
tenne la terra che 'l Soldan corregge.

Dido—Cleopatra :

V. 61—63

61 L'altra è colei che s'ancise amorosa,
e ruppe fede al cener di Sicheo ;
poi è Cleopatràs lussuriosa ».

Dido :

V. 73—87

73 I' cominciai : « Poeta, volentieri
parlerei a quei due che 'nsieme vanno,
e paion sì al vento esser leggieri ».

76 Ed elli a me : « Vedrai quando saranno
più presso à noi ; e tu allor li priega
per quello amor che i mena, ed ei verranno ».

79 Sì tosto come il vento a noi li piega,
mossi la voce : « O anime affannate,
venite a noi parlar, s'altri nol niega! ».

- ٨٢ وكحمامتين دعاها الهيام (٧٦) ، تأنيان عبر
الهواء بأجنحة مرفوعة ثابتة إلى العش
الحبيب ، وقد حملهما الشوق (٧٧) ؛
- ٨٥ هكذا خرج هذان (٧٨) من جماعة فيها ديدوني (٧٩) ،
آتين نحونا وسط الهواء الخبيث (٨٠) ،
إذ كان قوياً ندأى الجياش بالعاطفة ؛

كاتو (في ليبيا) : ١٤ : ٧ - ١٥

- ٧ ولكي أحسن وصف الأشياء الجديدة (٨١) ،
أقول إننا وصلنا إلى سهل ،
تطرد أرضه كل نبات (٨٢) .
- ١٠ الغابة الأنيمة من حوله إكليل ،
كالمستنقع الحزين من حولها (٨٣) ،
وهنا أوقفنا خطانا على حافة السهل (٨٤) ؛
- ١٣ كان الفضاء رملاً قاحلاً كثيفاً ،
لا تختلف طبيعته (٨٥) عن ذلك الذي
كان كاتون قد وطئه بقدميه (٨٦) ؛

دمياط : ١٤ : ٩٤ - ١٠٥

- ٩٤ عندئذ قال : « في وسط البحر (٨٧)
تستوى بلاد خربة تدعى كريت ،
وقد كان العالم طاهراً في ظل ملكها (٨٨) .
- ٩٧ وهناك جبل يدعى إيدا ، كان من قبل
سعيداً بالماء وأوراق الشجر (٨٩) ؛
وهو الآن قفر مثل غابر الأثر ؛
- ١٠٠ كانت ريا قد اختارته لابنها
مهداً أميناً ، ولكي تحسن إخفائه ،
كانت تدوى بالصراخ عند بكائه (٩٠) ؛

82 Quali colombe, dal disio chiamate,
con l'ali alzate e ferme al dolce nido
vengon per l'aere dal voler portate ;

85 cotali uscir della schiera ov' è Dido,
a noi venendo per l'aere maligno,
sì forte fu l'affettuoso grido.

Cato (in Libia) :

XIV. 7—15

7 A ben manifestar le cose nove,
dico che arrivammo ad una landa
che dal suo letto ogni pinta remove.

10 La dolorosa selva l' è ghirlanda
intorno, come 'l fòsso tristo ad essa :
quivi fermammo i passi a randa a randa.

13 Lo spazzo era una rena arida e spessa,
non d'altra foggia fatta che colei
che fu da' piè di Caton già soppressa.

Damiata :

XIV. 94—105

94 « In mezzo mar siede un paese guasto »
diss' elli allora, « che s' appella Creta,
sotto 'l cui rege fu già il mondo casto.

97 Una montagna v' è che già fu lieta
d'acqua e di fronde, che si chiamò Ida :
or è diserta come cosa vieta.

100 Rea la scelse già per cuna fida
del suo figliuolo, e per celarlo meglio,
quando piangea, vi facea far le grida.

- ١٠٣ وفي داخل الجبل ينتصب قائماً عجوز
ضخم (٩١) ، وهو يدبر كتفيه للمباط ،
وينظر إلى روما كأنها مرآته (٩٢) .
- ليبيا . . إثيوبيا — ساحل البحر الأحمر : ٢٤ : ٧٩-٩٠
- ٧٩ نزلنا الجسر عند الرأس ،
حيث يلتقى بالشاطئ الثامن ،
وعندئذ انكشف لي الوادي (٩٣) ؛
١٢ ورأيت هناك بداخله حشداً مخيفاً
من الأفاعى العجيبة الأنواع ،
حتى ما يزال يهرب دمي لذكرها : []
٨٥ ألا لا تفخر ليبيا برمالها بعد (٩٤) :
لأنها إذا كانت تنتج دخانات (٩٥) ، وقفازات (٩٦) ،
وحفارات (٩٧) ، ورقطاوات (٩٨) ، ومعها أفاعين (٩٩) ،
٨٨ فان مثل هذه الطواعين (١٠٠) العديدة
القاتلة ، لم تظهر فيها أبداً ، ولا في إثيوبيا كلها ،
ولا في البلاد التي تقع على البحر الأحمر (١٠١) .
- مراكش — سبتة : ٢٦ : ٨٥-١١١
- ٨٥ بدأ يهتز القرن الأكبر (١٠٢) في
الشعلة القديمة ، وهو يدوي مثل
تلك التي ترهقها الريح ؛
٨٨ وبينما هو يحرك طرفه من ناحية
لأخرى ، كأنه اللسان الذي يتكلم (١٠٣) ،
أطلق صوته وقال (١٠٤) : « حينما
٩١ رحلت عن تشيرتشي (١٠٥) ، التي
احتجزتني أكثر من عام هناك بقرب جايتنا ،
قبل أن يسميها إينياس كذلك (١٠٦) —

103 Dentro del monte sta dritto un gran veglio,
 che tien volte le spalle inver Damiata
 e Roma guarda come suo specchio».

Libia—Etiopia—Mar Rosso :

XXIV. 79—90

79 Noi discendemmo il ponte dalla testa
 dove s'aggiugne con l'ottava ripa,
 e poi mi fu la bolgia manifesta ;

82 e vidivi entro terribile stipa
 di serpenti, e di sì diversa mena
 che la memoria il sangue ancor mi scipa.

85 Più non si vanti Libia con sua rena ;
 chè se chelidri, iaculi e faree
 produce, e cencri con anfisibena,

88 nè tante pestilenzie, nè sì ree
 mostrò già mai con tutta l'Etìopia,
 nè con ciò che di sopra al Mar Rosso èe.

Morrocco—Setta :

XXVI. 85—111

85 Lo maggior corno della fiamma antica
 cominciò a crollarsi mormorando,
 pur come quella cui vento affatica ;

88 indi la cima qua e là menando,
 come fosse la lingua che parlasse,
 gittò voce di fuori , e disse : « Quando

91 mi diparti' da Circe, che sottrasse
 me più d'un anno là presso a Gaeta
 prima che sì Enea la nomasse,

- ٩٤ لم يكن شغفى بابني (١٠٧) ، ولا العطف
على أبي الشيخ (١٠٨) ، ولا الحب الواجب الذي
كان ينبغي أن يجعل ينلوب معيدة (١٠٩) —
- ٩٧ مستطيعا أن يغلب في نفسى
الحماسة التي كانت عندي ، لكي أصبح خيرا بالدنيا
وبمساوىء البشر وفضائلهم (١١٠) ؛
ولكنى وضعت نفسى على البحر (١١١)
العميق المفتوح (١١٢) ، في سفينة واحدة ، مع تلك الجماعة
القليلة التي لم تتخل عني ؛
١٠٣ رأيت هذا الشاطئ وذاك (١١٢) ،
حتى أسبانيا ، وحتى مراکش ، وجزيرة السردنيين ،
والجزر الأخرى (١١٤) التي يغسل ما حولها ذلك البحر ؛
١٠٦ كنت ورفاقى شيوخا بطاء (١١٥) ؛
حينما بلغنا ذلك الممر الضيق (١١٦) ،
حيث اتخذ هرقل علامته (١١٧) ،
١٠٩ كى لا يسير الإنسان قلما :
وتركت إلى اليمين أشيلية (١١٨) ،
وفي الجانب الآخر كنت قد خلفت سبتة (١١٩) ؛

٢٧ : ٨٥ — ٩٣

السلطان :

- ٨٥ « إن أمير الفريسين الجدد (١٢٠) —
وقد أعلن الحرب على مقربة من لايرانو (١٢١) ،
لا على العرب ولا على اليهود (١٢٢) ،
٨٨ لأن كل عدو له كان مسيحيا ،
ولم يذهب أحدهم لفتح عكا (١٢٣) ،
ولم يتجر في بلاد السلطان (١٢٤) —

- 94 nè dolcezza di figlio nè pietà
del vecchio padre, nè 'l debito amore
lo qual dovea Penelopè far lieta,
- 97 vincer poter dentro da me l'ardore
ch' i' ebbi a divenir del mondo esperto,
e delli vizi umani e del valore ;
- 100 ma misi me per l'alto mare aperto
sol con un legno e con quella compagna
picciola dalla qual non fui disertò.
- 103 L'un lito e l'altro vidi infin la Spagna,
fin nel Morrocco, e l'isola de' Sardi,
e l'altre che quel mare intorno bagna.
- 106 Io e' compagni eravam vecchi e tardi,
quando venimmo a quella foce stretta
dov' Ercule segnò li suoi riguardi,
- 109 acciò che l'uom più oltre non si metta :
dalla man destra mi lasciai Sibilia,
dall' altra già m'avea lasciata Setta ».

Il Soldano :

XXVII. 84—93

- 85 « Lo principe de' novi Farisei,
avendo guerra presso a Laterano,
e non con Saracin nè con Giudei,
- 88 chè ciascun suo nimico era Cristiano,
e nessun era stato a vincer Acri,
nè mercatante in terra di Soldano ;

- ٩١ لم يراع في شخصه المركز الرفيع (١٢٥)
- والنظم المقدسة ، ولا في شخصي ذلك الحبل (١٢٦)] ،
الذى اعتاد أن يجعل مَنْ تمنطقوا به أنحف جسما (١٢٧) .
- الرومان والقرطاجنيون : ٢٨ : ٧-١١ ، ١٩-٢١
- ٧ وإذا اجتمع بعد كل الناس
الذين كانوا قد بكوا دماءهم ،
فوق أرض أبوليا (١٢٨) المشؤومة (١٢٩)
- ١٠ بسبب الطرواديين (١٣٠) والحرب
الطويلة (١٣١) ، التي جعلت من خواتم الذهب
غنائم عظيمة ، كما يكتب ليفيوس الذي لا يخطئ (١٣٢) -
... ..
- ١٩ وإذا أظهر جريح أعضائه الممزقة ،
وكشف آخر عضوه المقطوع ، فلن يساوى هذا
شيئا إلى مظهر الوادي التاسع الرهيب (١٣٣) .
- يوسف وزوجة فوطيفار : ٣٠ : ٩١ - ٩٩
- ٩١ قلت له : « مَنْ الخسيسان
اللذان يُصعدان دخانا كيدين ابتلتا في الشتاء (١٣٤) ،
وقد استلقيا متلاصقين إلى يمينك (١٣٥) ؟ » :
- ٩٤ أجبني : « هنا وجدتهما ، حينما
هبطت إلى هذه الهاوية (١٣٦) ، ولم يتحركا بعد ،
ولا أعتقد أنهما سيتحركان إلى الأبد :
- ٩ فواحدة هي الزائفة التي اتهمت يوسف (١٣٧) ،
والآخر هو إغريقى طروادة سينون الكذوب (١٣٨)
يطلقن بوطاة الحمى دخانا كثيرا .

91 nè sommo officio nè ordini sacri
guardò in sè, nè in me quel capestro
che solea fare i suoi cinti più macri ».

Romani e Cartaginesi :

XXVIII. 7—21

7 S'el s'aunasse ancor tutta la gente,
che già in su la fortunata terra
di Puglia fu del suo sangue dolente

10 per li Troiani, e per la lunga guerra
che dell' anella fè sì alte spoglie,
come Livio scrive che non erra,

... ..

19 e qual forato suo membro e qual mozzo
mostrasse, d' aequar sarebbe nulla
il modo della nona bolgia sozzo.

Giuseppo e moglie di Putifarre :

XXX. 91—99

91 E io a lui : « Chi son li due tapini
che fumman come man bagnate 'l verno,
giacendo stretti a' tuoi destri confini ? ».

94 « Qui li trovai—e poi volta non dierno—»
rispuose, « quando piovvi in questo greppo,
e non credo che dieno in sempiterno.

97 L' una è la falsa ch' accusò Giuseppo ;
l'altr' è il falso Sinon greco da Troia :
per febbre aguta gittan tanto leppo ».

١٢٣ - ١١٢ : ٣١

وادی باجرادا - شیپون - هانیبال :

- ١١٢ عندئذ تابعنا المسير إلى الأمام ،
وبلغنا أنتيوس (١٣٩) الذي ظهر منه خارج البئر ،
فيما عدا الرأس ، خمس أذرع كاملة (١٤٠) .
- ١١٥ « أنت يامن » أخذت ألف سبع
غنيمة في الوادي المحتوم (١٤١) ، ومن « أورث
شيپون المجد ، حينما ولى
- ١١٨ هانيبال ظهره مع رجاله (١٤٢) ،
وإذا كنت قد اشتركت في حرب إخوتك الكبرى ،
فيبدو أنه ما يزال هناك من يعتقد
- ١٢١ أن أبناء الأرض كانوا سيظفرون (١٤٣) ؛
ضعنا في أسفل ، حيث يحبس الزمهرير مياه
كوتشيتوس (١٤٤) ، ولا يأخذك الحجل من ذلك » :

٤٥ - ٢٨ : ٣٤

الإثيوپيون - إثيوپيا - نهر النيل :

- ٢٨ لقد خرج بنصف صدره من
الثلج إمبراطور عالم الآلام (١٤٥) ، ولأتى إلى
طول مارد لأقرب
- ٣١ من المردة إلى حجم ذراعيه :
فانظر الآن كم ينبغي أن يكون ذلك الكل
الذي يناسب مثل هذه الأجزاء (١٤٦) ؛
- ٣٤ ولئن كان ذات يوم فائق الجمال
كما هو قبيح الآن ، ورفع عينيه على خالقه ،
فهو جدير أن يصلر عنه كل حزن :
- ٣٧ آه كم بدا لي من عجب العجب ،
حينما رأيت ثلاثة وجوه لرأسه (١٤٧) !
كان الأمامي أحمر اللون (١٤٨) ؛

- 112 Noi procedemmo più avanti allotta,
 e venimmo ad Anteo, che ben cinque alle,
 senza la testa, uscì fuor della grotta.
- 115 « O tu che nella fortunata valle
 che fece Scipion di gloria reda,
 quand' Annibàl co' suoi diede le spalle,
- 118 recasti già mille leon per preda,
 e che se fossi stato all' alta guerra
 de' tuoi fratelli, ancor par che si creda
- 121 ch' avrebber vinto i figli della terra ;
 mettine giù, e non ten vegna schifo,
 dove Cocito la freddura serra ».

- 28 Lo 'mperador del doloroso regno
 da mezzo il petto uscì fuor della ghiaccia ;
 e più con un gigante io mi convegno,
- 31 che giganti non fan con le sue braccia :
 vedi oggimai quant' esser dee quel tutto
 ch' a così fatta parte si confaccia.
- 34 S' el fu sì bello com' elli è or brutto,
 e contra 'l suo fattore alzò le ciglia,
 ben dee da lui procedere ogni lutto.
- 37 Oh quanto parve a me gran maraviglia
 quand' io vidi tre facce alla sua testa !
 L' una dinanzi, e quella era vermiglia ;

- ٤٠ والآخراں كانا وجاهين
اتصلا به على وسط كلا الكتفين ،
واتحدت جميعا فى مكان اليافوخ ؛
- ٤٣ بين البياض والصفرة بلما الأيمن (١٤٩) ،
وكان الأيسر حين تراه مثل أولئك الذين
يأتون من هناك ، حيث يهبط نهر النيل (١٥٠) ؛

- 40 l'altr' eran due, che s'aggiungnieno a questa
sovresso 'l mezzo di ciascuna spalla,
e sè giugnieno al luogo della cresta :
- 43 e la destra pareva tra bianca e gialla ;
la sinistra a vedere era tal, quali
vegnon di là onde 'l Nilo s'avvalla.

الحواشي

* - سبق أن نشر هذا المقال في مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية عدد ١٠ سنة ١٩٥٦ وقد أدخلت عليه بعض التعديلات نتيجة للزيد من الدراسة . ومن المناسب أن يعاد نشره في مجلة «معهد البحوث والدراسات الأفريقية» بجامعة القاهرة تمييزاً للفائدة .

(١) أسرة هوهنشتاوفن (Hohenstaufen) أسرة ألمانية من رورنبرج شملت هملي الإمبراطورية الرومانية المقدسة من ١١٣٨ إلى ١٢٥٤ . وفردريك الثاني من أشهر أفرادها وكان واسع الأفق عالماً وحارب البابوية وعقد معاهدة مع الملك الكامل في ١٢٢٩ .

(٢) المدرسة الصقلية مرحلة في نمو الأدب الإيطالي وظهرت في صقلية في النصف الأول من القرن الثالث عشر . وظهر بها الشعر التقليدي الذي يتناول قصص العصور الوسطى وأساطير الشرق والأخلاق والعلم كما وجد بها عنصر إنساني يحاول التعبير عن بعض خفايا النفس .

(٣) كتب الإيطاليون شعرهم في القرن الحادي عشر باللغة الفرنسية ثم بلغة بروغنيس التي تأثرت بأدب التروبادور بما فيه من بعض عناصر التراث العربي الشرقى . وفي أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر بدأت تظهر في إيطاليا اللهجات العامية وظهرت أشعار دينية مثل شعر يواكيمودافلورا وفرنتشكوداسيسى وتلا ذلك ظهور شعر المدرسة الصقلية . وبذلك كان الأدب الإيطالي في ذلك العصر أدباً وليداً . ويرجع تأخر ظهور الأدب الإيطالي إلى تأثر إيطاليا بالتراث اللاتيني وعدم استطاعتها التخلص منه بسهولة ، وإلى الظروف المضطربة التي سادت إيطاليا عقب غارات البرابرة الجرمان على الإمبراطورية الرومانية .

(٤) مدرسة بولونيا مدرسة أدبية ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وتمتاز بشعرها التقليدي والإنساني على السواء واتخذت لهجة تسكانا أداة لها ، ويرجع ذلك إلى نقاء اللهجة التسكانية وقلة تأثرها باللهجات الغزاة الأجانب فأتيح لها الفرصة لكي تنمو وتتطور في بيئتها المحلية تطورا تدريجياً ، وكذلك لتفوق تسكانا في المجتمع السياسي والاقتصادي ، ومن شعراء هذه المدرسة جويدو جوينتزي .

(٥) المدرسة الفلورنسية الحديثة أو مدرسة تسكانا هي آخر مرحلة - سابقة على دانتي في نمو الأدب الإيطالي ، واجتمع فيها كذلك الشعر التقليدي والشعر الإنساني العاطفي وكان من شعرائها جويدو كافالكاني ودانتي .

(٦) دانتي أليجييري (Dante Alighieri ١٢٦٥ - ١٣٢١) ولد في فلورنسا ومات في رافنا . وهو من أعظم شعراء الأرض وكان متعدد النواحي فاشترك في الحرب واشتغل بالسياسة وأحب الرسم والموسيقى وعاش في المنفى سنوات طويلة ، وكانت الآلام والحزن التي انصبت عليه بوتقة عبقريته، ومن آثاره «الحياة الجديدة» و«الوليمة» و«الملكية» و«الكوميديا الإلهية» .

<i>Inf. IV. I...</i>	(٧)
<i>Ibid. 73—90</i>	(٨)
<i>Ibid. 94—99</i>	(٩)
<i>Ibid. 100—103</i>	(١٠)
<i>Ibid. 106—114</i>	(١١)
<i>Ibid. 127—128</i>	(١٢)
<i>Ibid. 129</i>	(١٣)
<i>Ibid. 139—141</i>	(١٤)
<i>Ibid. 142</i>	(١٥)
<i>Ibid. 143</i>	(١٦)
<i>Inf. v. 25...</i>	(١٧)
<i>Ibid. 46—57</i>	(١٨)
<i>Ibid. 60</i>	(١٩)
<i>Ibid. 62</i>	(٢٠)
<i>Ibid. 63</i>	(٢١)
<i>Ibid. 73—87</i>	(٢٢)
<i>Inf. XIV. 7—15</i>	(٢٣)
<i>Ibid. 92—93</i>	(٢٤)
<i>Ibid. 94—105</i>	(٢٥)
<i>Ibid. 112...</i>	(٢٦)
<i>Inf. XXIV. 79—90</i>	(٢٧)
<i>Inf. XXVI. 85—111</i>	(٢٨)
<i>Inf. XXVII. 85—93</i>	(٢٩)
<i>Ibid. 94...</i>	(٣٠)
<i>Inf. XXVIII. 7...</i>	(٣١)
<i>Inf. XXX. 58...</i>	(٣٢)
<i>Ibid. 91—99</i>	(٣٣)
<i>Inf. XXXI. 112—123</i>	(٣٤)
<i>Inf. XXXIV. 28—45</i>	(٣٥)

(٣٦) يرى بعض النقاد أن القلعة رمز للعلم ويحوطها سياج العلوم مثل النحو والخطابة والهندسة والموسيقى ، والجدل رمز لاستعداد العقل لتلقى العلم ، ويرى آخرون أن القلعة رمز للفلسفة يحوطها سياج الطبيعة وما وراء الطبيعة والأخلاق والسياسة... ولم يصل النقاد إلى رأى نهائى فى تفسير هذه الأبيات . ووصف القلعة وأسوارها مأخوذ من قلاع العصور الوسطى . وجعل دانتي هذه القلعة موطن النفوس العظيمة من رجال العالم القديم ، وهو نوع من المظهر الدائم لهذه النفوس ، وإن كان موضعها فى مقدمة « الجحيم » .

(٣٧) أى متى دانتى وفرجيليو ومعهما هوميروس وهوراتيوس وأوفيدوس أعضاء المدرسة الحميلة وساروا كما يسير الإنسان على أرض صلبة ثابتة مما يجعل السير عليها سهلاً .

(٣٨) هكذا رسم دانتى صفات عظماء الفلاسفة والشعراء والأبطال بهذه الكلمات القليلة التى تدل على خصالهم .

(٣٩) لوتشيوس بروتس (Lucius Brutus) اشترك فى طرد تاركوينوس العظيم وأقام الجمهورية فى روما فى أواخر القرن ٦ ق . م .

(٤٠) لوتشيوس تاركوينوس العظيم (Lucius Tarquinius Superbus) عاش فى القرن ٦ ق . م . وحكم روما حكماً مستبدًا واشترك لوتشيوس بروتس فى التآمر عليه وطرده من روما .

(٤١) لوكريزيا (Lucrezia) زوجة تاركوينوس كولانتينوس الذى اعتدى عليها ابن تاركوينوس السالف الذكر .

(٤٢) جوليا (Julia) ابنة يوليوس قيصر وزوجة بومبي الكبير عاشت فى القرن ١ ق . م .

(٤٣) مارتزيا (Marzia) ابنة ماركوس فيليپوس وزوجة كاتون الثانية .

(٤٤) كورنيليا (Cornelia) ابنة شيبون الأفريقى وزوجة تيرىوس جراكوس .

(٤٥) صلاح الدين الأيوبي (١١٣٧ - ١١٩٣ Il Saladino) مؤسس الدولة الأيوبية فى مصر والشام وبطل الحروب الصليبية . أثار إعجاب العالم المسيحى ببطولته وأخلاقه وكان موضع التقدير عند دانتى الذى عاش فى آخر عصر الحروب الصليبية .

(٤٦) ديوسقوريدس (Dioscorides) طبيب يونانى عاش فى القرن ١ ق . م . ووضع كتاباً فى خصائص الأعشاب .

(٤٧) أورفيوس (Orpheus) شاعر وموسيقى من شخصيات الميثولوجيا اليونانية ويقال إن موسيقاه كانت تجذب الأحجار والحيوانات إليه . وقد وضع جلوك فى القرن الثامن عشر ألحان أوبرا أورفيوس وأويريديس التى تصور هبوط أورفيوس إلى العالم السفلى بعد موت أويريديس وقد تأثر إليه الحب بموسيقاه فاستجاب له وأعاد أويريديس إلى الحياة :

Gluck, Ch., W.: Orpheus and Eurydice, opera, Vienna, 1762 (Decca).

(٤٨) توليوس تشيشرون (Tullius Cicero) سياسى وفيلسوف رومانى عاش فى القرن ١ ق . م . وأخذ عن فلاسفة اليونان ما وافق عقله وآمن بالله وبحرية الإرادة ، وكتب فى الخطابة والتكهن بالغيب والأكاديمية والواجب .

(٤٩) لينوس (Linus) شاعر وموسيقى من شخصيات الميثولوجيا اليونانية وهو أستاذ أورفيوس .

(٥٠) سينيكا (Seneca) فيلسوف وشاعر رومانى عاش فى القرن ١ م . وكان معلم نيرون وكتب فى الأخلاق والفلسفة وله تراجيديات .

(٥١) إقليدس (Euclides) الرياضي الإسكندري الذي عاش في القرنين ٤ و ٣ ق . م . وكتب في الرياضة والهندسة والموسيقى والبصريات .

(٥٢) كلاوديوس بطليموس (Claudius Ptolemaeus) عاش في القرن ٢ م . وهو الرياضي الجغرافي الفلكي الإسكندري ، ترجمت مؤلفاته في الفلك والجغرافيا إلى العربية ومنها إلى اللاتينية ، واعتبر بطليموس الأرض ثابتة وأنها مركز الكون وأن سائر الكواكب تدور حولها ، وأن اليابس يحكم ثقله اتخذ أدنى المواضع في الأرض ثم يعلوه الماء فالهواء والنار والأثير الذي تقوم فيه السماوات ، وبنيت نظرية بطليموس في الفلك على أساس الحركة الظاهرة .

(٥٣) هيبوقراطيس (Hippocratis) عاش في القرنين ٥ و ٤ ق . م . وهو الطبيب اليوناني أبو الطب واشتهر بتشخيص الأمراض ويعرف بأبقراط .

(٥٤) ابن سينا (Avicenna) عاش في القرنين ١٠ و ١١ م . وهو الفيلسوف والطبيب الإسلامي . ولد في بخارى وعاش في فارس ، وكتب التعليق على أرسطو والقانون في الطب .

(٥٥) كلاوديوس جالينوس (Claudius Galenus) عاش في القرنين ٢ و ٣ م . وهو الطبيب اليوناني الذي عاش في الأناضول والإسكندرية وروما وكتب في الطب والفلسفة .

(٥٦) ابن رشد (Averrois) عاش في القرن ١٢ م . وهو الفيلسوف والطبيب الأندلسي . كتب التعليق على أرسطو وقد ترجم إلى اللاتينية . ويوجد له رسم في كاتدرائية فلورنسا في قبة الأسبان في صورة علوم الأرض ، وظهر فيها مع آريوس وتوماس أكويناس .

(٥٧) هكذا تفعل الكراكي عندما تهاجر من المناطق الباردة في أوروبا إلى المناطق الدافئة في أفريقيا.

(٥٨) المقصود بهذا شعب بابل .

(٥٩) يقصد سميراميس التي وضعت من القوانين ما جعل خطايا الجسد مشروعة .

(٦٠) هناك طائفتان من الآثمين الذين غلبوا العاطفة على العقل ، والطائفة الأولى التي على رأسها سميراميس هي الطائفة التي أمنت في حياة الخطيئة ، وسميراميس (Semiramis) ملكة الآشوريين شخصية تحوطها الأساطير ويقال إنها عاشت في القرن ١٤ ق . م . وخلفت زوجها نينو (Nino) على العرش بعد تأمرها عليه ويقال إنه كان ابنها في الوقت نفسه . وكان نينو أول ملك تطلع إلى إقامة دولة عالمية . وقد ذكرها أوفيدوس (Ov. Met. IV. 58, 88) وبروتيتو لاتيني (Lat. Trésor, 1. 26) .

ووضع روسيني (١٧٦٢ - ١٨٦٨) ألحان أوبرا سميراميس التي تصور حياة العشق والمتعة التي عاشتها ملكة الآشوريين :

Rossini, G. : Semiramide, opera. Venezia, 1823 (Columbia).

(٦١) هذا يعني أحد سلاطين دولة المماليك البحرية في مصر المعاصرين لداني . والمقصود أن سميراميس حكمت دولة واسعة في حوض الدجلة والفرات وظن داني أنها وقعت يوماً تحت حكم سلطان

مصر ، وذلك لخلطه بين بابل على الفرات والفسطاط على النيل وكل منهما تسمى بابلونيا (Babilonia) في الإيطالية .

(٦٢) ديدو (Dido) على رأس الطائفة الثانية من ارتكبوا الخطيئة بسبب العاطفة ولكنهم أخلصوا في الحب لشخص واحد ، وديدو في الأسطورة ملكة قرطاجنة وأقسمت بعد موت زوجها سيكيوس (Sychaeus) ألا تزوج ، ولكنها وقعت في حب إينياس وانتحرت عندما هجرها إلى إيطاليا :
Virg. Æn. VI. 450...

وتوجد صورة من عمل روبنز (١٥٧٧ - ١٦٤٠) لديدو وهي تقف السيف في صدرها وهي في متحف اللوفر في باريس . وكذلك توجد صورة لمصرعها من صنع سباستيان بوردون (١٦١٦ - ١٦٧١) وهي في متحف الإرميتاج في لينينجراد .

ووضع برسل (١٦٥٩ - ١٦٩٥) الخان أوبرا ديدو وإينياس التي تصور قصة العاشقين وتوضع مأساة ديدو :

Purcell, H. : Æneas and Dido, opera. Chelsea, 1689 (HMV).

(٦٣) كليوباترا (Cleopatra) ملكة مصر في عهد البطالسة ، يقال إنها اتخذت من علاقتها بقيصر وأنطونيوس من بعده وسيلة لتحقيق مصلحة مصر ، وانتصر أسطول أوكتافيوس على أنطونيوس في موقعة أكتيوم في ٣١ ق. م. وانتحرت كليوباترا عندما أخفقت في استمالة أوكتافيوس وبذلك انتهت دولة البطالسة في مصر .

(٦٤) قال إنه بدأ أي أنه لم يتكلم مباشرة واحتاج دانتى إلى بعض الجهد والوقت حتى تمالك نفسه ، بعد أن كاد يفقد الوعي عند مشاركته آلام المعذبين قبل رؤية هذين الإثنيين .

(٦٥) ينادى دانتى فرجيليو بالشاعر وهي الصفة الخالدة عند دانتى وفرجيليو معاً .

(٦٦) أي كم تحبوه الرغبة للتحدث إلى هذين الإثنيين وهما فرنتشسكا دا ريميني (Francesca da Rimini) وپاولو مالاتستا (Paolo Malatesta) . وملخص قصتهما أن أسرة دا پولتا أمير رافنا وأسرة مالاتستا أمير ريميني جنحتا إلى السلام عن طريق المصاهرة وظنت فرنتشسكا ابنة دا پولتا أنها ستزوج پاولو مالاتستا الفارس الجميل ، ولكنها خدعت وربما عن غير قصد ، وزفت إلى أخيه جانتشوتو المشوه ، واستمرت صلة حب بين پاولو وفرنتشسكا وكشف الزوج هذه العلاقة ففاجأ العاشقين في أحد مواقف الغرام وقتلها معاً . ووقع الحادث في ريميني في حوالى ١٢٨٥ وتأثر دانتى بهذا الحادث فخلده في شعره . وفرنتشسكا من أبرز شخصيات الكوميديا ، وهي تمثل الإنسان الحى الحديث الذى يعبر عن عواطفه بصدق وبساطة وإخلاص وتمثل الحب والخطيئة واللعنة والموت . وهي شديدة حب أكثر منها آثمة . وصنع رودان باب الجحيم من البرونز وهو موجود بمتحفه في باريس وفي أعلاه تمثال المفكر الذى يمثل دانتى وعلى الباب صور من الحفر البارز تمثل عذاب الآثمين ومن بينهم پاولو وفرنتشسكا وهما في حالة من الوجد والهيام .

ورسم ديلاكروا (١٧٩٨ - ١٨٦٣) صورة لهذين العاشقين وهي موجودة في مجموعة خاصة في زيورخ .

ووضع ليست (١٨١١ - ١٨٨٦) سيمفونية دانتي التي تصور عالم الجحيم ودنيا المطهر والتطلع إلى الفردوس ، ووضع سوناتا دانتي التي تصور حب العاشقين وعذابهما :

Liszt, F. : Dante Sonata, 1849 (Columbia).

Liszt, F. : Symphony to Dante's Divine Comedy, 1855-1856 (Brunswick).

وألف تشايكوسكي (١٨٤٠ - ١٨٩٣) افتتاحية سيمفونية عن فرنتشسكا دا ريميني تجاوب في أنغامها مصف الرياح وأنين العاشقين اللذين يندوبان وجدا وهياماً :

Tschaikowsky, P.I. : Francesca da Rimini, fantasia, 1878 (Decca).

وكذلك وضع زاندوناي (١٨٨٣ - ١٩١٢) ألحان أوبرا فرنتشسكا دا ريميني على أساس كتاب دانوننزيو عنها :

Zandonai, R. : Francesca da Rimini, opera . Torino, 1914 (Columbia).

(٦٧) اختلف عقاب هذين الإثنين عن بقية الآثمين فلم تفرقهما الريح ولم تضرب أحدهما بالآخر بل حملتهما معاً على الدوام وأثار هذا الاختلاف انتباه دانتي .

(٦٨) أي يندوان كريشة في مهب الرياح .

(٦٩) حاول فرجيليو بهذه الكلمات أن يحمل دانتي على الصبر والانتظار .

(٧٠) أي أن الحب يقودهما مع الريح والحب محور هذه القصيدة .

(٧١) يعني أنهما لن يتوانيا عن القلوم إذا ما استحلتهما دانتي باسم الحب .

(٧٢) أي أن الريح استجابت لنداء دانتي وحملتهما إليه ولم تذهب بهما بعيداً عنه .

(٧٣) يعني أنه من فرط تأثره لم يستطع النطق بسهولة فبذل جهداً ورفع صوته لكي يتكلم .

(٧٤) ناداهما دانتي بالحال الأليم التي هما عليها ، وفي هذا عطف ومشاركة في آلام هاتين النفسين المملتين .

(٧٥) طلب إليهما دانتي أن يقتربا أكثر ويتكلما عن حالهما ولم يكديما قوله حتى أبدى هذا الإعراض الذي ولده الشك ، إذ ربما منعهما عائق عن القلوم يعني الله .

(٧٦) شبهما دانتي بالحمام لأنه طائر يعشق بإخلاص .

(٧٧) طارا بأجنحة قوية ممتدة مفتوحة حتى يصلا مريماً إلى العش الحبيب ، ويشبه هذا قول فرجيليو :

Virg. Aen. VI. 450

(٧٨) يمكن أن تكون ترجمة هذه الثلاثية كآلآي : « حملتهما الرغبة الملحة عبر الهواء ، كفرغين حمام ناداهما الهيام بأجنحة مرفوعة ثابتة إلى العش الحبيب » .

(٧٩) ديدو (Dido) ملكة قرطاجنة التي عشقت لإنيفاس بعد موت زوجها ليست من المبعثات في حياة الإثم ولا تزال تسودها الأخلاق النيلية .

(٨٠) لم يمكنهما التأخر أمام نداء دانتي الحار وعبرا خلال الهواء الخبيث الأسود الملعون .

(٨١) لى العذاب الجليد الذى لم ير دانتى له مثيلا .

(٨٢) يعنى أن السهل رمل قاحل لا ينمو به أى نبات .

(٨٣) يحيط نهر أو مستنقع الدم بقابة المنتحرين كما يحيط بالقابة هذا السهل القاحل .

(٨٤) أى أقصى حافة السهل القاحل .

(٨٥) يشبه هذا الرمل صحراء ليبيا القاحلة .

(٨٦) ماركوس بورثيوس كاتو (٩٥ - ٤٦ ق . م . Marcus Porcius Cato) سياسى روماني من أنصار الجمهورية ومن تلاميذ المدرسة الرواقية. عارض كلا من قيصر وبومبي ولكن عندما قامت الحرب بينهما انضم إلى الأخير ، وهرب بعد معركة فارصاليا إلى أفريقيا وخلق بقوات بومبي بعد سير شاق فوق رمال ليبيا المحرقة وهزم قيصر هذه القوات ولم يقبل كاتو الهزيمة كما لم يرغب بالإنحياز إلى قيصر فأثر الانتحار . وسيجعله دانتى حارثاً للطريق إلى جبل المظهر :

Luc. Phars. x. 411...

Purg. I. 31.

ويوجد تمثال نصفي من المرمر يرمز لكاتو وإبنته وهو في متحف الفاتيكان . وتوجد عنه مؤلفات موسيقية مثل مؤلف فيفالدي (١٦٦٨ - ١٧٤١) ومؤلف جوهان كريستيان باخ (١٧٣٥ - ١٧٨٢) :

Vivaldi, A. : Catone in Utica, opera. Verona, 1737.

Bach, J. Ch. : Catone in Utica, opera. Napoli, 1761.

(٨٧) أى البحر الأبيض المتوسط .

(٨٨) يقصد العصر الذهبي لجزيرة كريت في عهد ملكها ساتورن كما جاء في الميثولوجيا اليونانية .

(٨٩) إيدا (Ida) جبل مرتفع في وسط جزيرة كريت .

(٩٠) في الميثولوجيا اليونانية أن ريا (Rhea) زوجة ساتورن أخفت إبنها جوبيتر في جبل إيدا لإنقاذه من بطش أبيه الذى اقترس بعض أبنائه :

Ov. Fasti, IV. 197—214.

(٩١) يقصد تمثالا كبيرا صنع من المعادن الأربعة التي تدل على العصور التي مرت بها البشرية كما ورد في « الكتاب المقدس » :

Dan. II. 31—33.

(٩٢) أدار التمثال ظهره لدمياط رمز الشرق واتجه إلى روما رمز الغرب ، واتخذ دانتى دمياط رمزا للشرق دون غيرها من العواصم لأن شهوتها وصلت أوروبا في عهد الحروب الصليبية وكانت لما تزال قائمة في عصر دانتى .

(٩٣) هذا هو الوادي أو الخلق الصابع حيث يذهب القنوص .

(٩٤) اقتبس دانتى هذا القول من لوكانوس :

Luc Phars. IX. 703...

(٩٥) الدخانة (chelydrus) أفعى تعيش أغلب الوقت في الماء ، وإذا سارت على الأرض أثارت التراب الذي يشبه الدخان في تضاعفه .

(٩٦) القفازة أو الطفارة (jaculi) أفعى تقفز من الأشجار على فريستها .

(٩٧) الحفارة (pareas) أفعى تحفر الأرض بذنبها .

(٩٨) الرقطاء أو النقطاء (cenchris) أفعى ذات جلد مرقش .

(٩٩) أفعوان (amphisbaena) أفعى تتحرك إلى الأمام وإلى الخلف ، ويطلق هذا اللفظ على ذكر الأفعى عامة ، وأورد لوكانوس صفات هذه الزواحف :

Phars. IX. 711...

(١٠٠) أي الزواحف السامة .

(١٠١) يقصد الصحارى الواقعة على ساحل البحر الأحمر أي صحارى بلاد العرب وصحارى مصر .

(١٠٢) أي لسان النار الأعلى وهذه إشارة إلى أوليسيس (Ulysses) من أبطال اليونان في حرب طروادة ، ويمثل أوليسيس البطل الشجاع الذي لا يعبأ بالمصاعب ويخرج إلى البحار المجهولة للكشف عن عالم جديد . وكان رأيه في المخاطرة سببا في هلاكه مع رفاقه ، وهو يعاقب في الجحيم مع الذين أبلوا خاذع الرأي .

(١٠٣) يشبه دانتى اللهب بلسان الإنسان عندما يهتز ويتحرك للكلام .

(١٠٤) كان لابد أن يطلق أو يقذف الكلمات التي اعترضتها النيران حتى تصل إلى مسامع الشعراء .

(١٠٥) تشيرتشى (Circe) ساحرة اجتذبت إليها أوليسيس بعد رجوعه من طروادة :

Virg. Æn. VI. 1—4, 10.

Hom. Od. X. 210...

(١٠٦) أطلق إينياس اسم مرضته جايتا (Gaeta) على هذه المدينة في جنوب إيطاليا :

Virg. Æn. VII. 1—4.

(١٠٧) تليماكوس (Telemachus) هو ابن أوليسيس .

(١٠٨) لايرتيس (Laertes) هو أب أوليسيس .

(١٠٩) پنيلوپ (Penelope) هي زوجة أوليسيس الوفية .

(١١٠) كانت رغبة أوليسيس في معرفة العالم والبشر أقوى من كل الروابط ونجد هنا روح دانتى المتوثب إلى المعرفة على رغم الأخطار .

(١١١) أي البحر الأبيض المتوسط .

(١١٢) هذا بالمقارنة بالبحر الأيوني عند ساحل اليونان .

(١١٣) أي الشاطئ الأندلسي والشاطئ الأفريقي .

(١١٤) يعني هائلة وكوونيكيا وجور البليار .

(١١٥) أي كانوا شيوخا لخوزتهم سرعة الشباب .

- (١١٦) يعنى بوغاز جبل طارق .
- (١١٧) عمودا هرقل على الشاطئ الأوروي (موضع جبل طارق) وعلى الشاطئ الأفريقي (موضع قمة بني حسن) هما الحد الغربي للعالم المعروف في ذلك العصر .
- (١١٨) أشيلية (Sibilia) على ساحل أسبانيا .
- (١١٩) سبته (Setta) على ساحل أفريقيا .
- (١٢٠) أى البابا بونيفاتشو الثامن أمير الفريسيين المنافقين الجدد الذين شابهوا الفريسيين المنافقين في عهد المسيح .
- (١٢١) كان قصر لاتيرانو (Laterano) مقر البابوات في روما في عهد دانتى وكانت قصور آل كولونا (I Colonna) على مقربة منه ، وقد حاربهم البابا وانتصر عليهم .
- (١٢٢) كان المفروض عند دانتى والمسيحيين أن يحارب البابا المسلمين واليهود لا المسيحيين وتأثر دانتى في هذا بروح العصر . على أننا نلاحظ أن محاربة البابا لأعدائه من المسيحيين في أرض إيطاليا دون العناية وقتل محاربة المسلمين واليهود معناه تغير العقيدة الأوروبية وضعف العامل الديني كسبب للحرب .
- (١٢٣) يعنى أن البابا كان عدواً للمسيحيين الذين لم يذهب واحد منهم للاشتراك مع المسلمين في فتح جهكا آخر معتقل للصليبيين في الشرق في ١٢٩١ . يعنى أن البابا عادى المسيحيين الخاصين الذين لم يخونوا المسيحية ولم يدانوا المسلمين ضد الصليبيين ، وفي هذا تهكم وسخرية من جانب دانتى .
- (١٢٤) ولم يتجر واحد من عادام البابا من المسيحيين مع المسلمين ولم يقدموا لهم الأخشاب أو الأسلحة التي تعمل على تقوية المسلمين في البر والبحر ، وكما فعل بعض التجار المسيحيين أو اليهود وعلى الأخص من البنادقة الذين خالفوا قرار البابا ضد التجارة في هذه المواد مع المسلمين وكانوا عنده جديرين وحطم بعداء البابا . وكان الملك الأشرف خليل بن قلاوون سلطان دولة المماليك البحرية (١٢٩٩-١٢٩٣) هو الذي استولى على عكا . وسلاطين مصر الذين عاصروا دانتى بعد ذلك هم الملك الناصر محمد (١٢٩٣-١٢٩٤) والملك العادل كتيبا (١٢٩٤-١٢٩٦) والملك المنصور لاجين (١٢٩٦-١٢٩٩) والملك الناصر محمد (السالف الذكر ١٢٩٩-١٣٠٩) والملك المظفر ركن الدين بيبرس الثاني (١٣٠٩-١٣١٠) والملك الناصر محمد (السالف الذكر ١٣١٠-١٣٤١) .
- (١٢٥) أى البابوية .
- (١٢٦) هذه كناية عن ثوب رهبان الفرقتشكان .
- (١٢٧) أى أن رهبان القديس فرنتشسكو كانوا يعيشون حياة الزهد والتقشف ولذلك لم تحف أجسامهم .
- (١٢٨) المقصود بأپوليا (Puglia) هنا كل المنطقة الجنوبية من إيطاليا .
- (١٢٩) هذا هو المقصود من لفظ (fortunata) .
- (١٣٠) أريق دماء كثيرة عندما قدم الطرواديون لبسط سلطانهم على جنوبي إيطاليا ٣٤٣-٢٩٠ ق . م .
- (١٣١) أى حروب روما وقرطاجنة (الحروب البونية) وعلى الأخص معركة كان ، وقرات هذه الحروب هي : ٢٦٤-٢٤١ ق . م . و ٢١٨-٢٠٢ ق . م . و ١٤٩-١٤٦ ق . م .

(١٣٢) يبنى خواتم الذهب التي قدما الرومان في حروبهم مع قرطاجنة .
(١٣٣) أى أن منظر الخندق أو الوادى التاسع كان أبشع من تجمع القتل والجرحى في الحروب منذ عهد طروادة حتى عصر دانتى .

(١٣٤) عندما تبطل يد الإنسان في الشتاء القارس يتصاعد منها البخار لا ارتفاع درجة حرارة الماء بملاسة الجسم .

(١٣٥) هذه جماعة من مزيفى الكلام الكاذبين الخادعين .

(١٣٦) أى عند موت أدامو دا بريشا (Adamo da Brescia) - الذى كان يحدث دانتى - في ١٢٨١ ، وهو مزيف العملة الفلورنسية .

(١٣٧) هى زوجة فوطيفار الوزير المصرى في عهد أحد ملوك الهكسوس في حوالى القرن ١٨ أو القرن ١٧ ق .م. وهى التى اتهمت يوسف الصديق بالباطل بمحاولة إغرائها واغتصابها وورد ذكرها في « الكتاب المقدس » :

Gen. XXXIX. 6—23.

وتوجد رسوم بالموزايكو في إحدى قباب سان ماركو في البندقية تسجل صوراً من تاريخ يوسف ومنها قصته مع زوجة فوطيفار .

وقد وضع پولارولو (١٦٥٣ ؟ - ١٧٢٢) ورايموندى (١٧٨٦ - ١٨٥٣) مؤلفين موسيقيين عن يوسف :

Pollorolo, G.F. : Joseph in Aegypt, oratorio. Venezia, 1707.

Raimondi, P. : Putifar, Giuseppe, Giacobbe, oratorio.

(١٣٨) سينون (Sinon) هو الذى جعل الطرواديين يأسرونه ثم حملهم على أن يدخلوا الحصان الخشبى داخل أسوارهم وبهذه الخديعة انتصر الإغريق :

Virg. Æn. II. 59...

(١٣٩) أنتيوس المارد (Antaeus) ابن نبتون والأرض ، لم يثر على الآلهة وقتله هرقل ولذلك فهو يتكلم دون قيود كما ورد في الميثولوجيا اليونانية :

Luc. Phars. IV. 593—660.

(١٤٠) هذا دليل على حجم المارد الهائل .

(١٤١) هو وادى باجرادا (Bagrada) بقرب زاما في شمالى أفريقيا والمقصود بالوادى المحتوم أنه وقعت به أحداث خطيرة .

(١٤٢) انتصر شيبون (Scipion) القائد الرومانى الملقب بالأفريقى على هانيبال (Annibale) ملك قرطاجنة في وادى باجرادا وتسمى المعركة زاما وبذلك انتهت الحرب البونية الثانية في ٢٠٢ ق .م .

وقد وضع هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) مؤلفاً موسيقياً عن شيبون :

Haendel, G. F. : Scipione, opera. London, 1726.

(١٤٣) أى لو أن أنتيوس انضم إلى إخوانه من المردة فى الثورة على الآلهة فربما كانوا ينتصرون على الآلهة .

(١٤٤) كوتشيتوس (Cocytus) هو نهاية نهر الجحيم الذى يتجمد فى الحلقة التاسعة .

(١٤٥) أى لوتشيفيرو (Lucifero) - إبليس .

(١٤٦) حاول بعض النقاد تحديد حجم لوتشيفيرو وجعل بعضهم طول ذراعه ٤١٠ متراً وطوله كله ١٢٣٠ متراً !

(١٤٧) يرى بعض النقاد أن المقصود بوجوه لوتشيفيرو الثلاثة مقابلة الأقاليم الإلهية الثلاثة عند المسيحيين .

(١٤٨) الوجه الأمامى ذو اللون الأحمر رمز الكراهية .

(١٤٩) الوجه الأيمن بين الأبيض والأصفر رمز العجز .

(١٥٠) الوجه الأيسر فى لون الإثيوبيين - حيث ينبع نهر النيل - رمز الجهالة عند دانتي .

وأشكر الزميلين الأستاذين الدكتور إبراهيم رزقانة والدكتور حمدى البكرى بجامعة القاهرة على ما تفضلا بإبدائه من بعض أوجه رأى القيمة .

مكتبة البحث

أولا - مؤلفات دانتى :

(أ) في نصوصها :

Dante Alighieri : La Divina Commedia :

col commento di P. Fraticelli. Firenze, 1902.

nel testo della Società Dantesca Italiana, esposta e commentata da E. Mestica. Firenze, 1921.

con il commento di T. Casini rinnovata e accresciuta per cura di M. Barbi. Firenze, 1932.
commentata da L. Pietrobono. Torino, 1932.

testo critico a cura di M. Casella. Bologna, 1949.

col commento di G. A. Scartazzini rifatto da G. Vandelli. Milano, 1949.

commentata da A. Momigliano. Firenze, 1950.

presentazione di M. Appolonio, 6 voll. (ed. Fabri) Milano, 1965.

Le Opere di Dante Alighieri, a cura di E. Moore, nuovamente rivedute nel testo da P. Toynbee. Oxford, 1924.

Dante, Opere, a cura di Manfredi Porena e Mario Pazzaglia. Bologna, 1966.

Opere Minori. Firenze, 1935.

(ب) بعض ترجمات (إنجليزية وأمريكية) :

The Divine Comedy, trans. by H. F. Cary. Florence ?

The Divine Comedy, trans. J. B. Fletcher, with Botticelli Sketches. New York, 1931.

The Divine Comedy, trans. by M. Anderson. U.S.A. ?

The Divine Comedy, trans. by J. Carlyle, Ph. Wicksteed and Th. Okey. U.S.A., 1944.

The Divine Comedy, trans. by L. G. White. New York, 1948.

The Divine Comedy, trans. by J. D. Sinclair. London, 1948.

The Comedy of Dante Alighieri, Cantica I. Hell. trans. by D. L. Sayers. Edinburgh, 1949.

La Divina Commedia with an English trans. by H. M. Ayres. New York, 1949-1953.

The Inferno, trans. by J. Ciardi. New Brunswick, 1954.

The Divine Comedy of Dante Alighieri, English translation by L. Biancolli, 2 vols. New York, 1966.

(ج) بعض ترجمات فرنسية :

La Divine Comédie, trad. par A. Pèraté. Paris, 1921.

La Divine Comédie, trad. par H. Longnon. Paris, 1938.

La Divine Comédie, trad. par A. Brizeux. Paris 1943.

La Divine Comédie, trad. par A. Masseron. Paris, 1947-1950.

Dante, Œuvres Complètes, traduction et commentaires par A. Pèzard (La Pléiade).
Tours, 1965.

(د) ترجمات عربية :

الرحلة الدائنية في الممالك الإلهية : الجحيم - المطهر - النعيم .

ترجمة عبود أبي راشد . طرابلس الغرب ، ١٩٣٠ - ١٩٣٢ .

جسيم دانتى : ترجمة أمين أبو شعر . القدس ، ١٩٣٨ .

كوميديا دانتى أليجييرى و الفلورنسى مولدا لا خلقا .

النشيد الأول : الجحيم . ترجمة حسن عثمان . الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ . الطبعة

الثانية المزيّدة المنقحة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

ثانيا - بعض المراجع :

Dante, Essays in Commemoration. London, 1921.

De Sanctis, F. : Saggi Critici. Milano, 1921.

De Sanctis, F. : Storia della Letteratura Italiana. vol. I., Milano, 1934.

Gustarelli, A. : Dizionario Dantesco. Milano, 1946.

Hauvette, H. : Histoire de la Littérature Italienne. Paris, 1932.

Palhories, F. : Dante e La Divine Comédie. Paris, 1936.

Papini, G. : Dante Vivo. Firenze, 1943.

Papini, G. : Storia della Letteratura Italiana. vol. I. Milano, 1935.

Toynbee, P. : Dante Dictionary. Oxford, 1898.

Toynbee, P. : Dante Studies and Researches. London, 1902.

Tozer, H.E. : An English Commentary on Dante's Divina Commedia. Oxford, 1901.

Wilkins, E.H. : A History of Italian Literature. Cambridge. U.S.A., 1954.

Zingarelli, N. : La vita, I Tempi e le Opere di Dante. 2, voll. Milano, 1948.

حسن عثمان : فرنتشكا دا ريميني عند دانتى أليجييرى .

مجلة كلية الآداب بجامعة (القاهرة) مجلد ١١ ج ١ ، القاهرة ، مايو ١٩٤٩

حسن عثمان

Hassan Osman

الاستعمار البرتغالي في أنجولا

(مرحلة الغزو) ١٤٨٢ - ١٨٣٦

The Portuguese Imperialism in Angola The Period of Conquest 1482—1836

In the eve of 1482 the Portuguese navigator Diogo Cao discovered the mouth of the Congo river, erected a monument, and returned to Portugal with four Captured Africans.

After 15 months he returned to the Congo coast with the captures and gifts for the king of the Congo. After giving these gifts he discovered the coast which is known now as Angola coast.

The king of the Congo asked the Portuguese king for technical and religious aids. The Portuguese took the chance and sent a small party of religious and trading men in 1490. This mission was the first start of Portuguese intervention in the affairs of the Congo kingdom, and led to the occupation of the land in latter years. The period from 1482—1836 was distinguished by the Portuguese armed intervention in Angola.

تقع أنجولا في غرب إفريقيا بين خطي عرض ٢٢° وخط ١٧٣° جنوبي
خط الاستواء، وبين خط طول ١١° وخط طول ٢٤° شرقي جرينتش (١).
وتبلغ مساحتها حوالي ٤٨٠٠٠٠ ميل مربع . وتتكون من قسمين منفصلين هما

F. O. Hist. Sect. : Angola, N°. 120, P. 1 ; U. N. G. A. : Angola (1)
(Special Committee) A/A. C. 109/L. 451/Add I. 17 Apr. 1967, P. 2.

كابندا ، وتقع شمال نهر الكنفو ، وتبلغ مساحتها حوالي ٣٠٠٠ ميل مربع ، ويحدها من الغرب المحيط الأطلنطي ، ومن الشمال والشرق والجنوب أفريقيا الاستوائية والكونجو كينشاسا . ويقع القسم الثاني وهو القسم الرئيسي جنوبي نهر الكونجو مباشرة ، ويحده من الشمال الكونجو كينشاسا ومن الشرق روديسيا الشمالية والكونجو كينشاسا ، ومن الجنوب المنطقة التي كانت معروفة باسم جنوب غرب أفريقيا الألمانية (١) .

وتعتبر مستعمرة أنجولا منطقة انتقالية فيما يتعلق بالمناخ والنبات والارتفاع . وتنقسم الى ثلاث مناطق جغرافية متميزة : الأولى منها أراضي ساحلية منخفضة يزيد اتساعها قليلا عن مائة ميل ، وتمتد من الحدود الجنوبية للمستعمرة الى قرب مصب نهر الكونجو في الشمال وتلي المنطقة الساحلية هضبة منخفضة ضيقة يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠٠ و ٣٥٠٠ قدم فوق سطح البحر . أما المنطقة الثالثة فهي هضبة حقيقية تتكون من مجموعة من الهضاب يتراوح ارتفاعها بين ٤٠٠٠ و ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وتنتج الى الشرق .

ويخترق المستعمرة عدة أنهار مهمة هي الكونجو وكازاي والزيمبيزي وكوانزا وكوين . ويعتبر نهر كوانزا من أكبر أنهار أنجولا باستثناء نهر الكونجو ، وهو مفتاح الطريق الى الأراضي الداخلية الواقعة شرقي لواندا فيما يختص بالتجارة والاستعمار البرتغاليين ، واتخذ البرتغاليون منذ القدم طريقا للتوسع البرتغالي في الداخل ، وله أثر كبير في تفضيل المنطقة الواقعة شماله ، وتركيز الجهود الأوروبية لاستغلال تلك المنطقة التي تضم مقاطعات جولونجو وكازينجا العليا . وتعتبر تلك المنطقة من أغنى مناطق المستعمرة (٢) . ونهر كوانزا صالح للملاحة لمسافة ١٢٠ ميلا حتى مسقط كامبامبي يصبح بعدها غير صالح للملاحة . وقد استوطن كثير من البرتغاليين بجوار النهر أو على الهضبة على بعد قليل منه (٣) . أما نهر كوين فليس له أية قيمة كطريق مائي للوصول الى المنطقة الداخلية من أنجولا لسبب الرمال لمصبه ، ولوجود مساقط مائية على

F. O. Hist. Sect. : op. cit. P. 1.

(١)

Van Dongen, J. S. : Angola, (A. G. S.) Vol. II, N°. 2.

(٢)

Whittlesey, D. S. : Geographic Provinces of Angola (G. R.) Vol.

(٣)

I, N°. 4, PP. 523—540.

بعد أميال قليلة من المصب (١) . وتصب أنها الكونجو وكوايزا وكوفين في المحيط الأطلنطي ، بينما يصب الزمبزي في المحيط الهندي . وتعتبر لواندا وبنجويلا من أهم موانئ أنجولا وتقع على ساحل المحيط الأطلنطي (٢) .

ويمكن تقسيم مستعمرة أنجولا الى ستة أقسام رئيسية هي لواندا وحدود الكونجو وبنجويلا وموزامبيدس والزمبزي الأعلى وحدود صحراء كلهارى . وتقع أقسام لواندا وبنجويلا وموزامبيدس على ساحل المحيط الأطلنطي ، وتمتد الى الداخل شرقا . أما المناطق الثلاث الأخرى فهي مناطق داخلية قليلة السكان ، ونشاطها الاقتصادي قليل باستثناء بعض الأماكن المنعزلة وهذه المناطق غير مرغوبة عند الأوروبيين بسبب طقسها غير الصحي . ومنطقة لواندا هي أول منطقة بدأ فيها النشاط البرتغالي بعد مملكة الكونجو ، وأرضها الساحلية منخفضة منعزلة وتربتها فقيرة في العناصر الغذائية ، وتحصل لواندا على ما يلزمها من ماء عذب ومواد غذائية من الشمال ، وترتفع أراضيها تدريجيا ، ويمكن الوصول الى الهضبة الواقعة شرقي لواندا بسهولة لتدرج ارتفاعها عن الهضاب الموجودة في جنوب مستعمرة أنجولا (٣) . وقد نتج عن سهولة الوصول الى هضبة لواندا انتشار المستوطنات البرتغالية شرقي لواندا ، وأصبحت تمتد على بعد ١٨٠ ميلا من ميناء لواندا (٤) .

أما منطقة بنجويلا - التي أطلق عليها لقب قلب مستعمرة أنجولا لموقعها المتوسط وأهميتها كم منطقة سكنية - فقد اعتقد البرتغاليون أن أراضيها الساحلية المنخفضة غير صحية في أثناء قرون عديدة على الرغم من أنها تفضل منطقة لوايدا الساحلية . وتربة منطقة بنجويلا خصبة ، وتفضل تربة منطقة موزامبيدس ،

Houk, R. J. : Recent developments in the Portuguese Congo (G. R.) (١)
Vol, XLVIII, N°. 2, PP. 201—221, Wittlesey, D. S. : op. cit. vol. XIV, N°. 1, P. 125.

Da Cruz, J. R. : Geographia de Angola, P. 49. (٢)

Whittlesey, D. S. : op. cit. PP. 122—126. (٣)

(٤) أنشئت مستوطنة يونجو أندنجو في سنة ١٦٧١ ، وتعتبر أبعد مستوطنة أوروبية في داخل مستعمرة أنجولا ، وبقيت مدينة حدود ومركزا عسكريا برتغاليا لأكثر من قرن من الزمان رغم وصول التجار الأوروبيين الى أسواق كاسانجي التجارية التي تقع شرق يونجو أندنجو .

والوصول الى الهضبة الواقعة وراء بنجويلا من الساحل صعب بسبب وعورتها ووجود أعلى جبال المستعمرة البالغ ارتفاعها ٨٠٠٠ قدم في تلك المنطقة • وجو الهضبة الواقعة وراء بنجويلا صحى ومناسب لاستيطان البيض ، ويشبه في ذلك جو الهضاب الواقعة في جنوب مستعمرة أنجولا • وعلى الرغم من مشابهة جو تلك الهضبة لجو البرتغال الا أنه لم تحدث محاولة جماعية أوروبية للاستفادة منها حتى منتصف القرن اثنامن عشر ، ويرجع ذلك الى صلاحية نهر كوانزا في الشمال للملاحة مما حول انتباه المستعمرين البرتغاليين الى استغلال المنطقة الشمالية من المستعمرة • ومن العوامل التى ساعدت على تحويل أنظار البرتغاليين من البداية عن استعمار هضبة بنجويلا صعوبة المواصلات الداخلية على الهضبة التى يخترقها عدد كبير من المجارى المائية التى لا يمكن عبورها فى فصل الأمطار (١) •

وتقع منطقة موزامبيدس على الساحل جنوبى بنجويلا ، وهى آخر منطقة أنشئت فيها مستوطنات أوروبية • والمنطقة الساحلية جافة وترتفع الهضبة ارتفاعا حادا فى اتجاه الشرق ، والوصول اليها صعب لوجود سلسلة جبال شيلا التى تعتبر العقبة الرئيسية بين الساحل والأراضى الداخلية • ويندر سقوط المطر فى المنطقة الساحلية • وتعتبر المنطقة الداخلية فى موزامبيدس من أجف المناطق ، وأغلب المنطقة الواقعة شرق وجنوب موزامبيدس جافة جدا ولا يمكن للأوروبيين الانتفاع بها بدون مشروعات رى كبرى • ولا يوجد بجبال شيلا سوى ممرات قليلة صالحة للمرور من الساحل الى الهضبة (٢) •

ومنطقة حدود صحراء كلهارى عديمة القيمة الاقتصادية بصفة عامة وتمتد فى اتجاه جنوب غرب أفريقيا • أما منطقة حدود الكونجو التى دخلها البرتغاليون فى أواخر القرن الخامس عشر وكان جوها ومصادر ثروتها مشبها لهمم المستعمرين ، فهى تحتوى على غابة كثيفة وأرضها منخفضة وجوها غير صالح لسكنى الأوروبيين (٣) •

Whittlesey, D. S. : op. cit., PP. 117—119.

(١)

Houk, R. J. : op. cit. PP. 201—221, Whittlesey, D. S. : op. cit.

(٢)

P. 125.

Houk, R. J. : op. cit., PP. 201—221, Whittlesey, D. S. : op. cit.

(٣)

P. 125.

وتقع عاصمتها ساو سلفادور على هضبة منخفضة في موقع منعزل نسبيا ، وتبعد حوالي ١٠٠ ميل عن أقرب نقطة لنهر الكونجو وحوالي مائتي ميل عن الساحل الغربي لأفريقيا . وقد ثبت أن جو وموقع المنطقة غير مفيد لتقدمها الاقتصادي ، ولهذا حلت لواندا التي أنشئت في سنة ١٥٧٥ محل ساو سلفادور كمكان مركزي للنشاط والتوسع البرتغالي في الداخل . وتوجد منطقة كابندا شمالي نهر الكونجو وهي جزء من مقاطعة الكونجو ، وجوها غير صحي بالنسبة للأوروبيين ، ويوجد على ساحلها عدد قليل من الموانئ الصالحة ، وأراضيها الداخلية غابات استوائية مطيره تبلغ نسبة البخار بها ٨٨٪ (١) .

وتقع منطقة الزمبيزي الأعلى في شرق مستعمرة أنجولا ، وهي عبارة عن جزء من منطقة وسط افريقيا ، وتمثل خط تقسيم المياه بين نهري الزمبيزي الأعلى ونهر كازاي ، وأغلبها هضبة صحراوية تتحدر في اتجاه الشرق الى منطقة أحواض المستنقعات الموبوءة بمرض الملاريا . وتنتشر في المنطقة ذبابة التسي التي تسبب مرض النوم . ويوجد بالمنطقة عدد من الأنهار تفيض مياهها أغلب أيام السنة مما يجعل عملية انشاء الطرق والكبارى صعبة جدا (٢) .

ويمكن تمييز فصلين جويين في أنجولا هما فصل المطر الذي يبدأ في شهر سبتمبر ويستمر حتى أوائل مايو ، وفصل الجفاف أو الضباب ويبدأ من أوائل شهر مايو ويستمر حتى أواخر شهر أغسطس . وقد أطلق عليه اسم فصل الضباب لانتشار الضباب بكثرة كل صباح ، ويعتبر شهرا مايو وسبتمبر انتقاليان في أنجولا (٣) . وتنتشر الأمراض التي تصيب الغنم بالمستوطنات الأوروبية في فصل المطر . ونظرا لقصر فصل الجفاف الصالح للمواصلات فان الحملات العسكرية البرتغالية الى المنطقة الداخلية من أنجولا أصبحت مقيدة به ، كما أدى الى عدم استيطان الأوروبيين في الأراضي الداخلية بعيدا عن الساحل (٤) . وكان للجو أثره على الاستيطان البرتغالي في أنجولا اذ أن المستعمرين البرتغاليين لما وجدوا

da Cruz, R. : op. cit. P. 62.

da Cruz, R. : Ibid. P. 76.

da Cruz, R. : Ibid. P. 76.

Wittlesey, D. S. : op. cit. P. 115.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

منطقة مملكة الكونجو والأراضي الساحلية رطبة غير صالحة لسكنائهم بحثوا عن المناطق المرتفعة ذات الجو البارد ، وركزوا جهودهم في المنطقة المحيطة بلواندا (١) .

وكان الجو هو شغل البرتغاليين الشاغل واعتبروه عدوهم الأكبر ، وقد نتج عن عدم ملائمة الجو موت الكثير منهم ، وأصبح الذين استطاعوا التغلب عليه في حالة يرثى لها . وقد كتب مؤلف مجهول في القرن السابع عشر يصف جو أنجولا وتأثيره على صحة البرتغاليين فقال أنه « ينظر إلينا من عليائه بوحشية ، ويشن علينا حربا دموية يشترك فيها مع وعورة الأرض وشدة الوباء . وتؤدي الحرارة الشديدة الى انتشار الحمى الخبيثة التي تصيب الانسان مدة تتراوح بين ثلاثة وسبعة أيام ، وتقضي عليه ، وتؤدي الى دفن أكثر الناس قوة وتحملات تحت سطح الأرض (٢) ، وتنتشر حمى الملاريا في أغلب مقاطعات الكونجو وتتركز في السهل الساحلي المحصور بين نهري الكونجو وكوانزا ، وفي أغلب أودية الأنهار الواقعة في شمال المستعمرة كما تظهر حمى الملاريا في المناطق المرتفعة في الفترات التي تهطل فيها الأمطار بشدة . وينتشر مرض النوم في المنطقة الواقعة شمالي خط عرض ١٢° جنوبي خط الاستواء (٣) .

كان الملاح البرتغالي ديوجو كاو أول من وصل الى نهر الكونجو في أواخر سنة ١٤٨٢ أو أوائل سنة ١٤٨٣ فنزل الى الساحل بالقرب من مصب النهر ، وأقام أول نصب تذكاري حجري يحمل في أعلاه أسلحة برتغالية ونقش عليه الشعار البرتغالي بناء على تعليمات جاو الثاني ملك البرتغال الذي أمر بوضع نصب تذكارية في المناطق التي يكتشفها البرتغاليون . وبذلك العمل أصبحت المنطقة تعرف باسم رأس بادرو أو رأس بادرون نسبة الى النصب التذكاري ثم أبحر كاو في نهر الكونجو حتى وصل الى المساقط المائية التي تعترض مجرى النهر وتقع على بعد ١١٥ ميلا من مصب النهر ، ويؤيد ذلك وجود نقش

(١) Cadornega, A. O. : Historia das Guerras Angolanas, Vol. III, P. 383.

(٢) F. O. Hist. Sect. : op. cit. P. 13, Duffy, J. : Portugal in Africa, PP. 38—39, Prestage, E. : The Portuguese Pioneers, PP. 206—208, Chalcote, R. H. : Portuguese in Africa, P. 62.

(٣) Simmons, J. S. : Global Epidemiology, vol II, PP. 324—334.

محفور على صخرة مرتفعة عن الماء في المنطقة يسجل تلك الحقيقة • وقد عمد كاو الى انشاء علاقات صداقة مع الزعماء الوطنيين وترك أربعة من رجاله بالمنطقة ، وزودهم بالهدايا لتقديمها لملك الكونجو ثم تابع رحلته جنوبا متتبعا الساحل الافريقى حتى المنطقة الجرداء • ولما عاد « كاو » من رحلته علم باحتجاز رجاله الأربعة في بلاط ملك الكنغو فأسر في مقابلهم أربعة من الافريقين لضمان سلامتهم ، ووعد الزعيم الافريقى المحلى بالعودة بهم سالمين بعد خمسة عشر شهرا • وقد اعتبر ملك البرتغال ورجال حاشيته عمل كاو هذا من أبرع الأعمال الدبلوماسية (١) •

ولما كان « جاو الثانى » ومستشاروه يعتقدون أن قيام تحالف بين البرتغال ومملكة الكنغو سيكون فرصة ذهبية يستفيد منها البرتغاليون في محاولة اختراق القارة الافريقية والبحث عن مملكة القس يوحنا فقد عملوا من جانبهم على اظهار ما يؤثر في الافريقين الأربعة واظهار الفائدة التى قد يجنونها من غنى وقوة البرتغال ، وبالتالي تحويلهم الى رسل لنشر نوايا البرتغال الطيبة • وكان الافريقيون الأربعة ذوى فائدة كبيرة في ابلاغ النوايا البرتغالية الطيبة لملكهم ، والفوائد التى يمكن لمواطنيهم الحصول عليها من صداقة الأوربيين ، وقد قاموا بذلك العمل أحسن من أى سفير برتغالى (٢) •

حافظ كاو على وعده ورجع الى ساحل الكنغو في أواخر سنة ١٤٨٤ أو أوائل سنة ١٤٨٥ • وكانت عودته أكثر نجاحا من أى رحلة كشفية سابقة • وكان يحمل معه هدايا قيمة لملك الكنغو ، والرسائل التقليدية التى يعلن فيها البرتغاليون أملهم في اعتناق ملك الكنغو الديانة المسيحية ، ثم تابع رحلته الساحلية جنوبا حتى وصل الى خط عرض ٢٢° جنوبى خط الاستواء • وعلى هذا يكون « كاو » قد اكتشف كل ساحل أنجولا الواقع بين مصب نهر كونين وخط عرض ١٧° جنوبى خط الاستواء • وقد استجاب ملك الكنغو لرسالة ملك البرتغال وأرسل مجموعة صغيرة من أتباعه الى البرتغال لتلقى العلوم الأوروبية ، وطلب من الملك جاو ارسال المبشرين والبنائين والتجار البرتغاليين

(١) Duffy, J. : op. cit. P. 39, Chilcote, R. H. : op. cit. P. 62.

(٢) Duffy, J. : op cit. p. 39, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 26.

لتعليم الكنفو الديانة المسيحية ، والحضارة الأوروبية ، وطرق التجارة الحديثة . ولم يتوان ملك البرتغال في تلبية تلك الرغبة ، وأرسل أسطولاً من ثلاث سفن وصل إلى نهر الكنفو في سنة ١٤٩٠ يحمل القسس والعمال الفنيين والآلات وبعض المعدات الدينية . وكان هدف الحملة سلمياً لتحويل الوطنيين إلى الديانة المسيحية ، وعقد تحالف مع ملك الكنفو . وكانت النتائج الأولى مبشرة بالخير إذ اعتنق ملك الكنفو وابنه أفونسو ونبلاء البلاط الديانة المسيحية وبدء القسس والفنيون البرتغاليون في عملهم التعليمي في مبانزا عاصمة الكنفو (١) .

وتعتبر الفترة من سنة ١٤٩٢ حتى اعتلاء أفونسو عرش أبيه في سنة ١٥٠٦ من الفترات الغامضة في تاريخ مملكة الكنفو ، ولا يعرف من حوادثها إلا القليل ، ويظهر أن البرتغال لم ترسل الرجال والامدادات بانتظام ، وبمضي الزمن ارتد ملك الكنفو العجوز إلى ديانة وتقاليد شعبه ، ووقف ضد رغبات القسس الذين بقوا في مملكته . وعلى هذا فقد واجه أفونسو عند اعتلاء عرش الكنفو معارضة شديدة من النبلاء الذين اشتغلوا بتجارة الرقيق مع جزيرة ساو تومي ، وأجابت به الدسائس التي أخذ يحييها سكان ساو تومي منذ بداية حكمه . وقد حول سكان ساو تومي مملكة الكنفو إلى مستعمرة تجارية وسياسية للجزيرة وكرسوا كل جهودهم للحصول على الرقيق من الكنفو . وحتى البعثة التبشيرية التي أرسلتها البرتغال للعمل في الكنفو في سنة ١٥٠٥ لم يستطع مقاومة تجارة الرقيق ، وانغمس من بقي من أفرادها حياً في تجارة الرقيق . وقد اشتكى أفونسو من خلاعة وفجور هؤلاء القسس ، ومن عمليات السلب والنهب التي يمارسها سكان جزيرة ساو تومي ببلاد الكنفو (٢) .

استجاب ملك البرتغال لصرخات أفونسو ، وتحرك في سنة ١٥١٢ لحل أزمة الكنفو فبعث سيماو دا سيلكا بوثيقة غير عادية أطلق عليها اسم التنظيمات وتعتبر إحدى العلامات البارزة في سياسة البرتغال الاستعمارية . وتتكون تلك

(١) F. O. Hist. Sect. : op. cit. p. 14, Duffy, J. : op. cit. pp. 39—40, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 62.

(٢) Chilcote, R. H. : Ibid. pp. 62—63, Duffy, J. : op. cit. pp. 40—41.

التنظيمات من أربعة أقسام رئيسية : القسم الأول منها يتعلق بالمساعدات والارشادات التي سيقدمها المبعوث البرتغالي لتنظيم مملكة الكنفو ، وانشاء محكمة برتغالية في مبانزا ، والقسم الثاني قصد به ضمان نجاح البعثة ، وازالة الأضرار التي حدثت في الفترة السابقة ، وإعادة تنظيم البيت التجارى البرتغالي في الكنفو . ويختص القسمان الآخران من التنظيمات بالشئون الاقتصادية والجغرافية . وفي الواقع كانت التنظيمات البرتغالية تهدف الى تحويل مملكة الكنفو الى محمية برتغالية يعتمد على النصيح والارشاد البرتغالي ، وتحقيق رغبات ملك البرتغال في حدوث اندماج تدريجي للشعب الافريقى في الشعب البرتغالي . وكان تنفيذ ذلك النظام يحتاج الى مقدرة أكبر من مقدرة البرتغال (١) .

أصبحت جزيرة ساو تومى أهم ميناء لتجارة الرقيق في غرب افريقيا ، وتولى التاج البرتغالي حكمها في سنة ١٥٢٢ . وقد بعث الملك أفونسو بخطابات ورسل الى لشبونة يلتمس عبثا ارسال معلمين وقسس لحماية بلاده من تجار ساو تومى الذين لا يمكن الاعتماد عليهم ورجا في أحد خطاباته ملك البرتغال عدم تركه بدون حماية أو السماح بالقضاء على المسيحية في بلاد الكنفو ، وأعلن عدم استطاعته عمل شيء بمفرده ، ولكن خطاباته وتوسلاته كان مصيرها الاهمال ، وكان أكثرها يحول الى جزيرة ساو تومى ، وأصبحت بلاد الكنفو في منتصف العقد الثالث من القرن السادس عشر في حالة غليان شديد . وأدت تجارة الرقيق التي استمرت فترة خمسة وعشرين عاما الى تحويل مناطق بأكملها الى مناطق شبه خالية من السكان ، وتقلصت سلطة الملك أفونسو من البلاد (٢) .

وقد ضم من بقى من الموظفين البرتغاليين في الكنفو صوتهم الى صوت الملك أفونسو ، وناشدوا ملك البرتغال مد يد المساعدة لمملكة الكنفو ، وأقسموا له أن متاعب السكان الكنفوليين ترجع أساسا الى أنانية وجشع التجار البرتغاليين ، وطلبوا استبدال جميع الموظفين المدنين بالكنفو ، ووضع

Duffy, J. : Ibid. pp. 41—42, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 63.

(١)

Duffy, J. : op. cit. p. 42.

(٢)

تجارة الرقيق بالمنطقة تحت اشراف ملك البرتغال المباشر • ولم تجد تلك
الالتماسات أذنا صاغية في البرتغال ، وتحولت الكنفو في الفترة الأخيرة من
حكم الملك أفونسو الى ما يشبه القوضى ، وانتشر فيها الفساد ، ويش آفونسو
من مساعدة البرتغال ، واستغل البرتغاليون الفرصة وتدخلوا فيما لا يعنيههم ،
وأثاروا الفتن ووضعوا الخطط للاستيلاء على السلطة في البلاد • ولم يكن
عدد البرتغاليين في الكنفو يزيد في تلك الفترة عن مائتي رجل ، ورغم قلة
عددهم الا أنهم كانوا يتمتعون بنفوذ كبير يفوق عددهم بمراحل • وأصبح
أولادهم من النساء الافريقيات حلقة الوصل بينهم وبين الكنفوليين ووكلاء لهم
في تجارة الرقيق ، وارتكبوا من الفظائع ما جعلهم مسئولين مثل آبائهم عن
الغليان المستمر في مملكة الكنفو (١) •

وبوفاة الملك أفونسو الأول في أوائل العقد الرابع من القرن السادس عشر
انتهى آخر أمل في نجاح تجربة البرتغال في الكنفو ، وانفجر الحقد الوطني الذي
تراكم في صدور الأهالي في شكل ثورة عارمة انتهت بانتصار ديوجو ابن أخت
الملك على بيدرو ابن أفونسو واستمرت مملكة الكنفو في الانحدار كما استمرت
تجارة الرقيق بدون رادع • وبوصول أول بعثة يسوعية تتكون من ثلاث
قسس ومدرس علماني في سنة ١٥٤٨ حدثت فترة بسيطة من الاستقرار والنظام
في الكنفو ، ونشط أعضاء تلك البعثة وعمدوا ألفين ومائة من الكنفوليين في
مدة أربعة أشهر ، وبنوا ثلاث كنائس جديدة أطلقوا على أحداها اسم كنيسة
المنقذ Saviour ، ومن هذا الاسم حصلت مبانزا على اسمها الجديد ساو
سلفادور - أي القديس المنقذ • ولم يستمر نجاح المبشرين ، ووقعوا في
الأخطاء التي وقع فيها من سبقهم من المبشرين فتآمروا ضد ملك الكنفو ،
وانغمسوا في تجارة الرقيق ، وخلقوا العداء لأنفسهم في كل مكان ، واضطر
من بقي منهم الى مغادرة الكنفو في سنة ١٥٥٢ يجرون أذيال الفشل ووصلت
بعثة يسوعية أخرى في سنة ١٥٥٣ منيت بالفشل مثل سابقتها (٢) •

Duffy, J. : Ibid. pp. 42—43.

(١)

Duffy, J. : Ibid. p. 43, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 63.

(٢)

وإذا كان ديوجو قد وصل على عرش الكنفو في حمامات من الدم فإن موته كذلك جعل الدماء تسيل بغزارة مرة أخرى ، وقامت حرب أهلية اشترك فيها الأفريقيون والأوروبيون بدون تمييز . وباتتهاء فترة العنف تمتعت الكنفو مرة أخرى بفترة سلام في العقد السادس من القرن السادس عشر ، ولم تكن الفترة سوى السكون الذي يسبق العاصفة فقد اجتاحت قبائل الجاجا Jaga المتوحشة بالاشتراك مع قبائل أنزيكو Anzico مملكة الكنفو في سنة ١٥٦٨ ، واضطر بلاط ملك الكنفو والجالية البرتغالية الى الالتجاء الى جزيرة في وسط نهر الكنفو طلبا للأمن والسلامة ، والتمسوا من ملك البرتغال تقديم يد المساعدة لهم . واستجاب ملك البرتغال لطلبهم وأرسل في سنة ١٥٧٠ فصيلة من الجنود البرتغاليين يقدر عددها بستمئة جندي طردت الغزاة من مملكة الكنفو وأعادت ملك الكنفو الى عاصمة ملكه . واعترافا بذلك الجميل اعترف الفارو ملك الكنفو رسميا بتبعيته لملك البرتغال ، وتعهد بإرسال جزية سنوية الى لشبونة . وقد اختفت أكثر مظاهر الحياة البرتغالية من الكنفو في سنة ١٦١٥ ، وتوفي أو هرب أو اندمج من بقى من المستوطنين البرتغاليين في البلاد . وقد اشتكى الأسقف مانويل بابتيستا M. Baptista أسقف الكنفو من التضحيات التي يقدمها الآباء البيض دون جدوى في جو غير صحي وبين شعب يختلف عنهم في العقيدة والعادات (١) .

أبحر ديوجو كاو في رحلته الثانية جنوبا على ساحل أنجولا ، وترتب على تلك الرحلة زيارة تجار جزيرة ساو تومي لجزيرة لواندا مرات عديدة في أوائل القرن السادس عشر . وقد طلب ملك أنجولا في سنة ١٥١٩ من ملك البرتغال إرسال بعثة من التجار والقسس الى أنجولا كما حدث في الكنفو ، وأرسل مع الطلب عينة من الفضة الموجودة في مناجم بلاده . ولما كان البرتغاليون يرغبون في الحصول على الفضة فقد أرسلوا بعثة صغيرة الى أنجولا . ولم تنجح البعثة في تنفيذ شيء من التنظيمات البرتغالية ، وانتهى الأمر باهمال المصالح البرتغالية في أنجولا مدة أربعين سنة ، ولم يكن لتلك البعثة من أثر سوى تحويل تجارة الرقيق وما يصحبها من مشاكل من مملكة الكنفو الى مملكة أنجولا . وحدثت

(١) F. O. Hist. Sect. : op. cit. pp.15—16, Duffy, J. : op. cit. pp. 43—44, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 63.

في سنة ١٥٥٦ حروب بين جيش الكنفو المؤيد بالبرتغاليين وبين القوات الأنجولية (١) . وقد احتج ملك أنجولا على مساعدة البرتغاليين لجيش الكنفو، وأرسلت الحكومة البرتغالية « باولو دياز دي نوفاس » الى أنجولا في سنة ١٥٥٩ لتقصي الحقائق . وقد وجد « دياز » آثارا للمسيحية بين سكان بونجو ندنغو عاصمة أنجولا الواقعة على نهر كوانزا (٢) . ولم يسمح الأنجوليون لـدياز بالعودة الى البرتغال قبل خمسة أعوام ، ومنحوه عددا من الرقيق وكمية من النحاس والعاج (٣) .

عاد باولو دياز دي نوفاس الى لشبونة في سنة ١٥٦٥ ، وأقنع ملك البرتغال بمنحه امتياز لاستغلال منطقة أنجولا . وبمساعدة الآباء اليسوعيين حصل في سنة ١٥٧١ على الامتياز المطلوب مدى الحياة ، ومنحه الملك لقب مالك وسيد الأرض . وكان على باولو في نظير ذلك الامتياز تكوين جيش من أربعمائة جندي لحماية منطقة امتيازهم ، وتوطين مائة أسرة برتغالية يتكون كل منها من زوجين وتزويدهم بالحبوب والآلات اللازمة ، واكتشاف مناجم الفضة التي قيل أنها موجودة في كامبامبي والسيطرة عليها ، وبناء ثلاث قلاع في المنطقة الواقعة بين نهري داندو وكوانزا ، واستغلال تجارة الرقيق لحساب التاج البرتغالي . وكان انشاء مدينة لواندا وعدد من القلاع على طول نهر كوانزا هو العمل الوحيد المهم الذي أنجزه باولو في فترة حكمه التي بدأت في سنة ١٥٧٥ وانتهت بوفاته في سنة ١٥٨٩ (٤) . وقد فشل باولو في تنفيذ شروط امتيازهم ولم يستطع توطين العدد المقرر في المدة المحددة بست سنوات لعدم ملائمة الجو لاقامة البرتغاليين ، وشدة عداة الوطنيين للتدخل البرتغالي . وكان باولو من الجرأة

Duffy, J. : op. cit. pp. 48—49.

(١)

F. O. Hist. Sect. : op. cit. p. 15.

(٢)

Duffy, J. : op. cit. p. 50, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 66.

(٣)

(٤)

Delgado R. : Historia de Angola, Vol. 1, pp. 258—262.

بحيث استطاع الوصول الى الأراضي الداخلية في أنجولا ، وأبحر في نهر كوانزا ، ووضع أسس الاستعمار البرتغالي لأنجولا ببناء ست قلاع عسكرية تمتد من ساحل لواندا الى الداخل في الاتجاه الجنوبي الشرقي على نهرى كوانزا ولوكالا أو بالقرب منهما (١) .

اهتز السلام غير المستقر في أنجولا في سنة ١٥٧٨ عندما قبض زعيم مبوندو على فصيلة من الجنود البرتغاليين ، وقتل عشرين من أفرادها ، ولم يطلق سراح الباقين وعددهم ستين جنديا الا بعد الحصول على الفدية . ولما علم ملك أنجولا بتقدم باولو دياز في سنة ١٥٧٩ لمعاقبته أعدم التجار البرتغاليين الموجودين في بلاطه وصادر ممتلكاتهم ، ثم هاجم باولو في قلعة أنزيلي الواقعة على بعد ثلاثين ميلا من لواندا وأجبره على التراجع الى لواندا طلبا للامدادات . وقد تحرك باولو في سنة ١٥٨٠ بجيش مكون من ثلثمائة جندي وهاجم الممالك المستقلة في منطقة كيساما وأغار على قراها ، وجمع الافريقيين للعمل في قوات زنوج الحرب المساعدة Guerra Preta ، ثم تقدم الى ماسنجانو الواقعة عند التقاء نهرى لوكالا وكوانزا وهزم الملك نجولا ، وبنى قلعة برتغالية في المنطقة . ولم يبذل باولو منذ ذلك التاريخ حتى وفاته أى جهد سوى محاولة الاحتفاظ بقلعة ماسنجانو (٢) .

وقد تميزت السنوات العشر الأولى من حكم باولو دياز في أنجولا بالتحول الى سياسة الفتح العسكرى وكانت نتائجها مثبطة للعزم ، كما تميزت فترة حكمه بالفوضى ، وبلغت خسائر البرتغاليين حوالى ألفى فرد توفوا نتيجة اصابتهم بالأمراض أو بأيدي الأنجوليين ، وازدهرت تجارة الرقيق في عهده ، وأصبح يطلق على مستعمرة أنجولا اسم الدولة السوداء الأم . وبلغ عدد الرقيق المصدر من أنجولا في المدة ما بين سنتى ١٥٧٥ ، ١٥٨٧ حوالى ٢٥٠٠ سنويا ثم تضاعف ذلك العدد ثلاث مرات في الأعوام الأربعة التالية . ولا يشمل ذلك العدد الرقيق المهرب من الموانى والمراسى التى لا تخضع للاشراف

Nogueira, J. A. : Governo de Sousa Coutinho, pp. 20—26.

(١)

Chilcote, R. H. : op. cit. pp. 66—67.

(٢)

البرتغالي (١) . واذا كان التوسع العسكري البرتغالي في أنجولا قد نجح في عهد باولو دياز الا أن الاستيطان المدني أو توطين المزارعين الأوروبيين بأعداد كافية لم يكن ناجحا . واستمر الاستعمار البرتغالي يعتمد على نظام القلاع العسكرية قرونا عديدة .

وبموت باولو دياز دي فوفاس آل امتياز الأرض الممنوحة له وما قام بفتحها من أراض في أنجولا للتاج البرتغالي ، وأطلق البرتغاليون على المستعمرة اسم مملكة وكابتنية أنجولا العامة (٢) وتميزت الفترة التالية لحكم باولو بمحاولات البرتغاليين المستمرة لتثبيت النظام الاستعماري وحاول خليفته الوصول الى مناجم الفضة ولكنه توفي أثناء تلك المحاولة . وقد أعد المحامي دومنجو أبريو بریتو تقريرا مفصلا رفعه للبلاط الملكي البرتغالي في ١٥٩٠ طلب فيه اقامة حكم استعماري برتغالي في أنجولا يعتمد على القوة العسكرية ، وبناء اثنتي عشرة قلعة ، وانشاء طريق برى يصل بين أنجولا وموزمبيق (الساحلين الشرقي والغربي لافريقية) وسيطرة التاج البرتغالي على تجارة الرقيق ، وترك الحرية للأفراد البرتغاليين لاستغلال المناجم ، واحتكار التاج لتجارة السلع ، وانشاء مصنع تجاري في بنجويلا . وقد بقي ذلك التقرير مصدرا أساسيا للاصلاحات التي حاول البرتغاليون انجازها في أنجولا في القرون الثلاث التالية (٣) .

أدى التدخل البرتغالي في المنطقة الداخلية من أنجولا الى توحيد القوى الوطنية لمقاومة التدخل البرتغالي تحت قيادة مملكة ندنجو التي تحالفت مع ممالك الكنغو ومتامبا وكاسانجي ودول كيساما . وأيدت قبائل أمبانجالا الموجودة شرقي نهر كازاي الملك نجولا . وقد هاجم الحلفاء في ديسمبر سنة ١٥٩٠ حملة برتغالية وأجبروها على التراجع الى مسانجانو بعد أن منيت بخسائر فادحة في الأرواح . وأدت الانتصارات المتتالية للحلفاء الى حصر النشاط البرتغالي في الأراضى الساحلية المنخفضة ، وأصبحوا غير قادرين على اختراق الهضبة الوسطى . وكانت سيطرة البرتغاليين على الرقعة الضيقة من

Duffy, J. : op. cit. p. 50, Chilcote, R. H. : op. cit. p. 67. (١)

Delgado, R. : op. cit. pp. 323—325. (٢)

Chilcote, R. H. : op. cit. p. 67, Duffy, J. : op. cit. p. 51. (٣)

الأرض الممتدة بين لواندا والقلعة البرتغالية في مسانجانو ضعيفة بسبب عدم اعتمادهم على الزعماء الوطنيين الذين أعلنوا ولائهم للبرتغاليين (١) .

تتج عن الحروب الوطنية البرتغالية خسائر كبيرة في الأرواح بين الوطنيين وانخفاض الانتاج الزراعي ، وانتشر السخط بين قبائل الجاجا المقيمة في المنطقة الداخلية من مملكة ماتامبا ، وهاجر عدد كبير منهم الى جنوب بنجويلا بحثا عن الرقيق لبيعه للبرتغاليين ، وانتظم عدد كبير منهم في الجيش البرتغالي ، كما تفككت مملكة الكنغو ، واستقل بعض مقاطعاتها وخاصة مقاطعة سويو Soyo التي تتحكم في تجارة نهر الكنغو لوجود ميناء مبنودو ضمن مستلكاتها ، وانضم شعب مملكة دمنو الى البرتغاليين وخرج زعماء ليويلا ولوكالا من التحالف الافريقي مما أدى الى تفككه في سنة ١٦٠٠ . واذا كان قيام التحالف الافريقي قد أدى الى وقوف التقدم البرتغالي فقد أدى سقوطه الى تسهيل عمليات الغزو البرتغالي (٢) .

وبتفكك التحالف الافريقي نجح البرتغاليون في الوصول الى مناجم الفضة في كامبابي في المدة الواقعة بين سنتي ١٦٠٢ و ١٦٠٥ . ويعتبر التقدم الى كامبابي بداية الفترة الثالثة من الحروب الأنجولية . وفي تلك الفترة استطاع البرتغاليون اختراق الأراضي الداخلية بنجاح والقضاء على مملكة ندنجو وتحطيمها . وتم اخضاع زعماء كيساما الثائرين في سنة ١٦٠٣ ، وبعد ذلك بفترة قصيرة تم القبض على الملك نجولا واعدامه . واستمر البرتغاليون في تقدمهم وخاضوا معارك حربية ناجحة في سنتي ١٦١٦ و ١٦١٧ واستولوا على عاصمة ندنجو في سنة ١٦٢٠ ، وأجبروا الملك الجديد على الالتجاء الى احدي جزر نهر كوانزا ، واستغلوا السنوات الثلاث التالية في تجارة الرقيق ، وأخلوا مناطق واسعة من ندنجو من سكانها وخربوا المملكة (٣) .

وتبدأ الفترة الرابعة من حروب أنجولا في سنة ١٦٢١ عندما توجهت « نزنجا مباندي » أخت الملك نجولا مباندي الى لواندا سفيرة لأخيها وناقشت

Chilcote, R. H. : op. cit. pp. 67—68.

(١)

Chilcote, R. H. : Ibid, p. 68.

(٢)

Chilcote, R. H. : Ibid, p. 68.

(٣)

مع البرتغاليين بنود معاهدة سلام اعترف فيها البرتغاليون باستقلال مملكة ندنجو ، وتعهدوا بمساعدة الملك نجولا على طرد قبائل أمبانجالا المشاغبين من بلاده . وبوفاة الملك نجولا مباقدى في سنة ١٦٢٤ خلفته أخته على عرش ندنجو وارتدت المسيحية التي اعتنقتها في سنة ١٦٢١ . ولما كان البرتغاليون يرغبون في طرد الملكة نزنجا من المملكة فقد اختاروا ملكا جديدا هو « آرى كيلوانجى » ليحل محل الملك الراحل مما أدى الى تجدد الحروب من جديد مع الملكة نزنجا التي جمعت أتباعها واشتبكت في قتال مع البرتغاليين وعلى رغم هزيمتها في أول موقعة وانسحابها الى جزر نهر كوانزا الا أنها استمرت في مهاجمة البرتغاليين وكونت حلفا آخر هزمه البرتغاليون في سنة ١٦٣٠ . ولم تفت تلك الهزيمة في عزيمة الأنجوليين فكونوا حلفا آخر في سنة ١٦٣٥ يضم ندنجو وماتامبا وكاسنجى ودمبو وكيساما .

ويمثل ظهور مملكتى كاسانجى وماتامبا القويتين في العقد الرابع من القرن السابع عشر تحولا مهما في ميزان القوى في مستعمرة أنجولا . وقد أدت الحروب المستمرة الى هجرة عدد كبير من سكان أمبانجالا الى المناطق الداخلية البعيدة عن متناول الهجوم البرتغالى ، واستطاع هؤلاء السكان بمساعدة كاسانجى بناء دولة جديدة سيطرت في نهاية القرن السابع عشر على تجارة الرقيق في منطقة وسط غرب أفريقيا . وفي نفس الوقت هجر شعب موندو بقيادة الملكة نزنجا أراضى ندنجو وتحركوا في اتجاه الشمال الشرقى وتغلبوا على مملكة ماتامبا . وقد أدت هجرة سكان ندنجو الى خلوها من السكان وبالتالي فقد البرتغاليون موردا هاما من موارد الرقيق ، ومن ثم وجهوا انتباههم الى مملكتى كاسانجى وماتامبا للحصول على الرقيق ، وكما فشلوا في الحصول عليه بالطرق السلمية لجأوا الى الفتح العسكرى ولكنهم وجدوا أنفسهم في مركز حرج بعد استيلاء الهولنديين على لواندا في سنة ١٦٤١ وأصبحوا مهددين بالهولنديين من جهة وبالأنجوليين من جهة أخرى . وقد فاجأ الأنجوليون البرتغاليين في سنة ١٦٤٣ وأسروا مائتين منهم .

وصل « سلفادور كورياسا » من البرازيل في سنة ١٦٤٨ مصحوبا بقوة عسكرية فقوى مركز البرتغاليين في أنجولا ونجحوا في طرد الهولنديين من

لواندا ، وحاولوا إعادة النفوذ البرتغالي في أنجولا ، وبذلك تبدأ الفترة الخامسة والأخيرة من فترات الحروب الأنجولية . وقد صعب هزيمة الهولنديين وطردهم من لواندا تفكك التحالف الأنجولي الوطني بتحالف مملكة كاسانجي مع البرتغال في سنة ١٦٤٧ رغبة منها في زيادة الفوائد التي تحصل عليها من تجارة الرقيق . ولم يمض عام حتى وقعت مملكة الكنفو هي الأخرى معاهدة سلام مع البرتغاليين ، وعلى رغم توقيع تلك المعاهدة استمرت العداوة قائمة حتى قضى البرتغاليون قضاء كاملا على جيش الكنفو في موقعة مبويلا في أكتوبر سنة ١٦٦٥ (١) .

استطاع البرتغاليون توسيع احتلالهم العسكري لأنجولا في سنة ١٦٧١ بعد هزيمة ملك ندنجو والاستيلاء على قلعة الجبلية بعد حصار دام ثلاثة أشهر ، وكان ملك ندنجو قد ثار في سنة ١٦٧٠ وهاجم قلعة أمباكا البرتغالية . وبسقوط قلعة ندنجو وهي من أشهر اقلاع الوطنية الجبلية الحصينة بنى البرتغاليون قلعة جديدة في المنطقة ووضعوا بها حامية عسكرية . ولقد لعبت قوات زنوج الحرب وهي القوات الوطنية المساعدة دورا كبيرا في تلك الموقعة ومكنت البرتغاليين من القضاء على القوى الوطنية المعادية للبرتغاليين . ويمكن تشبيه تلك الموقعة ضد ملك ندنجو بحرب أهلية فقد كانت قوات ملك ندنجو الزنجية تقاتل الجيش البرتغالي المكون من قوات زنوج الحرب وعدد قليل من البرتغاليين (٢) . وبهزيمة قوات ملك ندنجو أطلق البرتغاليون على المنطقة شرقى لواندا اسم بونجو أندونجو ، وامتدت الأسواق التجارية البرتغالية شرقا لمسافة ١٢٠ ميلا . وعلى رغم وصول التجار البرتغاليين الى سوق كاسانجي الواقعة على بعد ٣٠٠ ميل شرقى لواندا في القرن السابع عشر عن طريق قلعة أمباكا (٣) فقد بقيت بونجو أندونجو نقطة الحدود الشرقية للاحتلال البرتغالي حتى القرن التاسع عشر (٤) .

Chilcote, R. H. : Ibid. pp. 68—70.

(١)

Cadornega, A. O. : op. cit. Vol. II, pp. 298—358.

(٢)

Cadornega, A. O. : Ibid. Vol. III, p. 220.

(٣)

Das Neves, J. A. : Considerações, p. 200.

(٤)

وللتوسع جنوبا تحرك البرتغاليون وراء مصب نهر كوانزا بحثا عن الموانئ الجيدة وبنوا قلعة بنجويلا في سنة ١٥٨٤ ، ثم بنوا مستوطنة دائمة بجوار القلعة في سنة ١٦١٧ ، وأطلقوا عليها اسم « ساو فيليب دي بنجويلا » . وللتخلص من سيطرة الادارة البرتغالية في لواندا حول البرتغاليون بنجويلا الى مدينة تجارية ، وأصبحت قاعدة يتقدمون منها الى الأراضي الداخلية . وعلى رغم انشاء مدينة بنجويلا فلم تتم عملية بناء القلاع العسكرية على الهضبة في منطقتي كاكوندا وكويلينجيز الا في ١٦٨٥ ، وكانت محطات صغيرة بها عدد قليل من الجنود ، واضطر البرتغاليون الى هجرها فيما بعد بسبب مواقعها غير الصحية . وكان للطقس وصعوبة المواصلات أثرهما في عرقلة التوسع البرتغالي على هضبة بنجويلا ، وبقيت تلك المنطقة غير مفيدة للبرتغاليين حتى القرن الثامن عشر عندما بدءوا في التوسع جنوبا (١) .

واذا كان التجار البرتغاليون قد سبقوا في تقدمهم في أراضي أنجولا بانشاء القلاع العسكرية الا أن التوسع البرتغالي في فترته الأولى كان عسكريا بحثا ، وحكمت المجموعات العسكرية البرتغالية في المدن والقلاع مستعمرة أنجولا . وقد اتخذ البرتغاليون من لواندا في مبدأ الأمر قاعدة لتوسعهم وبذلك أصبحت المدينة والميناء ذات أهمية كبيرة لوقوعها على نهاية الطرق التجارية الرئيسية التي تصل الى الأراضي الداخلية الموجود بها الرقيق والشمع والعاج ، وتصدير تلك السلع من مينائها الى البرتغال والبرازيل (٢) . وقد توقف التوسع البرتغالي على ساحل أنجولا في أواخر القرن السابع عشر بعد أن أصبحت الأراضي المستولى عليها كافية من وجهة نظر البرتغاليين لتكوين مستعمرة تجارية . وعلى رغم استمرار الحروب مع القبائل الأنجولية ، فقد ركز البرتغاليون جهودهم على التجارة وتأمين الطرق التي تمر بها التجارة الداخلية . ويعتبر القرن الثامن عشر عصر حروب مثل سابقه مع اختلاف في السياسة البرتغالية وتحولها من سياسة اختراق الأراضي الداخلية وفرض سيطرتها عليها الى سياسة احكام قبضتهم على الأراضي الساحلية والتحكم في تجارتها واحتكارها ومنع السفن

Nogueira, J. A. : op. cit. pp. 120—124.

(١)

Cadornega, A. O. : op. cit. Vol. III, p. 167.

(٢)

الأجنبية من الوصول الى الساحل والمتاجرة مع سكان أنجولا الوطنيين • وقد ساعد على اختيار تلك السياسة خوف البرتغاليين من الغزو الأجنبي لأنجولا كما حدث في القرن السابع عشر (١) •

حاول البرتغاليون في أواخر القرن السابع عشر وحتى انعقاد مؤتمر برلين لغرب افريقية تأكيد سيطرتهم على المنطقة الساحلية الممتدة من نهر كوين في الجنوب والمنطقة المعروفة حاليا باسم جابون في الشمال • وبطرد الهولنديين من البرازيل وأنجولا تطلب الأمر تعاونا كاملا بين أنجولا والبرازيل فيما يختص بتصدير الرقيق اللازم للعمل في مزارع البرازيل ، ولهذا أصبحت أنجولا خاضعة للبرازيل من الناحيتين الادارية والعسكرية (٢) • ولما كانت المحاولات الأجنبية للحصول على الرقيق بالقرب من المستوطنات البرتغالية في أنجولا تمثل تهديدا خطيرا لدخل أنجولا والبرازيل وللقضاء على منافسة الهولنديين الذين كانوا يحصلون على الرقيق من بندا الواقعة بالقرب من مصب نهر الكنغو فقد حرض البرتغاليون الزعيم الوطني « سونو » على غزو المنطقة والقضاء على تجارة الرقيق الهولندية على الساحل • ويظهر أن ذلك المشروع لم يتم تنفيذه لاستمرار الهولنديين في ممارسة نشاطهم التجاري بالمنطقة (٣) •

ولما نهب القراصنة الفرنسيون مدينة بنجويلا في سنة ١٧٠٧ أمر جون الخامس ملك البرتغال في سنة ١٧٢٣ ببناء قلاع في كل من كابندا وموليمبو ، ولكن معارضة الفرنسيين قضت على المشروع • وقد ظهر مشروع آخر في سنة ١٧٥٨ لبناء قلاع في كابندا ولوانجو لمنع اتجار الفرنسيين مع الوطنيين وبدأ التنفيذ في سنة ١٧٥٩ عندما بنى البرتغاليون قلعة جديدة في انكوجي (٤) لحماية طريق التجارة الواردة من شرق المستعمرة الى ساحل الكنغو ، والتحكم في التجارة قبل وصولها الى الموانئ الساحلية الموجودة شمالي لواندا وأصبحت انكوجي أقصى محطة برتغالية في شمال أنجولا حتى القرن التاسع عشر ، وكانت

Nogueira, J. A. : op. cit. pp. 47—52.

(١)

Nogueira, J. A. : Ibid. pp. 22—23.

(٢)

Cadornega, A. O. : op. cit. Vol. II, p. 545.

(٣)

Nogueira, J. A. : op. cit. p. 46.

(٤)

ذات أثر قليل في منع متاجره الوطنيين مع الفرنسيين والبريطانيين على الساحل (١) .

وبحلول القرن التاسع عشر أصبحت السلطات البرتغالية في أنجولا مشغولة بالسفن الأجنبية التي تتجنب الجمارك البرتغالية ، وتقوم بتهريب البضائع دون دفع ضرائب عليها ، ولهذا أمر فرانشيسكو سوسا كوتينيو حاكم أنجولا ببناء قلعة ساحلية في ريدوندو الجديدة لمنع تهريب البضائع الأجنبية ورسو السفن البرية بين لواندا وبنجويلا (٢) . وقد استخدم البرتغاليون ريدوندو الجديدة البرية بين لواندا وبنجويلا (٤) . وقد استخدم البرتغاليون ريدوندو الجديدة قاعدة يتحركون منها الى الأراضي الداخلية غير الخاضعة لهم في منطقة كويساما الواقعة جنوبى قلعة موكسيما ، واستعادة الرقيق الهارب من منطقة لواندا والجزء الأدنى من نهر كوانزا .

كان عند الحاكم فرانشيسكو كوتينيو فكرة محددة عن التوسع البرتغالى والمنافسة الأجنبية ، وكان يرى أن أنجولا لن تصل الى درجة الازدهار المرجوة لها الا بايجاد طريق يصل بينها وبين موزمبيق مارا بوسط أفريقيا لنقل الذهب من منطقة سينا بموزمبيق ولنح الهولنديين من مد مستعمراتهم الى نهر الزمبيزي (٣) . وبتسلط تلك الفكرة على كوتينيو شجع التوسع البرتغالى على مرتفعات بنجويلا ، وأمر بتجديد المحطات البرتغالية في كاكوندا وكولنجيز ، وتم انشاء ستة أسواق تجارية في المنطقة الداخلية شرقى كاكوندا . ومن المحتمل أن أول موظف برتغالى ذهب الى مملكتى ييلوند ويا Bihé في أواخر حكم كوتينيو في سنة ١٧٧٢ .

Das Neves, J. S. : op. cit. pp. 200—221.

(١)

Silva Correa : Historia de Angola, Vol. II, p. 149.

(٢)

Nogueira, J. A. : op. cit. pp. 55—56.

Duffu, J. : Potuguese Africa, pp. 190—191.

(٣)

وعلى الرغم من تشجيع كوتينيو للصناعة والتجارة والعمل على تقليل الرقيق المصدر من أنجولا إلا أن مشروعاته للتنمية والتوسع فشلت جميعها ، وبقي البرتغاليون غير قادرين على التحكم في المنطقة الساحلية الواقعة بين لواندا ومصب نهر الكنغو ، واستمرت السفن البريطانية والفرنسية في الوصول الى المنطقة والمتاجرة بها وتهريب البضائع . ونظرا لارتفاع الضرائب الجمركية التي فرضتها الحكومة البرتغالية على السفن البرتغالية فقد ارتفعت أسعار البضائع البرتغالية التي كانت قليلة الجودة اذا قورنت بمثلتها من البضائع الأجنبية المهربة . وكانت الأسعار التي يدفعها الأجانب ثمنا للرقيق الانجولي أعلا من تلك التي يدفعها البرازيليون ، وبالتالي رفض الأنجوليون شراء البضائع البرتغالية أو بيع الرقيق للتجار البرازيليين (١) .

وقد أدت حاجة البرازيل الى الرقيق الأنجولي ورغبة البرتغاليين في القضاء على الأثر الضار للتجارة الأجنبية في أنجولا الى الرجوع الى مشروعات الملك جون الخامس وبنوا القلاع والمحطات التجارية على طول الساحل شمال نهر الكنغو (٢) . وركز البرتغاليون جهودهم في كابندا على أساس أنها نقطة ساحلية يمكن التقدم منها لاحتلال الأراضي الداخلية (٣) ، وأرسلوا اليها في سنة ١٧٨٣ حملة عسكرية مكونة من ١١٠٠ جندي وتضم عددا من المهندسين بقيادة الملازم بينيرو فورتادو . وتم احتلال كابندا وبناء قلعة بها . ولم تستمر الحملة أو القلعة البرتغالية مدة طويلة لمعارضة الفرنسيين ، وتم سحب باقي أفراد الحملة وتدمير القلعة في يونيو سنة ١٧٨٤ (٤) .

حول البرتغاليون أنظارهم الى المنطقة الواقعة جنوبى بنجويلا بعد فشلهم

De Lacerda, J. M. : Memoria, p. 144.

(١)

Felner, A. A. : Angola, Vol. I, pp. 199—201.

(٢)

Rodrigues, J. A. : Africa and Brasil, pp. 27—34.

(٣)

Dias, G. S. : OS Portuguese em Angola, pp. 251—252.

(٤)

في كابندا واعتبر البارون موزاميدس (١) منطقة كابندا بعيدة عن متناول يد الحكومة البرتغالية في أنجولا (٢) . وعلى هذا فقد بدأ ارسال الحملات البرتغالية برا وبحرا في سنتي ١٧٨٥ و ١٧٨٦ لاستكشاف المنطقة الواقعة جنوبى رأس القديسة مارتا . وأطلق البرتغاليون على الخليج الموجود بالقرب من مصب نهر يرو اسم خليج موزاميدس تخليدا لاسم حاكم أنجولا . وعلى الرغم من أن قرية موزاميدس لم تبين إلا في سنة ١٨٤٠ إلا أن الحملات البرتغالية الكشفية وجدت التجار البرتغاليين يبادلون السلع مع السكان الوطنيين . وذكرت التقارير أن منطقة موزاميدس ذات جو صحى صالح للاستيطان الأوروبي ، ومينائها أحسن من ميناء بنجويلا (٣) .

د . سعد زغلول عبد ربه

(١) حكم البارون موزاميدس مستعمرة أنجولا من سنة ١٧٨٤ - سنة ١٧٩٠ .

(٢) Silva Correa, E. A. : op. cit. Vol. II, 61—65.

(٣) Felner, A. A. : op. cit. Vol. I, pp. 6—8.

مراجع البحث

أولا - وثائق منشورة :

- 1.—F. O. Hist. Sect. : Angola, N°. 120. London, 1920.
- 2.—U. N. G. A. : Angola (special committee) A/A. C. 109/L. 451/Add. I, 17 April 1967. N. Y.
- 3.—Felner, A. A. : Angola, 3 vols Lisbon, 1940.

ثانيا - مراجع باللغات الأجنبية :

- 1.—Cadornega, A. O. : Historia das guerras Angolas, 3 vols. Lisbon, 1940—1942.
- 2.—Chilcote, R. H. : Portuguese Africa New iersey, 1967.
- 3.—Correa, S. : Historia de Angola, 2 vols. Lisbon, 1937.
- 4.—De Cruz, J. R. : Geographiq de Angola. Lisbon, 1940.
- 5.—Delegado, R. : Historia de Angola. 4 vols. Lisbon, 1961.
- 6.—Dias, G. S. : Os Portuguese em Angola. Lisbon, 1959.
- 7.—Duffy, J. : Portuguese Africa. Cambridgs, 1959.
- 8.—Duffy, J. : Portugal in Africa, Cambridge, 1962.
- 9.—De Lacerda, J. M. : Memoria. Lisbon, 1934.
- 10.—Das Neves, J. A. : Considerações, Lisbon, 1830
- 11.—Nogveira, J. A. : Governo de Sausa Coutinho. Lisbon, 1960.
- 12.—Prestage, E. : The Portuguese Pioneers. London, 1933.
- 13.—Rodrigues, J. A. : Africa e Brasil. Rio de Janeiro, 1961.
- 14.—Simmaons, J. S. : Global Epidemiology, 4 vols. philadelghia, 1944.

ثالثا - دوريات :

- 1.—American Geographical Society. (A. G. S.), vol. VII, N°. 2, 1956.
- 2.—Geographical Review, vols. XLVIII, N°. 2, 1962, L. N°. 4, 1924.

النوبايون

دراسة انثروبولوجية

(The Nuba. An Anthro-geographical study)

The aim of this paper is to shed some lights on the origin of the Nuba people, their branches, social arrangements and the alternatives associated with the quest of their relations with the Nubians.

There are some conclusions to be drawn from the article, The most important one is that the Nuba people are mainly negroid, with some mixture with Caucasoid elements. They once lived in all Kordofan Province, in addition to Darfour area, but now Arabs, Fallata, and some Nilotic peoples share with them southern Kordofan.

However, there are some cultural relations between the Nuba people and the Nubians.

The material culture of Nuba people shows clearly their contact with their neighbours.

El Saeed, I. El Badawi

تتناول هذه الدراسة لقاء بعض الضوء على الشعب النوباوى من الناحية
الانثروبولوجية وتعيش هذه المجموعة فى الركن الجنوبى الشرقى من مديرية
كردفان بالسودان ، بالإضافة الى بعض التلال التى تقع فى شمال هذه المديرية
مثل جبل حرازه وغيره . وقد انصبت هذه الدراسة على المجموعة الكبرى من
هذا الشعب التى توجد فى تلال جنوب كردفان أو ما يطلق عليها الآن « جبال
النوبا » أو « دار نوبا » .

وقد ظل الغموض يحيط هذه المنطقة لفترة طويلة وكان كل ما يوجه إليها - ولغيرها من مناطق السودان - من اهتمام ينصب على جلب الرقيق والحصول على المنتجات الزراعية ثم بدأت الإدارة الانجليزية في السودان منذ بداية القرن الحالى فى الاهتمام بدراسة المناطق المتخلفة فى السودان بقصد وضع أنسب النظم لإدارتها واستغلال مواردها . وقد بدأت أولى نتائج هذا الاهتمام بإدخال القطن الأمريكانى قصير التيلة الى المنطقة فى بداية الربع الثانى من هذا القرن ، وبدأت زراعته منذ ذلك الوقت تنتشر على نطاق واسع . ومن ناحية أخرى فقد بدأت هذه الإدارة الانجليزية فى وضع القيود أمام انفتاح هذه المنطقة على غيرها من مناطق السودان سواء بمنع الدخول إليها أو الخروج منها أو بالوقوف أمام أى اتجاه يقصد من وراءه تحضير سكان المنطقة ، وإنما بدأت فى تسهيل دخول البعثات التبشيرية إليها بقصد ضمها الى جنوب السودان وبالتالى تحقيق المشروع الذى كانت تهدف اليه أصلا وهو خلق دولة مستقلة فى الجنوب وضمها الى « دومنيون » شرق أفريقيا .

وقد اهتمت هذه الدراسة بموضوعين أساسيين :

الموضوع الأول : أصل النوباويين ولغاتهم وعاداتهم .

الموضوع الثانى : علاقة النوباويين بالنوبيين الذين يعيشون على ضفاف مجرى النيل .

وتجدر الإشارة الى أنه من الصعوبة بمكان تطوير أحوال أى منطقة دون محاولة التعرف وتفهم ظروف سكان هذه المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم ، وذلك بقصد وضع أفضل الوسائل وأكثرها ملاءمة للتطوير ، وإن كان هذا القول ينطبق على شتى المناطق فإنه بلا شك أكثر انطباقا على المناطق المتخلفة ومنها منطقة جبال النوبا (١) .

يذكر سلجمان فى مؤلفه القيم « القبائل الوثنية فى السودان النيلي » (٢)

(١) انظر رسالة دكتوراه « منطقة النوبا - دراسة فى الجغرافية الاقتصادية » سنة ١٩٧١ للباحث غير منشورة (جامعة القاهرة) .

(٢) Seligman, C. G. and Seligman, B. Z. : Pagan tribes of the nilotic Sudan. London 1965. pp. 4-9.

أنه يوجد بالسودان مجموعتان كبيرتان من الزنوج تغلغت في عروقهم الدماء الحامية :

الأولى : النيلوتيون •

الثانية : النيليون - الحاميون • وهى مجموعة من القبائل تنسب الى قسم البارى التابع لمجموعة البارى - الماساي اللغوية •

وتتميز هاتان المجموعتان بطول الرأس ، والقامة الطويلة جدا ، وان كانت هذه الصفات أوضح فى المجموعة الأولى عن أى مجموعة أخرى خارج السودان •

وهذا يدل على الاختلاط الوثيق مع الحامين حيث يذكر سلجمان أن التأثير الحامى وصل الى مناطق الزاندى على الهضبة الحديدية ، وأن الزاندى يمثلون الحد الأقصى لانتشار الصفات والحضارة الحامية ، وأنهم يمثلون فى الحقيقة الحد الفاصل بين الزنوج بملامحهم وثقافتهم الزنجية ، والزنوج الحامين ذوى الصفات الجسمية والثقافية التى أخذوها عن الحامين •

ويعطينا سلجمان أدلة على وصول التأثيرات الحامية الى شمال ووسط السودان من الاكتشافات الأثرية التى وجدت فى جبل كاتول وحرازه فى كردفان ، وجبل جولى فى دار فونج وغيرها ... ومن أمثلة ذلك وجود آثار لصخور عليها رسوم ملونة ومحفورة تبين رجالا يمتطون الخيل فى جبل حرازه فى شمال كردفان ، ويرجح سلجمان أنها تشابه الرسوم الليبية - البربرية الموجودة فى الصحراء •

أما بالنسبة لدخول التأثيرات الحامية الى منطقة القبائل النيلية فترجع الى زمن الامبراطورية المروية حيث كانت عاصمتها سوبا أكثر جنوية وكانت تجارة الحديد رائجة فى ذلك الوقت •

ويقسم سلجمان المجموعات الزنجية النيلية الى أربعة أقسام : (١)

- | | |
|---|-------------------------|
| { | ١ - النيلوتيون |
| | ٢ - النيليون - الحاميون |
- ذوو رؤوس طويلة

(١) سلجمان المرجع السابق صفحة ١١ : ١٢ •

٣ - شعوب النوبا والفونج

٤ - ذوو الرؤوس المتوسطة في الجنوب الغربي (الزاندي ، البونجو - ميتو ... الخ) والمجموعتان الأخيرتان ذات رؤوس متوسطة .

ومعنى ذلك أن سلجمان يدخل النوباوين ضمن المجموعات الزنجية النيلية ويذكر أن قسماً الرؤوس المتوسطة أكثر تبايناً واختلافاً فيما بينهم عن القسمين اللذين يتميزان بالرؤوس الطويلة وأن هذه القبائل ذات الرؤوس الطويلة هي نتيجة لاختلاط الزنوج مع الحاميين - أما القبائل ذات الرؤوس المتوسطة فإنها بلا شك تعتبر من العناصر الزنجية القديمة .

ويحاصر الزنوج ذوو الرؤوس المتوسطة القبائل النيلية ذوى الرؤوس الطويلة من جميع النواحي فيه أعدا الاقطاع الموجود في وادي النهر (النيل) حيث يمتد أهل النوبا والفونج من منطقة الفونج الى جنوب كردفان الى دارفور أى من خط عرض ١٥° الى ٩° - ١٠° شمالاً . ثم ينتشرون على حواف الخصائص والمستنقعات في بحر الخزال حتى منطقة تقسيم المياه بين النيل والكنغو في السودان وخارجه (١) .

وبناء على ذلك يمكن اعتبار شعب النوبا - كما يذكر سلجمان - السكان الأصليين من الزنوج في كردفان فإنه على الرغم من أن الجزء الشمالى من المنطقة في الوقت الراهن تسكنه القبائل التي تتكلم اللغة العربية وتدين بالاسلام ومن ثم فإن (دار نوبا) أو منطقة النوبا تشغل الجزء الجنوبي فقط من المملكة القديمة ، وتمتد من حوالى خط ٣٠°١٢ الى ١٠° شمالاً وتبلغ مساحتها حوالى

(١) عالج مردوك P. Murdock أيضاً في كتابه Africa, its People and their cultures.

موضوع النوبا في فصل خاص صفحة ١٦٤ ويذكر أن النوبا شعب زنجى متميز ويشير الى الغموض الذى نشأ من تشابه اسمى النوبا والنوبة على الرغم من أن بعض النوبيين - كما يذكر - يعيشون في منطقة الجبال في الدنج والنيما (غرب الدنج) بجوار النوباوين . ويذكر أن النوباوين الذين احتموا بالجبال لم يتأثروا نسبياً بتحركات وثقافات شعوب وادى النيل أو غيرهم من شعوب وسط السودان ومن ثم فإنهم يمثلون نوعاً من (الدوامات أو الزوابع الحضارية) Cultural eddy (نظراً لانغلاقها على نفسها) وربما احتفظوا ببعض السمات الحضارية الخاصة بزنوج وادى النيل قبل أن يتأثروا بتأثير الحضارة الفرعونية .

٥٠ ألف ميل مربع ، يحدها من الشرق منطقة الشلوك التي تحاذي الضفة الغربية للنيل الأبيض ومن الجنوب بحر الغزال ، ومن الغرب منطقة يسكنها العرب (المسيرية ، الحمر والزرق ، والحمر) .

ويتصف جنوب كردفان بأنه سهل واسع تقطعه التلال والسلاسل الجبلية المنعزلة ، ولما كان النوباويون سكان تلال أصلا فانهم يسكنون في الواقع جزءا صغيرا من المنطقة ، وقد خضع الجزء الشمالي من كردفان تماما للنهوض العربي لدرجة أن السكان القدامى الموجودين هناك يعتقدون - أو يظهرون الاعتقاد - بانهم يختلفون تماما عن انوباويين الذين أغار العرب عليهم للحصول على الرقيق ، ونتيجة لذلك انزل النوباويون على أنفسهم في التلال الجنوبية تحت ضغط المنافس القوى لهم وهم البقارة الرحل أو شبه الرحل (١) .

أما في شمال خط العرض الثاني عشر شمالا فكان التأثير الأجنبي واضحا حيث خضعت منطقة تقلى وجبل الداير لكل من مملكة دارفور وسنار . - وحتى في شمال كردفان - شمال خط عرض ١٤٣٠° شمالا - لم يتلاش النوباويون تماما فقد ظلت بقايا من نظمهم الاجتماعية والدينية ، كما تظهر الصفات النوباوية في بعض التلال ، كما توجد بقايا لغات قديمة غير عربية .

ومن ناحية أخرى فان منطقة جبل الداير وما يجاوره من تلال تأثرت بالحضارة الإسلامية والثقافة العربية (٢) .

(١) يذكر نادل أيضا في مقدمة كتابه The Nuba أن السكان يكونون مجموعة متميزة عن السكان المجاورين لهم ، فهم يكونون اسفينيا من العناصر الزنجية الأصلية . يحيط بهم العرب والنيليون الحاميون (أو شبه الحاميين) .

كما جاء أيضا في كتاب ديلافوس

De la Fosse, Maurice : Les noirs de l'Afrique Paris. 1922 p. 111.

أن النوباويين يكونون السكان الأصليين لهذه المديرية (كردفان) وأن اسم النوبا أصبح اسم شهرة أطلقه العرب على جميع السود المسلمين في السودان الشرقي مهما كان أصلهم الاثنولوجي مثل الفريت في دارفور وغيرهم أما في أوربا فقد أطلق اسم نوبة على المنطقة الممتدة على طول النيل من وادي حلفا والخرطوم (منطقة دنقلة) حيث استقر بعض أقسام من النوبا ولكن النوبيين الحقيقيين Veritable Nubie يوجدون في جنوب كردفان .

(٢) سلجمان - مرجع سابق صفحة ٣٦٦ .

وفي مرجع آخر للأستاذ « سلجمان » (١) يذكر أن هناك وحدة أساسية بين سكان الجبال السود في دارفور وكردفان (النوبا) وسكان غرب أفريقيا ويذكر أن سكان داهومي يتشابهون في الصفات الجسمية مع سكان شمال غانا وسكان النوبا في كردفان . ويشير سلجمان الى أنه على الرغم من أن سكان النوبا من الجنس الزنجي الأصل في غرب أفريقيا الا أنهم خليط من العنصر الزنجي والعنصر الحامي (٢) .

ويؤكد سلجمان على وجود ملامح حضارية تربط بين سكان النوبا وسكان المناطق الغربية في أفريقيا في تلال دارفور الذين ينتشرون غربا حتى « واداي » على الرغم من وجود اختلاط بينهم بالدماء العربية والحامية . ويصدق هذا أيضا على التنجور والدارجو ، وهما شعبان قديمان في دارفور ، بينما نجد أن الفور أنفسهم الذين نزلوا من تلال جبل مرة في القرن السادس عشر ربما يكونون أيضا من أصل جماعة النوبا . فعلى الرغم من أنهم يدينون بالاسلام الا أن العادات الوثنية ما زالت شائعة بينهم .

ويضيف الدكتور « عوض » (٣) على ذلك بأن سكان الجبال يمثلون سلالة مستقلة عن الجماعات التي تحيط بها ، وتعد مجموعة وطنية قديمة سكنت هذا الاقليم منذ زمن بعيد وليست حديثة العهد بأوطانها كما هو الحال في الجماعات النيلية وقد أتاحت لهم أوطانهم الجبلية نوعا من الحماية ، فأمكنهم أن يكونوا - نسبيا - في مأمن من اغارة المغيرين ولو أن هذا اضطرهم للالتزام بالجبال .

وكان لطبيعة الجبال أثر آخر في السكان حيث كانت بمثابة ملجأ تعتصم به الجماعات الهاربة اللاجئة من الأقطار المجاورة ، ويترتب على ذلك أن يكون هناك تنوع واختلاف في الصفات الشكلية نظرا لدخول عناصر مختلفة في أزمان مختلفة والتجائها الى هذه الحصون الطبيعية . فعلى الرغم من أن الصفات

(١) Seligman, C. G. : Races of Africa. London 1930 p. 78.

(٢) سلجمان المرجع السابق صفحة ٨٦ .

(٣) د . محمد عوض محمد - الشعوب والسلالات الافريقية - القاهرة سنة ١٩٦٥ ص ٢٠٢ .

الزنجية هي السائدة الا أننا لا نرى لها ذلك الانسجام والاطراد الذي نشاهده بين الدنكا أو الباقو . فالنسبة الرأسية أعلى مما نجده لدى الزنوج حيث أن ٦٠٪ من السكان لهم نسبة رأسية متوسطة وباقي السكان يزيدون على المتوسط أو يقلون عنه بمقادير متساوية ، كذلك نجد القامة وان غلب عليها الطول فانها في المتوسط أقل مما نجده عند النيلين ، بالإضافة الى وجود نمو في العضلات لا نجد له نظيرا بين جيرانهم من السلالات النيلية (١) .

ويعمل الدكتور عوض ذلك بأنه شيء متوقع في البيئات الجبلية دائما ، سواء نظرنا الى الصفات الجسمية أو الثقافية أو الاجتماعية لأن الجبال تعزل الجماعات بعضها عن بعض وتحول دون الاتصال والاندماج ولذلك تختلف العادات واللهجات وكثير من مظاهر الحياة .

وهذا التنوع بين النوبا أشد وضوحا في الثقافة منه في السلالة ، لأن الأساس الجنسي واحد للجميع ، وهو الدماء الزنجية ، أما الأصول الثقافية فهي متنوعة بين أتباع السلالة الواحدة ، وقلة الاتصال تؤكد الفروق والاختلافات .

ومن أمثلة التباين الواضحة في منطقة النوبا منطقة تقلى (٢) التي يسكنها الآن خليط من القبائل ، وكان هذا نتيجة الهجرات التي جاءت الى مملكة تقلى بعد تأسيسها واستقرار هؤلاء المهاجرين فيها ويظهر هذا واضحا في البنية القوية للتقلاوى الأصلي .

فمنذ أكثر من أربعمئة عام كان شعب الجبال الشمالية الشرقية جنسا واحدا معزولا عن العالم الخارجى ويعيش أصلا في ثلاث مناطق هي : تيرمي ، أم طلحة ، تلال الكچاكچة ، تقلى نفسها . وكان هذا الشعب وثنيا يعيش حياة بدائية بسيطة تحت حكم الزعماء الذين يشغلون مناصبهم بالوراثة ، وكان مقر

(١) جاء ذلك أيضا في كتاب نادل (النوبا) في المقدمة كما جاء في كتاب سلجمان (القبائل الوثنية) الصفات الجسمية للنوباويين بالتفصيل ص ٣٧٠ ، ٣٧١ وكذا يمكن الرجوع الى :

Seligman, C. G. : The Physical character of the Nuba of Kordofan.
J. R. A. J. XI 1910.

(٢) SNR تحت عنوان : The Kingdom of Tegale

مجلد ١٨ الجزء الاول صفحة ٥ .

الحكم في « تجلعرو » بجوار قرية « الهوى » الحالية . وكان يعرف هذا الشعب باسم « الهمج » كما تقول بذلك أسطورة موجودة لديهم .

ويوجد أخلاف هذا الشعب في صورة قبية في تلال الكچاكچة في الوقت الحالي ، أما في المناطق الأخرى فقد انتهى هذا الجنس القديم على الرغم من أن دمائه كانت تسيطر على أسلاف أغلبية الشعب في جميع أنحاء الجبال الشمالية الشرقية (كتبت المقالة في عام ١٩٣٥) .

ورغم أن الكچاكچة الأصلاء هؤلاء أصبحوا الآن مسلمين منذ أكثر من ثلاثة قرون إلا أنهم ما زالوا محتفظين بكثير من تقاليدهم القديمة وطريقة حياتهم التي يبدو أنها تغيرت بعض الشيء بمرور الزمن ، وهم يزرعون الحبوب على تلالهم مستخدمين في ذلك الفأس الخشبية ، أما غير ذلك من المزروعات فضئيل . كما أنهم يحتفظون ببعض المواشي ، ونادرا ما يغامرون بالبعد عن تلالهم . وتشكل نسبة ضئيلة منهم اللغة العربية على الرغم من أن اللهجة المحلية القديمة لا تستعمل في تقلى الآن ، وربما تكون قد أهملت الى الأبد .

وقد حدثت صلات مؤكدة بين الكچاكچة الحاليين (بجوار منطقة رشاد) وبين (الكواليب) (في منطقة شمال الجبال وغرب تقلى) ويمكن أن تشير هذه الصلات الى أصل مشترك . ولكن بينما تحولت تقلى (ومنها الكچاكچة) الى الاسلام منذ القرن السادس عشر فإن بعض الكواليب ما زالوا يعيشون على الوثنية حتى الآن . ولكن المعلومات المتوفرة لا تحسم الموقف سواء أكان هذا الشعب القديم في تقلى تابع لجنس النوبا أو أنه شعب مستقل ، وأن كل ما نعرفه في بداية القرن ١٦ أنه كان يعيش في تقلى شعب وثني بدائي ربما كان متماثلا في غديد من الأمور مع النوباويين الذين ينتشرون على نطاق واسع والذين لم يكن لديهم أى اتصال مع العالم الخارجى . وفي هذا الوقت بدأت مملكة تقلى بداية متواضعة في عام ١٥٣٠ م وكانت بمثابة نافذة انفتحت على الجماعات التي جاءت من السودان الشمالى ومنطقة الفونج ودارفور ووسط كردفان ، وتكون

من كل هذه الصلات الحضارية والسلالية شعب جديد يأنف أن يطلق عليه اسم النوبيا ولكنه يعتز بأنه من سلالة مملكة تغلى ، ويذكر أنهم تغلاويون وليسوا نوباويين (١) .

وهناك مثال آخر للاختلافات الموجودة بين جماعات منطقة النوبا ، هذا المثال هم سكان جبل الداير . ففي الجزء الغربى من الجبل وعلى سفوحه توجد مجموعة من القرى يسكنها شعب يطلق على نفسه اسم « الدوباب » وليس النوباويين ، في حين أن الجزء الشرقى يسكنه النوباويون .

ويرجع الدوباب أصلهم الى الجعيلين ويذكرون أنهم من سلالة « محمد الدوب » ، ولكن « مكمايكل » يذكر أنه لا يوجد مطلقا سلف يدعى بهذا الاسم ، وأن الدوباب عنصر نوباوى استعرب استعرابا خفيفا كما هو الحال في أماكن أخرى من التلال الشمالية (٢) . ولكن « بولتون » يذكر أن الدوباب أخلاف قبائل مختلفة استوطنت جبل الداير ، وربما يكون اسم الدوباب مشتقا من كلمة « ضباب » باللغة العربية حيث يغطى جبل الداير في فصل الأمطار بغطاء معتم من الرذاذ ولا سيما الأجزاء العليا منه ، وأن السكان المجاورين في دلامى كانوا يطلقون على هذا الجبل (جبل الضباب) . ولكن يقف أمام هذا التفسير أن كلمة ضباب غير مستعملة في اللهجة الشائعة . ويقدم بولتون اقتراحا آخر لهذا الاسم وهو كلمة (ديب) الشائعة التى تستخدم اسما للشعبان باللغة العربية الداريجة في المنطقة (جمعها دباب) اذ ربما لاحظ العرب عند اختلاطهم بالسكان في هذه المنطقة اهتمامهم بالكوبرا والأشكال المختلفة لعبادة الشعبان وأعطوا السكان الذين يعيشون على الجانب الغربى اسما مطابقا للديب تحول فيما بعد الى دوباب (٣) .

(١) عالج الكاتب في نفس المقالة بداية المملكة وتطورها والملوك الذين حكموها وصلاتها مع غيرها من المناطق من ص ١ الى ٥ .

(٢) SNR. Vol. 19. The Dubab and The Nuba of Jebel Daier. by A. R. C. Bolton p. 95.

(٣) عالج الكاتب أيضا في هذه المقالة عادات وتقاليد وعبادات الدوباب قبل دخول الاسلام وأصل النوبا وحفلاتهم في الجبل .

ويتضح من ذلك أن منطقة جبل الدائر كانت أيضا منطقة تلاقى للثقافات الحضارية المختلفة وتلاقى السلالات النوبادية والعربية ، ونشأ نتيجة لذلك شعب خليط يشابه شعب تقلى وخضع مثله أيضا لمملكتى دارفونج ودارفور .
وبجانب التقلاوين وسكان جبل الدائر توجد جماعات أخرى في شمال الجبال تأثرت بالجماعات القادمة من الخارج مثل سكان منطقة الدنج والنيما وكذلك النوباوين على الحواف الغربية للجبال في منطقة لقاوة – وسوف تتعرض لهذه التأثيرات عند معالجة اللغات الموجودة في المنطقة وعلاقتها بلغات المناطق الأخرى .

ويجدر بنا في نهاية هذه اللوحة السريعة عن أصل السكان أن نشير الى النواحي الاثروبولوجية العامة لدى النوباوين .

فالنظام الاجتماعى عند النوبا يشتمل على وحدة العشيرة وهى تتألف من الأشخاص الذين تربطهم أواصر القرابة ، وتؤلف كل مجموعة من العشائر – وهى متجاورة فى الغالب – وحدة اجتماعية أكبر يدعوها الكتاب قبيلة ولو أنه ليس هناك لفظ بهذا المعنى لدى السكان ، بل لديهم كلمة تدل على سكان كل جبل من الجبال مرتبطين بشئ من التعاون يرجع الى وحدة الثقافة وبعض التقاليد .

والعشائر – بوجه عام – لا تتغير وأكثرها عشائر أبوية ، تنحدر من آباء من قديم الزمان، وان لم يكن من السهل أن يتذكروا الاعددا محدودا من الأجداد . وهناك عشائر « أموية » فى الجزء الجنوبى من المنطقة ، أى أن انحدرهم عن طريق الأم . ومن الجائز أن تنقسم العشيرة الى قسمين فيصبح كل قسم بمثابة عشيرة مستقلة ، ويحدث هذا غالبا فى حالة الزواج المحرم ، فتقسم العشيرة الى قسمين ، وتكون الزوجة فى أحد القسمين وزوجها فى القسم الآخر لأن الزواج محرم على الأفراد من عشيرة واحدة .

ونظام الطوطمية موجود عند معظم العشائر ولكنه آخذ في الزوال ، ومع ذلك فإن لكل عشيرة اسمها الخاص وعاداتها وتقاليدها في الطعام والامتناع عن أكل بعض الحيوانات (١) .

وتشغل محلات النوباويين الجنوبيين مناطق لا بأس بها على الهضبة وعلى سفوح التلال ، وفي عديد من الحالات تمثل الأكواخ مكانا دفاعيا ممتازا ، وأحيانا توجد مسالك أو ممرات متوازية في الجبال تؤدي إلى قمة التل ، كما هو الحال في المساكن التي توجد على قمة جبل « أميرا » . وتبنى البيوت كل بمفرده أو على شكل مجموعات . ويتكون كل منزل من مجموعة من الأكواخ المستديرة ومخازن الحبوب (٢) . وغالبا ما تشكل أربعة أو خمسة أكواخ منطقة شبه مستديرة مكونة مبنى دائري يغطيه شكل جمالوني وتزينه مربعات من الخارج ، كما أن باب المنزل على شكل دائري .

ويتكون المنزل من مجموعة من الأشكال الاسطوانية المبنية بالطين تتجاور بجانب بعضها لتشكل في النهاية شبه دائرة تحصر بينها في الوسط فراغ ، وفي الغالب لا تتلامس الأكواخ ، وتوجد فتحة في الفراغ الأوسط لدخول المنزل ، وغالبا ما تكون الفجوات بين الأكواخ ضيقة جدا وتغلق ببقايا الاعشاب والاحجار .

أما مخازن الحبوب فغالبا ما تكون على شكل اسطواني أيضا ولكنها أصغر من تلك التي تستخدم في السكنى . وتبنى هذه المخازن على بعض الصخور تحتفظ الحبوب بجودتها ، وتفتح الأكواخ على الفناء الصغير ، وغالبا ما يكون هذا الفناء مسقوفا بفروع الأشجار والحشائش .

وقد بلغت صناعة الفخار في هذه المنطقة — ولا سيما في المناطق الجنوبية — مستوى متقدما — على الرغم من أنه يصنع يدويا — عنه في أي جزء آخر في السودان . وتبدو أنواع الفخار المصنوعة ذات فن متقدم مصقول تزيينه نقوش تشابه تلك الموجودة على جلد الزراف (نظرا لأن الزراف كان يوجد في المنطقة

(١) د . محمد عوض محمد — الشعوب والسلالات الافريقية ص ٢٠٦ .

(٢) ساجمان — قبائل النيل الوثنية ص ٣٦٧ .

وما زال يوجد في بعض الأماكن البكر غير المطروقة) . كذلك نجد فن الديكور في التلال الجنوبية ذات مستوى راق وهندسي ، ويستوحى نقوشه من الزراف كذلك (١) .

والنوباويون مهرة في الزراعة ، وكانت توجد الخنازير بكثرة ، والماشية قليلة العدد وذلك لأن المواشي لا تلعب دورا هاما في حياة النوباويين كما هو الحال مثلا بين النيليين . وعلى الرغم من أن الرجال فقط هم الذين يقومون برعى الماشية وحلب الأبقار فانه من المحرم على المرأة أن تشرب اللبن أثناء فترة الطمث . ولما كانت حفلات مراحل السن ترتبط بالمواشي وتجرى في مكان معد خصيصا للمواشي يسمى « الكرول » فانه يبدو أن المواشي كان لها تأثير في الماضي على حياة النوباويين أكثر منها في الوقت الراهن .

وفي عام ١٩١٠ وعندما كان الخوف سائدا من الغارات العربية اتجه السكان الى زراعة التلال وذلك بعمل مدرجات زرعوا عليها الذرة الرفيعة . ولكن هناك اعتقاد بأنه قبل اندفاع البقارة في طريقهم الى وسط كردفان كانت هناك مناطق من السهل وعلى سفوح التلال تقوم عليها الزراعة النوباوية ، وبجوارها شيد هؤلاء السكان أكواخهم (٢) .

وتمارس النساء استقلالا ملحوظا ، وتختار البنات أزواجهن ويسمح لهن بنوع من الحرية فيما يخصهن من أمور ، في حين يقوم الرجال بالأعمال الشاقة من اعداد الأرض للزراعة ، وبناء المساكن وتسقيفها ورعى وحلب الأبقار وصنع المضاجع (السراير أو العنقريب) من الجبال أو جلد الحيوان وكذلك حصص المحصول . أما المرأة فانها تقوم ببذر البذور وجمع الأخشاب وصنع الأواني وتزين المنزل بالاضافة الى طحن الذرة وصنع الثريد « العصيدة » . ويزرع النوباويون - غالبا - حبوبا أكثر مما يحتاجونه في الغذاء ويصنع من معظمة البيرة المحلية « المريسة » (٣) .

(١) سلجمان - قبائل النيل الوثنية ص ٣٦٨ .

(٢) سلجمان مرجع سابق ص ٣٦٩ .

(٣) سلجمان المرجع السابق ص ٣٧٢ .

أما عن تنظيم الحياة العامة عند النوباويين فإن سيطرة صانع المطر الذى كان يمارس نفوذا كبيرا قد تلاشت ، فبصرف النظر عن وجود « الملك » (تنطق بفتح الميم) الذى يعتبر همزة الوصل بين الجماعة والحكومة أو هو المسئول التنفيذى لها فإن صانع المطر كان له نفوذ كبير ، ولذلك فإن المحافظة على حياته من الأخطار كانت واجبة لأنه يجسد روح صانع المطر العظيم الذى مات منذ مدة طويلة (١) .

وبجانب صانع المطر يوجد القادة المحاربون أثناء الحرب ولو أنه لم يكن لهم نفوذ ولا قوة أمام نفوذ وقوة صانع المطر . كما أن السحر لا يقتصر على صانع المطر وحده ولكن يوجد السحرة المتخصصون ولكنهم أقل أهمية أيضا (٢) .

وبجانب ما سبق يوجد كبار السن الذين لهم كلمة مسموعة ، فعند « اللافوقا » تعقد محكمة كبار السن ، ولها أحكام نافذة (٣) .

ويسير النظام الاجتماعى عند النوباويين الجنوبيين على أساس النظام الأموى والزواج مسموح به من داخل الجماعة ولكنه لا يسمح به من داخل العائلة نفسها . والرباط الاجتماعى الواضح هو ما يوجد بين الطفل وعائلة أمه ، ولذلك فإن نظام الميراث عند النوباويين الجنوبيين يسير على النظام الأموى حيث تذهب ممتلكات الرجل الى بن الأخت ، ولكن « سلجمان » يعتقد أن ملكية المنزل تصبح للمرأة ويكون من نصيب بناتها . أما فى تلال تيرامندى تيرا الأخضر ، الدلنج فإن الميراث يسير على النظام الأبوى فيما عدا ملكية المنزل التى تصبح من نصيب المرأة وتورثه لبناتها (٤) .

(١) يقتصر هذا الدور الآن على المناطق الجنوبية القصوى فقط بعد انفتاح منطقة النوبا على الثقافات الأخرى خصوصا العربية الاسلامية .

(٢) سلجمان مرجع سابق ص ٣٧٦ .

(٣) سلجمان - مرجع سابق ص ٣٧٨ - أصبحت المحاكم على مستويات فهناك محكمة عليا على مستوى ناظر القبيلة والمكوك وأخرى على مستوى عمدة البلدة ومعه كبار السن . (الكاتب) .

(٤) سلجمان ص ٣٨٤ . بسؤالى لمعظم الجماعات الشمالية عن الميراث تبين انهم يسرون الآن على نظم الشريعة الاسلامية . (الكاتب) .

أما من ناحية الدين فإن الجزء الشمالى من المنطقة قد اعتنق الاسلام ولا سيما فى « المدن » وان كانت توجد جيوب وثنية ونسبة لا بأس بها من المسيحيين خصوصا بين الكواليب أما سكان المنطقة الجنوبية فانهم ما زالوا يعيشون على الوثنية ، وبجانب صانع الأمطار ذى القداسة يوجد « خير الطب » الذى له مكانة هامة أيضا وكذلك يوجد خير للجبوب يحدد مواعيد الزراعة والحصاد « وخير للحيوانات » لمعالجة الحيوانات ، كما يوجد صانع الحديد ، وفى الوقت الحاضر انتشرت الخدمات البيطرية وكذلك توجد أقسام للارشاد الزراعى بجانب الحرفيين المتخصصين فى أعمال النجارة والحدادة وغيرها . . .

اللغات وعلاقة النوبا بالنوبيين :

من الصفات المميزة للنوباويين تعدد لهجاتهم لدرجة يمكن أن نجد فى كتلة جبلية محدودة أكثر من لهجة . ولا تفهم كل مجموعة من السكان لهجة المجموعة الأخرى وان كانت تتشابه فى العادات والتقاليد والمعتقدات بصفة أساسية . ومن الأمثلة الواضحة على ذلك سكان جبل الليرى ، حيث يعتبر سكان هذا الجبل أنهم السكان الأصليون ، وقد قدم اليهم من جهة الشرق جماعة اللافوا انذين أتوا من جبل تكم (١) . وقد اختلط الاليريون بالعرب فى المناطق المنخفضة الى حد ما . ويعترف اللافوا بأنهم لا يفهمون لهجة الاليريين ، كما أن قليلا من الأخيرين هم الذين يتكلمون لهجة اللافوا ، كما أن الاختلاط عن طريق الزواج بين المجموعتين ضئيل جدا . وإلى الغرب بحوالى ستة أميال على نفس التل توجد جماعة « تلسا » من أهل كورونجو الوطنيين ، بالإضافة الى اللاجئين من مختلف الجبال الشمالية الذين سبق أن غزاهم وأسرههم دراويش المهدي ثم استقروا حول سفوح تل الاليرى (٢) .

وقد أجرى بحث عن لغات منطقة النوبا فى الفصل الجاف من عام ١٩٣١/٣٠ لمدة ثلاثة شهور على نفقة الحكومة السودانية قام به اثنان من المتخصصين فى اللغات (٣) لدراسة اللغات الموجودة فى المنطقة ومقارنتها ومحاولة التوصل الى

(١) توجد لهم حطة فوق الجبل وأخرى فى أسفله . (الكاتب) .

(٢) سلجمان - القبائل الوثنية ص ٣٧٠ .

(٣) SNR. Vol. 14 Part I : The language of The Nuba Mts. by : P. A. Mac Diarmid and D. N. Mac Diarmid p. 150.

الربط بينها ، وقد استعانا بمجموعة من الكلمات والجمل الملائمة للترجمة الى مختلف اللغات الموجودة في المنطقة للمقارنة بينها . وبناء على ذلك قام الباحثان ببحث خمس وأربعين لهجة ووفقا لهذه الدراسة المقارنة بين هذه اللهجات توصل الباحثان الى وجود عشر مجموعات لغوية فقط في جميع أنحاء المنطقة .

كما أن الدراسة التفصيلية الموسعة يمكن أن تجمع بعض هذه اللغات الى بعضها . وجاء في هذا البحث أن « كل مجتمع تل » ينكر أن لغته تشابه مع اللغات الأخرى حتى بالنسبة للمجتمعات المتجاورة ، ولكن بعد الدراسة تبين أن هناك تشابها بين اللهجات المختلفة . كذلك وجد الدارسان أن المجموعات اللغوية الموجودة أقل مما كان متوقعا . ومثال ذلك أن المنطقة الوسطى كلها بين دلامى وتندك في الشمال الى تلال مورو في الجنوب تحتوى على لغة واحدة . وتشمل هذه المنطقة تلال الكواليب ، الهيبان ، الأوتورو ، الشواي ، أمحيطان ، تيرا الأخضر ، كندرما ، مورو (باستثناء بعض القرى في الوسط حيث تسود لهجة تلودي) ، أمبورين ، ليو . وتندش اذا وجدنا أن هذه اللغة تمتد شرقا حتى فونجور .

وفي هذه المنطقة الوسطى الواسعة توجد عديد من اللهجات يصل عددها الى احدى وعشرين لهجة رئيسية وغيرها الكثير . وأنه من الصعب على الوطنى الذى يقطن في جنوب المنطقة أن يفهم لهجة زميله القاطن في الشمال . ومثال ذلك أن أهل هيبان - وكان مع الباحثين اثنان منهم لمعاورتهما أثناء الرحلة - لم يستطيعا فهم لهجة شعب المورو في كروراك واعتبروهم أجانب ، ويرجع هذا بدون شك الى الانعزال الدائم لفترة طويلة لكل مجموعة عن الأخرى (١) .

ويلخص الباحثان نتيجة الدراسة التى قاما بها في المنطقة بأنه توجد عشر لغات - بجانب اللغة العربية - هي :

(١) ماك ديارميد - مرجع سابق ص ١٥١ ومن ص ١٥٢ الى ١٦٠ دراسة تفصيلية عن لهجات المنطقة وارتباطها ببعضها - ويعتبر هذا البحث من اقيم البحوث التى كتبت على لغات المنطقة .

١ - الكواليب :

وتشمل تلال : دلامى ، امبرمبيطة ، تنسك ، كواليب ، فكر ، ألييرا ، هيبان ، أبول ، أوتورو ، شواى ، أمحيطان ، تيرا الأخضر ، كندرما ، تيرالمون (فى تلال مورو) ، مورو ، ليبو ، أمدورين ، لخة ، فونجور ، كاو ، نيارو ، ورنه •

٢ - تقلى :

وتشمل تلال : رشاد ، تقلى ، كچاكچة ، تاجوي ، تورجوك ، توميلى ، وادلكا ، موريب ، تكم •

٣ - تلودى - مساكين :

وتشمل تلال : الليرى (النهاية الجنوبية من السلسلة) ، تلودى ، (تلودى ، تسومى ، تاتا) ، بورام ، مساكين (جبل دجيچ) ، تاتشو ، أتشيرون ، تورونا ، نومون (أربعة مجتمعات صغيرة فى تلال مورو) ، أهىما ، دلوكا •

٤ - تلودى - كادوقلى :

وتشمل تلال الليرى : (النهاية الشمالية للسلسلة) ، كوروندى ، تلودى (تومتوم) ، كورونجو ، تبايا ، فاما ، التيس ، كورونجو ، أم عبد الله ، كانجا ، ميرى ، كادوقلى ، مورتا ، كيجا الخيل ، دميك ، كدودو ، كيجا لبون ، كيجا تميرو ، والنوباويون فى الدار الكبيرة فى منطقة لقاءة ، كمدنج (كمدى) ، توليشى •

٥ - داجو :

وتشمل تلال داجو : (الدار الكبيرة .. الخ) شط الدمام ، شط الصفية ، شط التبليدية ، ليجورى ، سبورى ، تلو (شمال شرق كادوقلى) وأجزاء من « أبو سنون » وأبو حاسم •

٦ - تمين :

وتشمل تلال تيس أم ضنب (شمال كادوقلى) كيجاچيرو ، تمين •

٧ - كتلا :

وتشمل : كتلا ، چلود ، تيماء

٨ - نيامانج (نيمانج) :

وتشمل تلال نيمانج ، مندل (فيما عدا جزء من الصبي) ، افيتى دايرو

٩ - نوبية - تليه :

وتشمل تلال : دلنج ، غولفان ، دبرى ، فييتو ، مورون ، تورون ، شيلما
كابيللا ، والى كورون ، والى بابوى ، أبو سيده ، كونيت ، فاندلا ، دولمان ،
كاشا ، شيفر ، أبو جنوك ، طبق (طبج) ، كويچا ، شنشان ، بوسكا ، سيرجا ،
بوباي ، أبو جرین ، كدرو ، دباتنة ، كلدجى ، كورتالا ، كافير ، دايرو (فيما عدا
سدرا) (١) .

ويقسم الأستاذ « مينهوف » فى كتابه Eine Studienfahrt Nahk Kordofan (همبورج ١٩١٦) الذى يعتبر أحد المتخصصين الخبراء فى علم
تطبيق اللغات أو شرح المصطلحات الفنية ، يقسم اللغات التى يتحدث بها سكان
النوبا الى ثلاث مجموعات واضحة هى :

١ - النوبية .

٢ - السودانية .

٣ - أدوات السبق أو التصدير (٢) .

ويلق (ماك ديارميد - الباحثان) على تقسيم (مينهوف) سالف الذكر
بأنه يحتاج الى بعض التصحيح ، وكمثال على ذلك فانه اذا كانت (كاوارما)
(الأوتورو والكنلرما) لغة مسبقة بأداة فينبغى أن تكون (كواليب) كذلك ،
حيث أنهما ليسا فقط لغات متصلة ولكن من نفس اللغة . كذلك تلودى

(١) ماك ديارميد ص ١٦١ .

(٢) SNR. Vol. 15 Part 2 1923 : The Nuba Proper of Southern Kordo Fan. by : D. Haw Kes worth p. 159.

ودجيح (مساكين) ينبغي أن تكون من نفس المرتبة والتمتوم ينبغي أن تضم
الى كورونجو • بالاضافة الى تغييرات أخرى ضرورية (١) •

أما « هيلسون » فانه يقسم مجموعات السكان حسب اللغة في جبال
النوبا الى :

- ١ - المتكلمون باللغة النوبية التلية •
- ٢ - المتكلمون باللغات السودانية •
- ٣ - المتكلمون بلغات أدوات السبق •

ويشير الى المجموعات الأولى فقط باسم نوبا ويدعم ذلك بالناحية
التاريخية ، أما بالنسبة للمجموعتين الأخيرتين فانه يذكر أن الاسم مغلوط (٢) •

أما (مردوك) فانه يذكر أن النوباوين يتكلمون لغة من مجموعة مستقلة
تماما هي المجموعة الكردفانية • وهذه المجموعة تنقسم الى خمس عائلات لغوية
فرعية في منطقة النوبا هي :

- ١ - الكتلا في الشمال الغربي •
- ٢ - الكواليب في الوسط •
- ٣ - التقل في الشمال الشرقي •
- ٤ - التتموم في الجنوب الغربي •
- ٥ - التلودى في الجنوب •

ويضيف (مردوك) الى هذه الفروع مجموعة « التمنى » في الجزء الغربي
الأوسط من تلال النوبا • وكان (جرينبرج) هو الذى ابتدع هذا التصنيف
أصلا في عام ١٩٥٠ كمجموعة لغوية كيزة قائمة بذاتها ، ولكنه عدل بعد ذلك
عن اعتبارها مجموعة لغوية مستقلة واعتبرها ضمن العائلة الفرعية الشرقية من

(١) ماك ديارميد - مرجع سابق ص ١٦٢ •

(٢) هوكسورث - مرجع سابق ص ١٦٠ •

المجموعة اللغوية السودانية وأن المتكلمين بهذه العائلة اللغوية الفرعية ربما يعاملون كنوبيين أكثر منهم نوباويين وفيما يلي تفصيل للأقسام اللغوية التي أوردتها « مردوك » :

١ - الكاتلا - مع أقاربهم من الجلود والتيما •

٢ - الكواليب - وتشمل الأبول ، دلامى ، عبرى ، هينان ، ككده ، كاتى ، كندريما ، كواليب أصليين ، لارو (الليرا) ، ليبو ، لخة ، مورو ، مومو ، ندورنو ، نكر ، نجاد هادو ، رينارو ، أوتورو ، شواى ، تندك ، تيرا •

٣ - (تقلى) وتضم الكچاكچة ، موريب ، رشاد ، تقلى الأصليين ، تاجوى ، توميلى ، توموك (أوتوماك) ، تورجاك ، وادلكا •

٤ - تلودى (تسومى ، تاتا) وتضم أتشيرون ، بورام ، دلوكا ، الليرى الشمالية والجنوبية ، اللافوقا ، لومون ، مساكين ، تاتشو ، تلودى •

٥ - تمتوم - وتضم دمك ، الليرى الشمالية ، فاما ، كادادوا ، كادوقلى ، كمدنج ، كانجا ، كروندي ، كيجا ، كورونجو ، ميرى ، مورتا ، تيانا ، التيس ، توليشى ، التمتوم الأصليين ، توروج •

٦ - تمين - مع أقاربهم من الكيجاجيرو ، تيس أم ضنب (١) •

ويذكر « سلجمان » أنه إذا ما قورنت لغات النوباويين الجنوبيين بلهجات المحس ، السكوت ... الى آخره التى يتكلمها البقارة فائنا نجد أن اللغات النوباوية الجنوبية تختلف اختلافا أساسيا عن اللهجات « البربرية » فى المفردات والتركيب النحوى • ومع ذلك فقد وجد منذ نصف قرن تشابه بين اللهجات « البربرية » ولغات أهل كردفان عند سكان المناطق الشمالية الذين خضعوا للتأثيرات الخارجية لمدة معقولة •

ويضيف « سلجمان » أن التأثير الخارجى هو المسئول عن وجود اللغات النوبية فى شمال كردفان • ويذكر أنه حدث تغلغل بطيء - ولكنه واضح من وادى النيل على الرغم من أن البروفسور (وسترمان) لا يقبل هذا الاقتراح

(١) مردوك - مرجع سابق ص ١٦٤ ، ١٦٥ •

ويعتبر أنه من غير الممكن لهذه اللغات النوبية أن تنمو نتيجة للتأثير الخارجى التجارى .

ويعتقد البرفسور (مينهوف) أن هذه اللغات النوبية أو المتأثرة بالحامية تمتد مائة ميل فقط جنوب الأبيض ، ولكن الاكتشافات الحديثة — كما يذكر « سلجمان » — توضح أنها انتشرت أكثر الى الجنوب ومن بين مظاهرها الميزة بقايا « نظام الصوت » وحدوث « الجنس النحوى » Grammatical gender

وفى المنطقة الجنوبية التى يعرفها العرب بالمقر الأصلي للنوباويين يمكن التعرف — كما يذكر « سلجمان » — على مجموعتين من اللغات :

الأولى : تشمل مجموعة من اللغات السودانية .

الثانية : سلسلة من اللغات أطلق عليها « مينهوف » (ما قبل الحامية) وتشابه لغات الباتو والفولاني فى وجود (درجات أسماء Noun Classes وتوافق تنابعى Alliterative accordance وهى التى أطلق عليها دكتور « برنارد ستراك » لفظ باتوية وهذه اللغات الأخيرة — التى لوحظت لأول مرة عام ١٩١٠ — تختلف عن اللهجات البربرية التى تحذف فيها تغييرات النحو عن طريق المقطع الأخير سواء بالنسبة للأسماء أو الأفعال ، أما فى تلك فأنها تحدث نتيجة للتغيير الذاتى — وهى بذلك شبيهة بلغات الباتو ، على الرغم من أن ذلك غير كاف — كما يذكر « سير هارى جونستون » التأكيد ضمها الى الفئة الشبيهة بالباتو .

ويذكر سلجمان أن الفئة الثالثة من اللغات توجد فى المنطقة الوسطى بين النوبية فى الشمال والباتوية فى الجنوب ، وهى لغات سودانية مثالية (١) .

(١) سلجمان — القبائل الوثنية مرجع سابق ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

ويربط « سلجمان » بين أنواع اللغات في منطقة النوبا والمظاهر الجسمية للسكان كما يظهر في الجدول الآتي (١) :

المجموعة اللغوية	نسبة الرأس	نسبة الأنف	نسبة الوجه	نسبة الرجة العلوى	طول القامة
النوبية	٧٥ (١٣)	١٠١-١٠٢ (١٣)	٧٩,٩ (١٣)	٤٦ (١٣)	١,٧٥ (٤)
السودانية	٧٩ (١٣)	١٠١-٣ (١٣)	٧٦-٨ (١٣)	٤٤-٣ (١٢)	١,٦٩ (٥)
باننوية	٧٦-٧ (٥٠)	٩٣-٤ (٥٠)	٨٢-٨ (٥٠)	٨٢-٣ (٥٠)	١,٧٢ (٤٦)

الأرقام التى بين الأقواس تبين عدد الحالات (العينات) التى أخذت عنها المعلومات •

ويذكر سلجمان أن النتيجة النهائية هى أن كل تل له لهجته الخاصة التى تختلف عن لهجة سكان التل المجاور ، وإذا كانت هناك لغة مشتركة فإن كل مجموعة تعيش معيشة مستقلة عن الأخرى أو فى حالة اكتفاء ذاتى لدرجة ملحوظة لذلك لا توجد أى درجة من درجات الزواج من الخارج داخل الجماعات الصغيرة أو على مستوى العشيرة (باستثناء منطقة الدلنج) (٢) •

ثم نأتى أخيرا الى نقطة هامة وهى علاقة النوباويين بالنوبيين أو تفسير وجود اللغة (النوبية التلية - تميزا لها عن النوبية الشمالية) فى الجزء الشمالى من جبال النوبا وفى هذا الصدد يذكر (كوكزر) بأن الدلائل اللغوية تشير الى وجود علاقات بين النوباويين فى الدلنج وغيرهم كانوا مرتبطين بالنوبيين على وادى النيل فإن نظرة سريعة على مفردات اللغتين توضح التعرف السريع على هذه العلاقة ، وأنه رغم الاختلافات الموجودة بين لهجة « الأفيتى » وهى جماعة من النوبا تسكن جبل الداير - واللغة النوبية ، إلا أن هناك صلة حقيقية الدرجة أنه يمكن التأكيد بأن هذه القبيلة تدخل ضمن النوباويين •

(١) سلجمان - القبائل الوثنية ص ٣٧٥ - وقد أصبحت اللغة العربية لغة مشتركة بين النوباويين *Lingua Franca* ولا سيما فى المنطقة الشمالية والوسطى ويطلق على هذه اللغة اسم نوبى - عربى (الشعوب والسلالات الافريقية ص ٢٠٥) •
(٢) سلجمان - المرجع السابق ص ٣٧٤ •

ويضيف أن الأفيتي يتفقون في بعض النقاط اللغوية مع النوبيين النيليين ،
وفي النقاط الأخرى مع جبال النوبا وحدها ، بينما نجد أن امكانية الاستعارة
مستبعدة •

أما من الناحية الاثنولوجية فإن الأفيتي جزء من المجموعة النوباوية وإن
كانت هناك بعض العادات والمعتقدات الغربية الخاصة بهم مثل بعض السمات
اللغوية ويفسر ذلك بأنهم من مخلفات المملكة النوباوية القديمة التي كانت
مزدهرة والتي كان الأفيتي - بدون شك - يرتبطون بها (١) •

ويؤكد ذلك ما جاء في الموسوعة البريطانية مجلد ١٦ صفحة ٥٨٣ تحت
عنوان (النوبا) أن لغات سكان تلال جنوب كردفان التي إلى الشمال قليلا
من بحر الغزال تختلف من ناحية التركيب النحوي والكلمات أيضا عن اللهجات
البربرية ، أما التشابه الملحوظ بين هذه اللهجات البربرية وتلك الموجودة في
كردفان فينطبق فقط على تلك اللهجات التي يتكلمها عدد محدود في المجتمعات
الشمالية من المنطقة التي خضعت للنفوذ والتأثيرات الأجنبية (أي البرابرة)
لمدة طويلة •

أما « هندرسون » فإنه يذكر أن الصلات اللغوية في « جنوب كردفان » مع
دقطة لا يمكن أن تفسر عن طريق العلاقات التجارية ، وإنما تفسر على أساس
أن النوباويين الذين يسكنون التلال الآن أتوا من الشمال الغربي ، وأن هناك
احتمالا معقولا بأنهم أخلاف « النوبا الأحمر » Red Nuba الذين وجدهم
ملك أكسوم في منطقة هواوير الحالية ، وظل بعضهم مترحلا في الصحراء الليبية
بينما كان اخوانهم يرعون القطعان في Dode Kascinoines وكان الرحل
خاضعين لخليط من الدماء العربية ودماء الرقيق (الزنوج) وبذلك اختلفوا عن
الدماء التي كونت البرابرة الجدد في وادي النيل ، وقد ظلوا أيضا وثنيين في
حين اعتنق البرابرة المسيحية أولا ثم اعتنقوا الاسلام بعد ذلك ، ثم استقبلوا
جرعة حديثة من الدماء الحامية من غزوة البلالة Bulala وربما تكون هذه
الغزوة قد ساقتهم ودفعتهم أمامها ناحية الجنوب • ويذكر « هندرسون » أنه

(١) SNR. Vol. 6. The Afitti Nuba of Jebel Daier and Their relations
to The Nuba Proper. pp. 1—2.

ليس هناك سبب يدعونا الى ترجيح أنهم احتلوا تلالهم الحالية في وقت متأخر .
ويشير الى أن هناك دربا واضحا يتجه نحو الشمال الغربى عبر تلال الاضية
حيث يعتقد أنهم سلكوه في هجرتهم الجنوبية من المنطقة الموجودة خلف جبل
ميدوب .

ويعقد « هندرسون » مقارنة بين الرسوم الموجودة في جبل (العفاريت)
وتمثل الفرسان مع تلك الزخرفة الموجودة في أماكن الدنج ويذكر أنه رغم أن
وجود الحصان قادر لدى سكان التلال الا أنه يفهم أن (سبر الحصان) (١) من
أهم الاحتفالات الموجودة في المنطقة .

ويذكر « هندرسون » أن الهجرة نحو الجنوب كانت عملا بطيئا وليس
هناك ما يدعو للافتراض بأن جميع التلال أصبحت مأذولة كلها في وقت واحد ،
فمثلا بالنسبة للكاشا والشفر في أقصى الشمال الغربى لمنطقة النوبا يمكن أن
يتذكروا متى غزوها للمرة الأولى ، أما شعب طبق (جنوب الكاشا والشفر)
فقد وافق على أنه جاء من اتجاه الأضية في أواخر القرن الثامن عشر (ربما بعد
غزو الفور لكردفان وغزو الحمر التالية) وأنهم أجلوا السود السابقين لهم من
مكانهم .

ومعنى ذلك أن « هندرسون » يفترض أصلا واحدا للنوبيين الموجودين
الآن على وادى النهر والنوباويين (على الأقل في الشمال) الموجودين في جنوب
مديرية كردفان ومن هنا كان التشابه اللغوى (٢) .

وقريب من رأى هندرسون سالف الذكر رأى « ارنست زيلارز » Ernst Zyhlarz
الذى أورده « سلجمان » حيث يذكر أن الموطن الأصلي للنوبيين كان
يوجد في كردفان ، حيث كانت هناك دولة مكتظة بالسكان قسمت الى أقسام
على أساس اللهجة فهناك مجموعة (١) ومجموعة (ب) وقد اتجه جزء من مجموعة
(١) الى الغرب واستقر في جبل ميدوب واتجه جزء آخر الى وادى النيل

(١) السبر = احتفال كفيه من الاحتفالات مثل سبر الحصاد وسبر
الزراعة ... الخ .

واستقروا بجوار الليبيين الذين كانوا هناك فعلا وكان ذلك منذ عدة قرون من بداية التاريخ .

وفي بداية عصرنا الحالي بدأ الجزء المتبقى من مجموعة (أ) في الرحيل من كردفان . ويذكر « زيلارز » أنه توجد بعض عادات وتقالييد النوباويين (المتكلمون باللغات المكتسبة للصفات الحامية) ترتبط بأسلافهم القدماء هؤلاء، وأن (البرابرة) كانوا أولاد أعمامهم وكانوا يعيشون سويا في كردفان حتى ترك (البرابرة) المنطقة بعد صراع فيما بينهم حول ملكية الأرضية بخنزر . وقد اتخذت هذه الهجرة الثانية المجموعة (أ) طريق وادي الملك نحو النيل ، وإن كانت بعض العناصر قد استقرت في واحات درب الأربعين بينما استقرت الأغلبية في منطقة دنقلة ووجدوا هناك اخوانهم السابقين لهم اليها . وقد اكتسبوا خلال فترة الانقطاع فيما بينهما ثقافات جديدة .

أما عن مجموعة (ب) النوبية التي كانت ما تزال مستقرة في الوطن الأصلي فيذكر « زيلارز » أنها أغارت في القرن الرابع الميلادي على منطقة انجزيرة وقوضت مملكة « مرو » ولكنهم لم يتوافقوا مع سكانها الذين كانوا قد بلغوا شأوا في الثقافة والحضارة في حين كان التراث الثقافي لمجموعة (ب) متخلفا . وأخيرا ارتبطت مجموعة (ب) النوبية مع أقاربهم الشماليين برباط الدين المشترك .

وخلال الفترة المسيحية كانت مملكة دنقلة الشمالية قد وصلت الذروة ثقافيا وسياسيا ، وبسطة نفوذها على الظهير الغربي حيث سيطرت على طرق التجارة الى افريقيا الوسطى ، وكان هذا التوسع الغربي يشمل منطقة ميدوب ، وهذا يفسر حقيقة أن النوبيين القدماء المستقرين في هذه المنطقة كانوا يعتبرون أنفسهم جزءا من مملكة دنقلة .

ويعلق « سلجمان » على هذا الرأي بقوله أن هذه الحجج وضعت أصلا على أسس لغوية أبقنها وأحسن عرضها أكثر « هليستون » الذي أكد على عدم الوضوح الذي سببه عدم التمييز في تطبيق لفظ نوبا Nuba على جميع السود الذين يسكنون التلال في كردفان ، حيث يوجد تمييز واضح بين ثلاث مجموعات

(شبه حامية ، سودانية ، شبه باتتوية) وتنطبق الحجج اللغوية على السكان الشماليين فقط الذين يتكلمون لغة شبه حامية •

ويذكر « سلجمان » أنه سواء كان رأى « زيلارز » صحيحا أو غير ذلك فإن الصفات الجسدية بين النوبيين في وادى النيل وسكان المرتفعات من النوبيين في كردفان – الذين يتكلمون اللغات الحامية – ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار ، كذلك يذكر « سلجمان » أنه رغم أن معلوماتنا عن الأخيرين ضئيلة إلا أنه من الواضح عدم وجود اختلافات جسدية كبيرة بين هؤلاء البرابرة (النوبيين) الحاليين وبين الذين كانوا يعيشون في زمن سابق للتاريخ الميلادى بعشرين قرن من الزمان •

ويصل « سلجمان » الى نتيجة أنه اذا كانت لغة النوبيين قد وصلتهم من كردفان فانه سيقرب على ذلك تيجتان فقط هما :

الأولى : اما أن يكون المهاجرون الحاملون للغة يحملون نفس الصفات الجسدية لنوبيى النيل •

الثانية : أنهم كانوا قلة لم يؤثروا فى الصفات الجسدية لنوبيى النيل وان كانوا قد فرضوا عليهم لغتهم وثقافتهم وحضارتهم^(١) •

أما عن المجموعة التى يطلق عليها اسم المتكلمين باللغة النوبية التلية أو كما يسميها « هوكسورث » بالنوبا الحقيقيين Nuba Proper فانها كما يذكر تضم الجماعات التلية الآتية :

الداير ، الدلنج ، الكودر ، هبلا ، مجموعة كاركو (وتشمل البابوا الغريين والكروم الغريين والأورسيد الغريين) ، أبو چنوك ، الطبقة ، الحجرات (وتشمل كوبجا ، شنشان ، بوشا ، سيجا ، بوباي ، أبو قرين) ، فاندا ، كوفيت وتعرف أيضا باسم كچورية ، دبرى ، مجموعة نيامانج ، مجموعة مندل^(٢) ويذكر « هوكسورث » أنه باستثناء النيامانج والمندل وأفيتى جبل

(١) سلجمان – القبائل الوثنية مرجع سابق ص ٤١١ ، ٤١٢ •

(٢) SNR. Vol. 15 The Nuba Proper of Kordofan. by : D. Hawksworth. p. 160.

الدير فإن المجموعات السابقة تتحدث بلغة واحدة مع وجود بعض الاختلافات، وتشبه هذه اللغة لغة الدناقلة في السودان الشمالي، أما لغات النيامنج ومندل وأفيتي جبل الداير فإنها متشابهة أيضا • ولقد بحث « مينهوف » صحة وضعهم في القائمة السابقة ولكن ما زالت هذه النقطة موضع بحث ودراسة • ويشير « هوكسورث » الى أنه بإلقاء نظرة على الخريطة نجد أن هذه التلال محددة في النطاق الشمالي لتلال جنوب كردفان ممتدة من (حجرات) دار المسيرية في الغرب الى مجموعة كدرو في الشرق بينما نجد أن جبل دبري الذي يقع على طريق الدنج - كادوقلي يعتبر أقصى تلال هذه المنطقة جنوبا •

ويضيف « ستيفسون » على ذلك بأنه يوجد اختلاف واضح في الوقت الحاضر بين النوبيين الذين يتكلمون لغة عربية في دنقلة وجزء من مصر العليا أي الذين يقطنون منطقة النوبة وبين النوبا كلفظ عام يطلق على المجموعات القبلية في جبال النوبا في مديرية كردفان، ويوجد غموض في اللغة الانجليزية في الاستعمال عندما يتحدث الكتاب عن النوبا وهم يقصدون النوبيين أو انعكس • ومما زاد في الغموض أنه يوجد ارتباط لغوي (تحقق لأول مرة في القرن التاسع عشر) بين اللغة النوبية في وادي النيل ولغات بعض سكان التلال الشمانية من جبال النوبا مثل جبل الداير، كدرو، دلنج، غلفان، كاركو • وكذلك يتحدث ببعض أشكال هذه اللغة سكان جبل ميدوب والبرقد في دارفور وكذلك في جبل حرازة شمال كردفان ومنطقة شمال الأبيض (١) •

ويستشهد « ستيفسون » برأي هلسون « الذي يقول بأن العرب المحدثين والأوربيين يطلقون لفظ نوبا على السكان المتزنجين الذين يسكنون تلال كردفان وهذا يؤدي الى غموض سيء حيث أن ذلك يؤدي الى وجود انطباع مؤداة أن الزوج الذين يشار اليهم بهذا الاسم العام شعب متجانس تجانسا تاما أو بشكل ما، ولكن الدليل اللغوي يفترض وجود ثلاث مجموعات هي :

(١) Stevenson, R.C. : The Nuba People of Kordofan-An ethnographical Survey. M. Sc. (Econ.). Thesis. Khar. 1965. p. 4

رسالة غير منشورة (مكتبة جامعة الخرطوم) •

تمت عملية تهجير للنوبيين من الأراضي التي غمرتها مياه النيل بعد إنشاء السد العالي الى خشم القربة في السودان وكوم أمبو في مصر •

١ — المتكلمون باللغة النوبية التلية •

٢ — المتكلمون باللغات السودانية •

٣ — المتكلمون باللغات المسبوقة بأداة •

وينطبق اسم نوبا — ويحقق ذلك التاريخ — على المجموعة الأولى فقط .
أما في حالة المجموعتين الآخرين فإن الاسم غير صحيح •

ولذلك فقد حاول « هوكسورث » كما سبق أن رأينا أن يطلق اسم النوبا الحقيقيين أو الأصلاء على الذين يتكلمون اللغة النوبية فقط من سكان التلال ،
ويذكر « ستيفنسون » أن هذا اللفظ لم يقبل تماماً (١) •

ويلخص « باربار » الموقف كله بأنه لا يوجد في الوقت الحاضر بصفة قاطعة
أي تشابه في المظهر أو الحضارة بين النوباويين والنوبيين ، إلا أن الدراسة
اللغوية دلت على أن سكان جزء من المنطقة الشمالية من جبال النوبا يتكلمون
لهجة مشابهة بطريقة ملحوظة لهجات النوبية بصرف النظر عن التشابه في الأسماء
لأكثر المنطقتين • واستفسير المرضي لذلك هو أن النوبيين المحدثين هم أصلاً
من « الجنس الأسمر » Brown Race وأن كانوا قد احتفظوا — مع التعديل —
بالنوع الحامي من اللغة التي كان يتكلمها أسلافهم ، ومن جهة أخرى فإن
النوباويين هم نوبيون يحتلون الآن الجزء الشمالي من جبال النوبا وكانوا قد
هربوا إلى هذه المنطقة قبل مجيء العرب ، وقد أطلق اسمهم خطأ على كل منطقة
جبال النوبا بينما تلاشى المظهر الأسمر الذي كانوا عليه أصلاً بسبب التزاوج
مع السكان المحليين • وقد اختلط العرب مع الجنس الأسمر ومع الزنوج
وامتزج بعض من الجنس الأسمر في الجبال الغربية واعتبروا أنفسهم من العنصر
العربي ، ومن أمثلة ذلك قبيلة البديرية ، واعتصم البعض الآخر منهم بالجبال ،
ولهذا السبب ربما نجد أن العرب استخدموا لفظ (نوبا) للإشارة إلى جميع
السكان في سلاسل التلال دون النظر إلى الأصل وعلى وجه الخصوص منذ أن

اختلف الناس السمر وهم أصلا من النوع النوبي - مع الزنوج وأصبحوا من الناحية الجسدية لا يختلفون عنهم^(١) .

ويذكر (هولتون) أن التشابه اللغوي بين النوبيين والنوباويين في شمال الجبال قد جاء من تحرك النوبيين من منطقة النوبة واختلاطهم بالنوباويين في شمال الجبال في كردفان وقد أدى هذا الى وجود اللغة النوبية التلية على الرغم من عدم وجود ترابط جنسى بين المجموعتين وهذا عكس النظرية التي سبق أن أوفحنها والتي تذكر أن النوباويين هم الذين غزوا منطقة النوبة وفرضوا لغتهم على السكان في منطقة وادي النيل بعد هجرتهم اليها من كردفان^(٢) .

أما الدكتور « عوض » فيذكر أن علماء اللغة قد وقعوا في خطأ فادح عندما ربطوا بين النوبة والنوباويين وعلى الأخص هؤلاء العلماء - مثل فردريك مولر - الذين جعلوا العنصرين من عنصر واحد مشترك على الرغم من الاختلاف السلالي في الصفات الجسدية الواضحة واختلاف اللغات ولا سيما في المناطق الوسطى والجنوبية من جبال النوبا وكذلك الاختلاف الواضح في التراث الحضارى . ويذكر أنه من المرجح أن النوبيين قد هاجر بعضهم الى شمال ثم الى جنوب كردفان واختلطوا بالسكان وخلعوا عليهم لغتهم وليس العكس الذي يقول بأن جنسا زنجيا هو الذي هاجر الى منطقة النوبة وفرض لغته على سكان هذه المنطقة على الرغم من أن هؤلاء السكان كان من الصعب فرض لغة وثقافة دخيلة عليهم . أما اللغات الأخرى المتأثرة باللغة النوبية والتي يتكلم بها السكان في شمال كردفان ودارفور - كما هو الحال في جبل ميدوب - وكذلك في الأطراف الجنوبية من البطانة بين أعالي العظيرة والنيل الأزرق فيمكن تفسير هذا التشابه بما كان للنوبيين من التأثير في اقليم النيل الأزرق وفي سهل البطانة بالذات كما كان لهم انتشار مؤكد في دارفور وكردفان .

كما أنه يمكن تفسير وجود تشابه بين لغات الباري في أعالي بحر الجبل والمساى في هضبة أفريقيا الشرقية ولغة النيلين - أمثال الدنكا والشلك - بأن هذه الجماعات كلها دخلتها كثير من الدماء الحامية وأن اللغة النوبية

(١) Barbour, K.M. : The republic of the Sudan. London 1961. pp. 78—82.

(٢) SNR. Vol. 19 The Dubab of Jebel Daier p. 95.

كالشعب النوبى من أصل حامى صميم فمن المعقول أن تكون الثقافة الحامية قد تسربت الى جميع هذه الجماعات على بعد ما بينها من المسافات (١) •

الخلاصة :

بعد أن عرضنا لمختلف الآراء حول أصل « النوبا » ومدى صلتهم بالنوبيين تظل الملامح الآتية البارزة بالنسبة لهذه المجموعة السودانية :

١ - تنتمى هذه المجموعة الى الجنس الزنجى فى الدماء والصفات الجسدية الواضحة وان كانت قد تعدلت بعض الشئ فى الفترة الأخيرة •

٢ - أن هذه المجموعة التى يقتصر وجود كتلتها الرئيسية على جبال جنوب كردفان كانت تنتشر فى الجزء الأعظم من مديرية كردفان ، وما زالت بعض بقاياهم توجد الآن فى شمال كردفان •

٣ - حدثت صلات تجارية وثقافية بين هذه المجموعة النوباوية وبين النوبيين الذين يسكنون على ضفاف النهر ، وتمخضت هذه الصلات عن اكتساب بعض من هذه المجموعة لجزء من اللغة السائدة عند النوبيين وعندما بدأ تهقر هذه المجموعة نحو الجنوب أمام ضغط العناصر الأقوى خصوصا العرب استقر هؤلاء الذين تأثروا بالنوبيين فى الأجزاء الشمالية من المنطقة التى يعيشون فيها حاليا •

٤ - يسكن منطقة النوبا الآن عناصر عربية وفلاتة (من غرب أفريقيا) وبعض من نيلوتى الجنوب خصوصا الدنكا والنوير • وأن هذه العناصر فى طريقها الى التمازج والانصهار • وبالتالي فانه سوف يجىء اليوم الذى يتكون فيه عنصر جديد هو خليط من هذه العناصر جميعا وان كان هذا اليوم ليس بقريب •

٥ - أن هذه المجموعة النوباوية كانت تتمتع بحضارة متقدمة فيما يبدو من الصور والأواني الفخارية التى وجدت داخل الكهوف وخارجها كما أنها كانت على اتصال بغيرها من الحضارات الأخرى فى غرب أفريقيا ووادى النيل •

د . السعيد البدوى

(١) د . محمد عوض محمد - السودان الشمالى سكانه وقبائله - القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٢٨٧ : ٢٩٠ •

الطيور كآفات زراعية في أفريقيا

BIRDS AS AGRICULTURAL PESTS IN AFRICA

The most important pest among African birds is a member of the weaver birds (Fam. Ploceidae) known as the black-faced dioch (*Quelea quelea*) whose range extends in all the dry savannah regions of Africa but whose effects are worst felt in Senegal, Nigeria, and the Sudan. The next birds in importance are *Passer domesticus* in Egypt and the Sudan and *P. hispaniolensis* in Egypt and Libya. Other birds are of limited distribution but of considerable importance locally. These birds were normal components of their ecosystems but changes brought about by man caused them to break the barrier of ecological equilibrium. Extensive millet cultivation was the factor for *Quelea* while urbanization and the large-scale application of insecticides are responsible for the spread of *Passer*.

Samir I. Ghabbour

ان أهم نائر يؤثر على المحاصيل الافريقية هو طائر الكويليا (شكل ١) الذي يبلغ في حجمه حجم العصفور الدورى العادى (الآفة التالية فى الأهمية) وهو ينتمى الى عائلة الطيور النساجة (بلوسيدى) ويتنشر هذا النوع على امتداد منطقة السفانا بأكملها من المحيط الأطلسى الى وادى النيل ويمتد جنوبا عبر المناطق الجافة فى شرق افريقيا الى زامبيا وروديسيا وبعض مناطق جنوب افريقيا ولكن تتركز أضراره فى الجزء الشمالى من مداه الجغرافى أى من السنغال الى السودان عبر نيجيريا وينقسم فى هذا النطاق الى سلالتين احدهما كويليا كويليا فى السنغال والأخرى كويليا ايثويكا فى جنوب دارفور ومناطق المطر الوسطى بالسودان (شكل ٢) .

والغذاء الطبيعى لهذه الطيور التى تتميز بعاداتها التجمعية هو حبوب النجيليات البرية . وتنضم أفرادها اذا كانت قليلة العدد الى أسراب العصفير الدورية فى جنوب افريقيا ، كما تقبل أسرابه هو انضمام غيره من العصفير

Dept. of Natural Resources, Inst. of African Research and Studies, Cairo University, Egypt. CAIRO AFRICAN STUDIES 1 : 101—123 (1972).

اليها • ويتراوح عدد الأفراد في السرب من أقل من مائة الى بضع ألوف ، ولكن أفرادها دائما متقاربة جدا • وتتفرق الأسراب الكبيرة الى جماعات صغيرة في نهاية موسم المطر عندما يتوافر غذاؤها من الحبوب التي تنضج على السنابل ولكن تتجمع الأسراب ثانيا في نهاية موسم الجفاف عندما يكون من الصعب العثور على الحبوب بعد سقوطها من السنابل وتفرقها في الأرض واستهلاكها بواسطة حيوانات أخرى عديدة • وبهذا التجمع تتساند الأسراب في البحث عن الحبوب وعند توافر الحبوب في نهاية موسم المطر يقتصر اهتمام الكويليا على القليل من أنواع النجيليات ذات الحبوب الصغيرة وكلما امتد موسم الجفاف وهذا المورد انتقل اهتمام الكويليا بالتالى الى النجيليات ذات الحبوب الكبيرة بما فيها المحاصيل • وقد تبين في نيجيريا أن طائر الكويليا يعتمد على حبوب أكثر من ٤٠ نوع مختلف من النجيليات ولكن القليل منها هو الذى يفضلها فعلا ويمكن اعتبارها أساسية في غذائه وأن المحاصيل الزراعية التى تعاني كثيرا من هجماته لا تمثل الا نسبة صغيرة من غذائه وان كانت تمثل خسارة كبيرة للمزارعين • ولا يهاجم الكويليا المحاصيل الا في موسم الجفاف عندما تندر الحبوب البرية ولذلك ينصح باختيار محاصيل تنضج حبوبها مع نهاية موسم المطر حتى تنجو المحاصيل من الهجوم لتوفر الحبوب البرية ، اللهم الا اذا جاءت أسراب جائعة من مناطق أخرى أشد جفافا فتزيد من تعداد الطيور المحلية ومن ضغطها على مواردها الغذائية البرية •

وفي بداية موسم المطر يضع مورد الحبوب نهائيا اذ تكون كلها في حالة انبات فتحدث وفيات كثيرة من الجوع بين الأسراب وربما يكون هذا العامل هو الأساس في التحكم الطبيعي في تعداد الكويليا •

وتتجمع ملايين الأزواج من الكويليا لتعمل جنبا الى جنب في بناء الأعشاش (شكل ٣) • وتسمى هذه التجمعات بالمستعمرات ، وقد تغطى مساحة ألف أو ألفي فدان • ويقوم الذكر ينسج العش على فروع أشجار الاكاسيا وتسكنه

الأثني قبل أن يتم بناؤه • ويحدث السفاد دون استعراض غزلي وتوضع أول بيضة بعد السفاد بأربع وعشرين ساعة ثم تتلوها أخرى • وترقد الأثني وحدها على البيض ليلا بينما يتناوب عليه الزوجان نهارا • ويفقس البيض بعد أسبوعين •

ويبدأ نسج الأعشاش في بدء موسم المطر • والدافع الفسيولوجي لبدء نسجه هو منظر الأعشاب الخضراء النابتة الذي ينبه الجهاز العصبي للطائر • ويفقس البيض كله في وقت واحد تقريبا فتسقط قشورها على الأرض وتعمل طبقة جيرية سميكة • وتتجمع في هذه الفترة كل أنواع الحيوانات المفترسة حول المستعمرات مما يضع حدا طبيعيا على التكاثر المضاعف لهذه الطيور • وتشمل قائمة أعداء الكويليا النسر والشواهين والبوازي والعقبان الأفريقية ، بالإضافة الى نوع من العقبان مهاجر من أوروبا • وفي موسم التكاثر تضاف آكلات البيض والأفراخ مثل مالك الحزين والتوكان والأصلة والثعبان المنقاري في شرق افريقيا • ولحماية الأفراخ من هذا الخطر يزود كل عش بدهليز طويل يجعل من الصعب على الثعابين الولوج الى العش • زد على ذلك أن النساج لا يكتفى ببناء عش واحد بل يبنى عدة أعشاش كاذبة على الفروع الأغلظ من نفس الشجرة لخداع الثعبان (شكل ٤) •

ويعتقد كلاودزلي - تومسون (١٩٦٩) أن المفترسات ليس لها تأثير هام على تعداد الكويليا البالغة حيث أن أكثر نشاطها يكون في بدء موسم المطر وهو الوقت الذي تموت فيه أعداد كبيرة من الكويليا جوعا على أية حال •

يؤثر طائر الكويليا على اقتصاديات ١٧ دولة أفريقية بدرجات متفاوتة بهجومه على محاصيل الحبوب من أرز وذرة رفيعة وقمح • وقد كانت هذه الطيور تهاجم المحاصيل من قبل ولكن لم يكن ضررها محسوسا نظرا لصغر المساحات المنزوعة ولوفرة غذائها من الحبوب البرية ولأن المزارعين ابتكروا طرقا مناسبة على المستوى المحلي لزراعتهم الصغيرة لافزاع الطيور بعيدا عن مزارعهم المحدودة • أما الآن وفي ظل ظروف التوسع الزراعي وادخال محاصيل الحبوب الصغيرة مثل القمح والأرز وزراعتها في مساحات شاسعة تبلغ الآلاف من الأفدنة فإن طردها من مثل هذه المساحات أصبح مشكلا غير قابل للحل •

ولا يعتقد الخبراء أن تعداد الطيور قد ازداد بعد توفر هذه الأغذية الجديدة ولكن المعتقد هو أن تجميع الزراعات وتكثيفها هو الذى أدى الى تركيز الأسراب الصغيرة المتعددة فى أسراب كبيرة بحيث أصبح أثرها أوضح عندما تنقض على المزارع . وقد يصل معدل الخسائر فى معظم الأحيان الى ما يوازى نصف المحصول . وتعتبر منطقة غرب افريقيا أكثر المناطق تعرضا لأضرار الكويلىا وخاصة فى مناطق انتاج الذرة والأرز فى حوضى السنغال والنيجر كما أنها أضرت كثيرا بمشاريع انتاج الأرز فى شرق أفريقيا وانتاج القمح فى تنزانيا . ويبلغ من تحكم هذه الطيور أنها تدفع الكثير من المزارعين الى التخلي عن زراعة الذرة الرفيعة التى يفضلونها والتحول الى زراعة الذرة الشامية أو الكسافا بدلا منها وهما محصولان لا تهاجمهما الكويلىا ولكن لم يعتد عليهما الأهالى . ولن تمكن الذرة الرفيعة من البقاء ما لم تحل مشكلة الكويلىا . وقد جربت عدة وسائل لمكافحة الكويلىا : فمن المواد السامة الى الغازات الخائقة ومن المفرقات الى النار ولكن لم تعط أى وسيلة منها نجاحا يذكر . وتكلف مكافحة بالمفرقات فى اقليم بورنو بشمال نيجيريا ١٤٠٠٠ جنيه فى السنة يتوفر منها ١٥٠٠ طن من الطيور المقتولة التى يجمعها الأهالى ويأكلونها . . . حتى أن بعض الخبراء النيجيريين يقترح استبدال رعى الماشية برعى الكويلىا لأن تكاليف الكيلو جرام منها لا يزيد عن قرش صاغ واحد . بل أن تقليل تعداد الماشية سيؤدى الى التقليل من مشاكل الرعى الجائر والزائد وبذلك تتوفر كميات كافية من انحبوب البرية فتكف الكويلىا عن مهاجمة محاصيل انحبوب المزروعة . وستحل أيضا مشاكل تعرية التربة الناجمة عن الرعى الجائر والزائد . يضاف الى ذلك أن مساحة كبيرة من اقليم بورنو تقع فى نطاق حزام انتاج الصمغ العربى وتصلح له ، وأشجار الاكاسيا المنتجة للصمغ العربى مثالية لبناء أعشاش الكويلىا . أما زرق هذا الطائر فيستخدمه الأهالى فى التسميد ويفضلونه كثيرا عن روث البقر لدرجة أنه يباع فى الأسواق المحلية . وهذه النقطة فيها الرد على من يقولون بأن تقليل الرعى من الماشية سيقول من كمية السماد العضوى (تقرير دون توقيع « أفونيموس » ١٩٦٧) .

ويحسن أن تتوقع خطر تحول الكويلىا الى وباء أشد بلاءا فى جنوب دارفور ومناطق المطر الوسطى بالسودان على أثر التوسع فى زراعة الذرة

الرفيعة بعد حفر أكثر من ٧٠٠ بئر في منطقة حزام العطش وكذلك في زراعة القمح بمشروع الدندر على مياه خزان الروصيرص • وتتم مكافحة الكويليا في السودان بالاندرين حيث قدرت الخسائر التي يسببها لمحاويل انحبوب بألوف الأطنان سنويا (التقرير القومى لجمهوريه السودان الديمقراطية ١٩٧١) •

ولن تكون حملات المكافحة ناجحة تماما لأن هناك دائما فرصة دخول اسراب جديدة الى أى منطقة تخلو من قاطنيها الأصليين من المناطق المجاورة • يضاف الى ذلك أن تعداد الكويليا يظل ثابتا من عام لآخر حتى بدون مكافحة • وحيث أن الزوج الواحد يضع بيضتين فإن هذا يعنى أن نسبة الفاقد من التعداد تساوى نسبة الزيادة من التكاثر وهى ٥٠٪ • وتفقد هذه النسبة بطرق طبيعية أهمها الجوع والمفترسات • فاذا أريد للمكافحة أن تنجح فيجب أن تصل نسبة الفاقد الى ٧٥٪ على الأقل حتى تعطى نتيجة محسوسة • وهناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن المكافحة لا تقتل أكثر من ٥٠٪ من الأفراد التي كان الموت لها بالمرصاد على أى حال • وقد تكون المكافحة مفيدة في المناطق المصابة ولكن لفترة محدودة • ويمكن الحل البعيد المدى في بحث العلاقة بين مدى اصابة المحصول وبين موعد نضجه وليس في ايجاد وسائل أكفاً للإبادة • وهناك أمل كبير في أن تغيير أنماط الزراعة بحيث تنضج المحاصيل في الأوقات التي لا تثير اهتمام الكويليا قد ينجح في اتقاذها • وهنا تبدو الحاجة الى حل ايكولوجى بدلا من الحاحول التجارية السريعة والسهلة التي لم تصل الى نتائج حاسمة •

وتعتبر مشكلة الكويليا من المشاكل التي تستدعى التعاون الافريقى الدولى على نفس المستوى المعمول به لمكافحة الجراد • وهذا هو ما دعا السنغال الى تنظيم مؤتمر لمكافحة الكويليا في داکار عام ١٩٥٥ • وقد كلف المعهد الأساسى لافريقيا السوداء بذاكار بوضع خريطة تلخص البحوث الخاصة بالتوزيع الجغرافى وعادات الأنواع المختلفة من الطيور النساجة • ومن بين المعلومات الأولية المتوفرة أن طيور الكويليا تفضل سلالات معينة من الذرة عن غيرها فيمكن اذن اتقاء شرها باتتخاب السلالات غير المرغوبة من جانب الطيور بواسطة تجارب الوراثة في المشاتل •

أما في افريقيا البحر المتوسط وفي حوض النيل فان هناك مجموعة أخرى من الطيور قد ظهر أثرها واضحا كآفات زراعية في الآونة الأخيرة (شكل ٥) •

ويمثل السودان همزة الوصل بين مناطق انتشار الكويليا التي تمتد منه جنوبا وغربا وبين مناطق انتشار العصفور الدورى (وغيره من الطيور التي تحولت الى آفات) التي تمتد شمالا الى مصر ثم غربا الى الجزائر عبر ليبيا وتونس .

ويهاجم اليمام محاصيل الحبوب بأعداد قليلة في الجزائر وتونس وشمال غرب ليبيا وواحة غدامس ثم لا يرى في شرق ليبيا ولكن يرى ثانيا في الدلتا حيث يقيم (أى أنه ليس من الطيور المهاجرة) . أما الزرزور فيصيب محصول الزيتون في تونس ومحاصيل الزيتون والشعير في شمال غرب ليبيا بأضرار جسيمة ويهاجم أيضا محاصيل الحبوب الشتوية (القمح) في الدلتا حيث أنه مهاجر . ويهاجم العصفور الأسبانى (وهو قريب الشبه جدا من العصفور الدورى) حقول الشعير ومزارع الزيتون في شمال غرب ليبيا مشتركا في ذلك مع الزرزور . كما أنه يهاجم محاصيل الحبوب في غدامس وسبها ولكنه لا يوجد شرق سرتة ثم يظهر ثانيا في مصر بين سيوة والعامرية وهو يفتك بمحصول الشعير على الساحل الغربى فتكا ذريعا . وهو يختلف عن أسرابه من نفس نوعه في ليبيا في أن هؤلاء مقيمون في ليبيا ولكنه في مصر مهاجر لا يأتيها الا شتاءا في جماعات كبيرة العدد جدا وهو يخرب الحقول في سيوة ومرسى مطروح حتى العامرية شرقا . وهو يوجد أيضا في الأجزاء الجنوبية من الدول الأوربية المطلة على البحر المتوسط من أسبانيا غربا حتى تركيا شرقا . وغير معروف أن كانت الأسراب التي تزور مصر شتاءا تأتيها من الشمال عبر البحر المتوسط أو من الغرب من ليبيا عبر جنوب برقة وسرير كلانشو . ويمكن التوصل الى مصدرها بتجارب وضع حلقات حول أرجلها ثم تتبع ما يصاد منها . وذلك بغرض تنسيق المكافحة مع الدول الأخرى .

وفي مصر عدة أنواع من الطيور التي تهاجم المحاصيل في مناطق محدودة ولكن لها أثر محسوس على المستوى المحلى . ومن هذه الطيور العصفور الخضيرى (أو الجنزور) وهو مهاجر يأتي شتاءا الى سيناء والدلتا وغداؤه الحبوب والفاكهة ولم يكن معروفا من القىوم من قبل (الحسينى ١٩٥٤) ولكنى وجدته هناك يهاجم محصول الفول بشراهة في شتاء ١٩٧١ . ومن الجدير بالذكر أن العصفور الدورى الذى يهاجم نفس المحصول في نفس الموسم في

الدلتا لا يوجد في الفيوم على صورة آفة • فيبدو أن هناك عوامل إيكولوجية جعلت العصفور الخضيرى يتقدم ليلعب الدور الذى لم يستطع العصفور الدورى القيام به في الفيوم لسبب ما بينما يقوم به في الدلتا حيث لا يمثل الخضيرى آفة • ويمثل طائر آخر يسمى الصفارية (أو العصفور) وباءا يصيب محصول البلح في الواحات البحرية وهو المحصول الرئيسى هناك ولكن الأهالى يرحبون بمجيئه في شهر سبتمبر من كل عام (وقت نضج البلح) لأنهم يصيدونه ويأكلونه •

أما في الدلتا وفي وادى النيل فان الآفة رقم ١ من بين الطيور هى العصفور الدورى بلا منازع • وهو ينقسم الى سلاتين هما النيلى في الدلتا ووادى النيل حتى أسوان جنوبا ثم الشجرى في السودان من شمال الخرطوم حتى سنجة على النيل الأزرق • والأخير يصيب محاصيل الجبوب بخسائر كبيرة كما أنه يسبب مضايقة سكان المدن والقرى بإفساده للدهانات والأثاث ويمكنه أن يعيش داخل المنازل • والمنطقة الواقعة بين أسوان حتى قرب عطبرة أى منطقة النوبة أساسا تكاد تخلو من العصفور الدورى لجفافها الشديد ولضيق الوادى عنها ولذلك ينتهز الكثير من الطيور الصحراوية الفرصة (مثل القطا والقبرة) فيأتى من الصحراء المجاورة في أسراب كبيرة لتهاجم محاصيل الجبوب ثم تعود أدراجها الى الصحراء لتبيت • وأغلب الظن أن زراعات المستقبل على شواطئ بحيرة ناصر ستعرض لهجمات هذه الطيور الصحراوية بشدة • وقد بلغ من شدة هجماتها في اقليم دنقلا أنه قد امتنع على المزارعين زراعة أشجار التين أو الجوافة بالرغم من ربحها الوفير وتجدهم يكتفون بالحمضيات •

بقيت ثلاث أنواع أخرى من الطيور تهاجم محاصيل الجبوب في مصر بأعداد قليلة جدا وتأكل الحشرات الى جانب الجبوب فيمكن اعتبار تفعلها أكبر من ضررها ولكن التغيرات الهائلة التى حدثت وما تزال تحدث في البيئة والتى تخل بالتوازن البيئى والتى جعلت كثيرا من الطيور يتحول الى آفات خطيرة ليس من المستبعد أن تجعل المزيد من الطيور البريئة حاليا تتحول أيضا الى آفات في المستقبل القريب أو البعيد •

وهذه الأنواع الثلاثة هى السمان (السلوى) والعصفور الظالم والجشنة

الحمراوية الزور • والجدول رقم (١) بين الأسماء العربية والعلمية والانجليزية لهذه الطيور جميعها مع بعض ملاحظات عنها •

وقد حظي العصفور الدوري باهتمام كبير فصدرت عنه دراستان مستقلتان (سمرز - سميث ١٩٦٤ ومحروس صالح ١٩٦٨) ، كما تناولته عدة دراسات أخرى (مثل : ميلانبي ١٩٦٧ ، د • عبد الحكيم كامل ١٩٧١) • ويقول الدكتور عبد الحكيم كامل (١٩٧١) أن العصافير أصبحت آفة هامة في مصر في السنوات القليلة الماضية ويتسبب عنها فقد كمية كبيرة من الحبوب في المخازن فضلا عن أنها تتلف الجوالات بأحداث ثقوب صعبة الترميم تتبعثر منها الحبوب أثناء عبثها أو أثناء النقل •

وقد بدأ ظهور الشكوى من العصافير كآفة خطيرة للمحاصيل في مصر في عام ١٩٦٧/٦٦ على وجه التحديد عندما قيل أنها التهمت أو أتلقت ألوف الأطنان (!) من الحبوب في محافظات البحيرة وكفر الشيخ وسوهاج • وقد استدعى الأمر في محافظة كفر الشيخ اعطاء تلاميذ المدارس الابتدائية أجازة في شهرى ابريل ومايو ١٩٦٧ وخاصة في مدينتى دسوق وفوة لتجنيدهم في مكافحة العصافير بالدق على غلب الصفيح لمدة طويلة وذلك تطبيقا لما قيل من أن العصافير لو استمرت طائرة أكثر من ١٥ دقيقة فانها لا بد أن تسقط ميتة من الإعياء وأن هذه الطريقة قد جربت بنجاح في الصين الشعبية • وظلت الشكوى مستمرة من العصافير ف قيل أنها التهمت خمسة آلاف طن (!) من الحبوب المخزونة في دمنهور سنة ١٩٧٠ • وفى شتاء ١٩٧١ وصلت الآثار المدمرة للعصافير في محصول الفول الى أبعاد خطيرة للمرة الأولى اذ أنه يبدو أنه لم ينج منها حقل واحد فى الدلتا (شكل ٦) وهى تهاجم الفول الأخضر وتنقره وتفسد باقلاءاته • وقد كان لهذا الهجوم المفاجئ دخل كبير فى نقص المحصول تلك السنة عما كان متوقعا وفى تأخر ظهور المحصول الجديد فى الأسواق • وقد اضطر جميع زارعى الفول بلا استثناء الى تجنيد صبية معهم غلب من الصفيح بها قطع من الحجارة وتحريكها باستمرار والجري بها لافزع العصافير ولكن بدون جدوى • وقد قمت بعمل احصاء لتقدير مدى الخطورة النسبية لهذه الطيور وقتها فوجدت أن العصافير الدورية تحط على حقول

القول بأعداد تصل الى عدة مئات تلسرب • ويجمع المزارعون على أن مثل هذه الكثافة لم يسبق أن شاهدوا لها مثيلا • ويتواجد في نفس الحقول اليمام المصرى (من ٤ - ٥ أزواج للفدان) والبقرة المتوجة (٢ أو ٣ للفدان) والسمان (١ أو ٢ للفدان) والزرزور (١ أو ٢ للفدان) •

وقد اتضح من مراجعة التقارير المكتوبة من قبل (مثل هويسبر - الذى أجرى معظم ملاحظاته سنة ١٩٠٨ وان ظهرت الترجمة العربية لكتابه سنة ١٩٦٧ - و برو كسبانك ١٨٢٥ وجريفز ١٩٣٦) أن العصفور الدورى كان وقتها الطائر المصرى الوحيد الذى يمكن اعتباره - الى حد ما - آفة وأنه لم يبلغ أبدا من الخطورة الدرجة التى يشاهد عليها الآن وكان يهاجم القمح والذرة الرفيعة فقط ولم يرد أى ذكر لمهاجمته للقول أو الشعير أو الأرز • كما أنه يتضح من تسمية أداة افزاع العصافير المسماة « خيال المقاتى » أن العصفور كان يهدد محاصيل العائلة القرعية بالأخص وعلى أن تهديده للحبوب لم يكن مثيرا لاهتمام المزارعين •

ومن هنا يجب أن نوجه اهتمامنا فى منطقتنا الى العصفور الدورى لدراسة عاداته وأعدائه ولاستقصاء أسباب استفحال أمره فى السنين الأخيرة •

طباع العصفور الدورى :

يصف بروكسبانك (١٩٢٥) بالتفصيل طريقة هذا العصفور فى بناء عشه فيقول :

« يبنى العصفور الدورى عشه فى أماكن واضحة جدا »
« وقريبة من مساكن الانسان ... حتى أن انتشار »
« العمران يساعد على ايجاد أماكن مناسبة لهذا »
« العصفور لبناء أعشاشه • فمن ماسورة ملاصقة »
« لجدار الى ثقب أو شجرة أو فجوة أو مصابيح »
« اضاءة الشوارع • • الخ • وتقوم الأثى بالعبء »
« الأكبر فى بناء العش وتضع به ٤ أو ٥ بيضات »
« زرقاء مشوبة بالخضرة بها الكثير من البقع البنية »
« وبعد حوالى ١٥ يوما يفقس البيض عن الأفراخ • »

ويقول جريفز (١٩٣٦) أن العصفور يحصد الحبوب في موسم الحصاد ولكنه يوازن ذلك بقوله أن هذا العصفور يستهلك كمية كبيرة من بذور الأعشاب والحشرات الضارة بقية العام . ويقول الحسي (١٩٥٤) هذا العصفور موجود على ساحل البحر المتوسط حتى الضبعة غربا . ويقول أيضا ان هذا العصفور يغتذى بالحبوب ويفتك بالمحاصيل الزراعية ولتت . سدى بالحشرات كما تفعل صفاره التي يربها عليها . ويوضع البيض من مارس الى يونيو ويحط على الأشجار في الخريف في تجمعات كبيرة قدرت بعض أفرادها بمئات الألوف ولذلك سهل صيده في هذا الفصل . أما الدكتور عبد الحكيم كامل (١٩٧١) - فيقول أنه ينتشر بالمدن المزدهمة كما ينتشر في القرى ، وأنه يغتذى أساسا بالحبوب وعلى الأخص في الشون والأجران كما يغتذى بالحبوب والنبات الحديث في الحقول وبأزهار الفول وبذوره الخضراء داخل الباقلاء ، كما يهاجم سنابل الشعير والأرز في طورها اللبني وطور النضج ويفضل العصفور غموما الحبوب الصغيرة .

ويأكل العصفور الواحد في اليوم حوالي ٤ جم من حبوب القمح أو ٣ جم من حبوب الذرة الرفيعة ، ومعنى ذلك أن مليون عصفور يمكن أن تستهلك ٤ طن من القمح أو ٣ طن من الذرة أو الأرز أو الشعير علاوة على الفافد من تنزق الأجولة . وتخرج العصافير عدة مرات في اليوم باحثة عن غذائها الا أن نشاطها يكثر في الصباح الباكر وقرب المساء . ويمكن أن تبنى الأنثى في المدة من مارس الى يونيو ٣ - ٤ أعشاش . ويعيش عصفور النيل الدوري من ٤ الى ٥ سنوات في المتوسط وتضع الأنثى بيضها على مدى هذه السنوات أى يمكن لها أن تضع في حياتها من ٤٥ الى ٨٠ بيضة بمتوسط ٦٠ بيضة .

ومن خلال مراقبتى للعصفور الدوري النيلي وجدت أن بناء العش يبدأ في الواقع من أواسط فبراير ويمكن أن يستمر الى يونيو ولكن تظل العصافير تستخدم العش الى سبتمبر حيث تهجره تماما ولا تعود الا في الموسم اتالى . ويفسر هذا ظاهرة تجمعها على الأشجار في الخريف اذ أنها تهجر الأعشاش بعد انقضاء موسم التكاثر كما تنضم الأفراد اليافعة الى أسراب البالغين ويجب

تشديد المقاومة ضد الأتشي في فترة بناء الأعشاش من فبراير الى يونيو حيث أننى وجدت أنها هى التى تقوم فعلا ببناء العش وجمع القش اللازم له ووضعه فى مكانه المناسب بينما يقوم الذكر بالحراسة • وقد تستغرق الرحلة لجمع القشة من ٥ دقائق الى نصف ساعة وتكون الرحلات فى خط سير منتظم ومتكرر •

الاعداء الطبيعيون للعصفور الدورى :

ذكر هويسبر (١٩٦٧) أنه شاهد مجموعة من العصافير الدورية بالأقصر وقد تعقبها باشق أسىوى صرع واحدا منها • وأغلب الظن أنه كان يقصد الباشق الأوربى الذى يقول عنه الحسينى (١٩٥٤) انه من طيور مصر المهاجرة يفد اليها فى سبتمبر ويرحل فى مايو وهو يكثر فى وادى النيل وسيناء ، ولكنه غير معروف فى الواحات • ويدل اسمه باللغة الانجليزية (صقر العصافير الدورية) على أن العصافير الدورية هى غذاؤه المفضل • أما الباشق الأسىوى فيقول الحسينى انه نادر فى أفريقيا عموما حيث جمع منه فرد واحد فقط فى جبل علبة •

ومن المحتمل أن يلى الباشق الأوربى فى أهميته كعدو للعصافير نوع آخر مقارب له هو الشاهين الأوربى وهو مهاجر يمر بمصر فى الخريف والربيع وهو من أشد الصقور فتكا بالطيور الأخرى • ثم تليه العقاب المسيرة الصغيرة التى تهجر الى مصر فى سبتمبر وتمكث بها حتى مارس وهى من أشد سباع الطير فتكا بالطيور الأخرى • ويقيم عندنا الشاهين المغربى فى القاهرة وحلوان والأقصر ، وهذا هو الصقر الذى يصيد الحمام وطيورا أخرى صغيرة • ثم الحر وهو منتشر فى وادى النيل حتى الأقصر وكذلك فى سيناء وغذاؤه المفضل الهدهد • وبعد ذلك اليؤيؤ الذى يقضى الشتاء فى مصر وهو يصيد الطائر أثناء طيرانه • والعوسق المصرى الذى يفضل الطيور الصغيرة وهو مقيم ويبنى عشه على النخيل ويؤكل لحمه فى الصعيد والواحات الخارجة حيث يسمى «سقاو» • وربما كان هو الذى رسمه قدماء المصريين رمزا للصقر حورس وان كان ذلك موضع خلاف بين العلماء •

ويذكر الحسينى (١٩٥٤) نوعين من البوم يأكلان الطيور الصغيرة هما البعفة الحمراء القرناء : المعروفة فى الجيزة والفيوم وسيناء والوادي الجديد ،

وأم قويق وهي واسعة الانتشار في مصر عدا الاسكندرية وسيوة وهي تصيد خاصة أفراخ الطير . والحدأة من أشهر الطيور انجارية وأوسعها انتشارا في المدن وقد تسهم في تقليل أعداد العصافير بالتهام أفراخها وقد يقوم الغراب أبو برنس (الغراب البلدى) بنفس العمل . ولا يوجد أدنى شك في أن الغراب يسرق البيض والأفراخ غير المرتاشة من الأعشاش .

هذه اذن هي الطيور التي يمكن أن يدخل العصفور الدوري ضمن غذائها . ومنها ٤ طيور مهاجرة فيكون لدينا في الشتاء ١٠ طيور جارحة تفرس العصافير تكتمل الى ١١ في الخريف والربيع ثم تنقص الى ٧ في الصيف ، ولكن أكثرها فعالية لاعتمادها الأكبر على العصافير كغذاء هي البواشق والشواهين . ومما يؤسف له أنها عرضة لاطلاق الرصاص عليها كلما شوهدت لأنها تصيد بعض الحمام دون أى اعتبار لما تؤديه مقابل ذلك من خدمات جليلة بوقف تكاثر العصافير الدورية عند الحد الذي يجعلها لا تتحول الى وباء .

لماذا تحولت العصافير الدورية الى آفة ؟ :

لم يكن العصفور الدوري يهاجم المحاصيل بما ينطوى على خسارة تستحق مكافحة جدية من جانب المزارعين مع ما به من مميزات ترشحه لمرافقة الانسان في البيئات الصناعية التي يخلق لنفسه . فما الذي جعله وباءا خطيرا للأرز في ١٩٦٦/١٩٦٧ وللنول في ١٩٧١ ؟ .. ان التفسير المعقول هو أنه لا بد أن حدث تحول بيئي هام أثرا على هذه المخلوقات وجعلها تخترق حاجز حالة الاتزان البيئي التي كانت عليها من قبل لتهاجم محاصيل لم تكن تهتم بها ، وفي أوقات من السنة لم تكن شرهة فيها أو زادت أعدادها هي نفسها أو وجدت فرصا أكبر للتكاثر . ومن الثابت أن تغير البيئة له أثر على العصفور الدوري . فهو آفة قليلة الأهمية في انجلترا ولكن تحول الى وباء عندما نقل الى شرق الولايات المتحدة والى استراليا . كما أن في استطاعته التكيف لبيئات الانسان : فالعصفور الدوري الشجرى يظل ساهرا عدة ساعات بعد غروب الشمس في الخرطوم وواد مدني يحوم حول المصاييح الكهربائية المضاعة لصيد العناكب والجشرات . وهناك ٣ فروض يمكن تقديمها لمحاولة تلمس التغير البيئي الطارئ في مصر . ويرجع الفرضان الثاني والثالث الى النتائج غير المباشرة

للاستخدام المكثف للمبيدات عام ١٩٦١ على الأخص عندما بلغت الإصابة بدودة القطن حداً استوجب استيراد المبيدات بالطائرات من ألمانيا على هيئة جسر جوى يومى .

الفرض الأول :

لا بد أن العصافير الدورية استفادت من العمران الكبير الذى شهدته مدن وقرى الريف الذى صعب الزيادة فى تعداد سكان الجمهورية من ٢٤ مليوناً سنة ١٩٦٠ الى ٣٤ مليوناً سنة ١٩٧٠ كما زاد عدد القرى فى نفس الفترة تقريباً من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ مع التوسع فى انشاء المباني الحكومية فى القرى بحدائقها الواسعة وزراعة أشجار الكافور والكازوارينا حول الحقول واقامة أعمدة الكهرباء والانارة فى كل مكان بالريف مما أعطى هذه العصافير فرصاً ممتازة لاقامة أعشاشها ولأن تجثم وتستريح عند تجولها من حقل لآخر . وقد رأينا أن بروكسبانك (١٩٢٥) تنبأ بأن انتشار العمران يساعد على تكاثر هذه العصافير .

الفرض الثانى :

يعزو انتشار العصافير بشكل وبائى للحبوب الى اختفاء الحشرات بعد إبادة معظمها على أثر استخدام المبيدات على نطاق واسع وبالأخص فى عام ١٩٦١ . قلما افترقت الحشرات فى غذائها تحولت الى الاغذاء بالحبوب . ومن الثابت أن الكثير من الحشرات وخاصة المفترسات مثل أبى العيد قد اختفى مما أدى الى ظهور آفات جديدة وتبدو أهمية هذا الفرض من أن الطيور التى تأكل حبوباً فقط لم تصبح آفات لأنها تأكل كفايتها من الحبوب أصلاً ولكن العصفور الدورى هو الذى برز كآفة لأنه زاد استهلاكه من الحبوب التى لم يكن يأخذ منها الا قدراً ضئيلاً (نسبياً) من الأصل .

الفرض الثالث :

أن استخدام المبيدات جعل أجسام الحشرات تمتلئ بها فاذا نجت من الموت فإنها تكون فى حالة تروح فيصبح من السهل على العصافير صيدها وبذلك يحدث انتخاب من جانب العصافير للحشرات المحملة بكميات أكبر من المبيد .

وباستمرار هذا الانتخاب تتجمع وتخزن كمية من المبيد في أجسام العصافير التي تصبح بدورها مترفحة وتسقط فريسة سهلة للصقور التي يتركز في جسمها المبيد المتجمع في العصافير . وقد أصبح معروفا الآن من عدة ملاحظات وتجارب في الولايات المتحدة الأمريكية أن مجموعة الصقور بالذات من أكثر الطيور تأثرا بالمبيدات وخاصة د. د. ت. ، فعندما يحتوى جسمها على نسبة معينة منه تضع بيضا هشا الجدار ينكسر بمجرد الرقاد عليه فضلا عن حدوث اضطرابات نفسانية في السلوك الجنسي للذكور والافاث وفي بناء العش وفي ملاحظة الصغار مما يعطل فرص التكاثر عندها . وبذلك اقترض الشاهين تماما من النصف الشرقى للولايات المتحدة ولم تتبق منه الا أفراد قلائل في النصف الغربى . وقد أظهرت دراسات مشابهة في انجلترا أن الصقور تناقصت بكل أنواعها في المناطق التي استخدمت فيها المبيدات بكثافة وأن الباشق تناقص في احدى المقاطعات الانجليزية من حوالى ألف في عام ١٩٤٩ الى اثنين فقط عام ١٩٦٥ (ميلانبي ١٩٦٧) . ويقول فان ويرد (١٩٧١) في دراسته عن طيور ليبيا ان اختفاء الكثير من الطيور الجارحة أدى الى تزايد أعداد الزرزور والعصفور الأسباني في شمال غرب ليبيا .

فاذا أضيف هذا العامل الطارىء الى الصيد المنظم والمستمر للصقور بأنواعها لأصبح من السهل تصور السبب في الانفجار المفاجئ لاعداد العصافير الدورية التي لم تجد غذاءها الكافى من الحشرات فتحولت الى الجبوب وفي نفس الوقت وجدت زيادة في الأماكن الصالحة لبناء الأعشاش فاستمرت في التكاثر ولم يحدث أن توقفت عنه . ويمكن أن يتم هذا التحول في مدى سنين قليلة ويمكن أيضا أن يستفحل أكثر من ذلك في المستقبل . وهناك عدة وسائل لمقاومة العصافير ولكن أشدها فعالية هو صيدها ويحسن أن ترصد مكافأة لصيد الأثني في وقت بناء العش بالذات من فبراير الى يونيو فتوجه الضربة الى تعداد العصافير في أخرج الأوقات .

د . سمير ابراهيم غبور

جدول رقم (١)

طيور مضرّة بالمحاصيل (تأكل حبوب أو أوراق خضراء
أو أزهار أو ثمار أو جنور) ويمكن تمييزها بمنقارها
السميك اللائم لالتقاط الحبوب

الاسم العربي	الاسم العلمي	الاسم الإنجليزي	ملاحظات
١ - الكويلا	<i>Quelea quelea</i>	Black-faced dioch (red- billed weaver)	مناطق السفانا - حبوب الذرة الرفيعة
٢ - العصفور الدوري	<i>Passer domesticus</i>	House parrow	مقيم - واسع الانتشار - الحبوب والحشرات
٣ - العصفور الاسباني	<i>Passer hispaniolensis</i>	Spanish sparrow	مقيم في غرب ليبيا مهاجر في غرب مصر - الحبوب خاصة الشعير
٤ - اليمام المصري	<i>Streptopelia senegalensis</i>	Palm dove	من مصر إلى الجزائر عدا شرق ليبيا - الحبوب
٥ - السمان (السلوى)	<i>Coturnix coturnix</i>	Quail	مهاجر - واسع الانتشار الحبوب والحشرات - منظم صيده
٦ - العصفور الظالم	<i>Fringilla coelebs</i>	Chaffinch	مهاجر - واسع الانتشار - الحبوب والحشائش والحشرات
٧ - الحشنة الحمراءوية الزود	<i>Anthus rufogularis</i>	Red-throated pipit	مهاجر - واسع الانتشار - الحشرات والحبوب

تابع جدول رقم (١)

الاسم العربى	الاسم العلمى	الاسم الإنجليزى	ملاحظات
٨ - الخضيرى (الخنزور فى الفيوم)	<i>Chloris chloris</i>	Greenfinch	مهاجر - سيناء والدلتا والفيوم - الحبوب والفواكه
٩ - القبرة المتوجة الداكنة	<i>Galerida cristata</i>	Crested lark	مقيم - حبوب وحشرات واسع الانتشار - يطير قرب الأرض
١٠ - البلبيل المصرى	<i>Pycnonotus barbatus</i>	White-vented bulbul	مقيم - واسع الانتشار - حبوب وحشرات وفواكه وثمار يعم الحدائق خاصة أسوان
١١ - الصفارية - الصغير (العصفور فى الواحات البحرية)	<i>Oriolus oriolus</i>	Golden oriole	مهاجر - حشرات وثمار (البلح فى الواحات البحرية)
١٢ - الزرزور	<i>Sturnus vulgaris</i>	Starling	مهاجر - حشرات وأوراق النبات الخضراء والبذور ، ويحطم جذور النبات أثناء بحثه عن الغذاء فى الأرض الرخوة - آفة للزيتون فى تونس وللزيتون والشعير فى ليبيا .
١٣ - السمينة المطربة	<i>Turdus philomelos</i>	Song-thrush	مهاجر - قواقع وديدان وحشرات وثمار - واسع الانتشار .
١٤ - القطا المنقط	<i>Pterocles senegallus</i>	Spotted sandgrouse	مقيم - صحراوى - فى الصحراء من الشرقية والغربية وسيناء - الحبوب - لها القدرة على الطيران مسافات طويلة من أجل الماء والغذاء

اعتراف بالفضل

يسرني أن أشكر الأستاذ الدكتور محمد عبد الفتاح القصاص أستاذ ورئيس قسم النبات بكلية العلوم بجامعة القاهرة الذي تفضل باقتراح البدء في هذه الدراسة وكان لتشجيعه الدائم الفضل في مواصلتها .

المراجع العربية

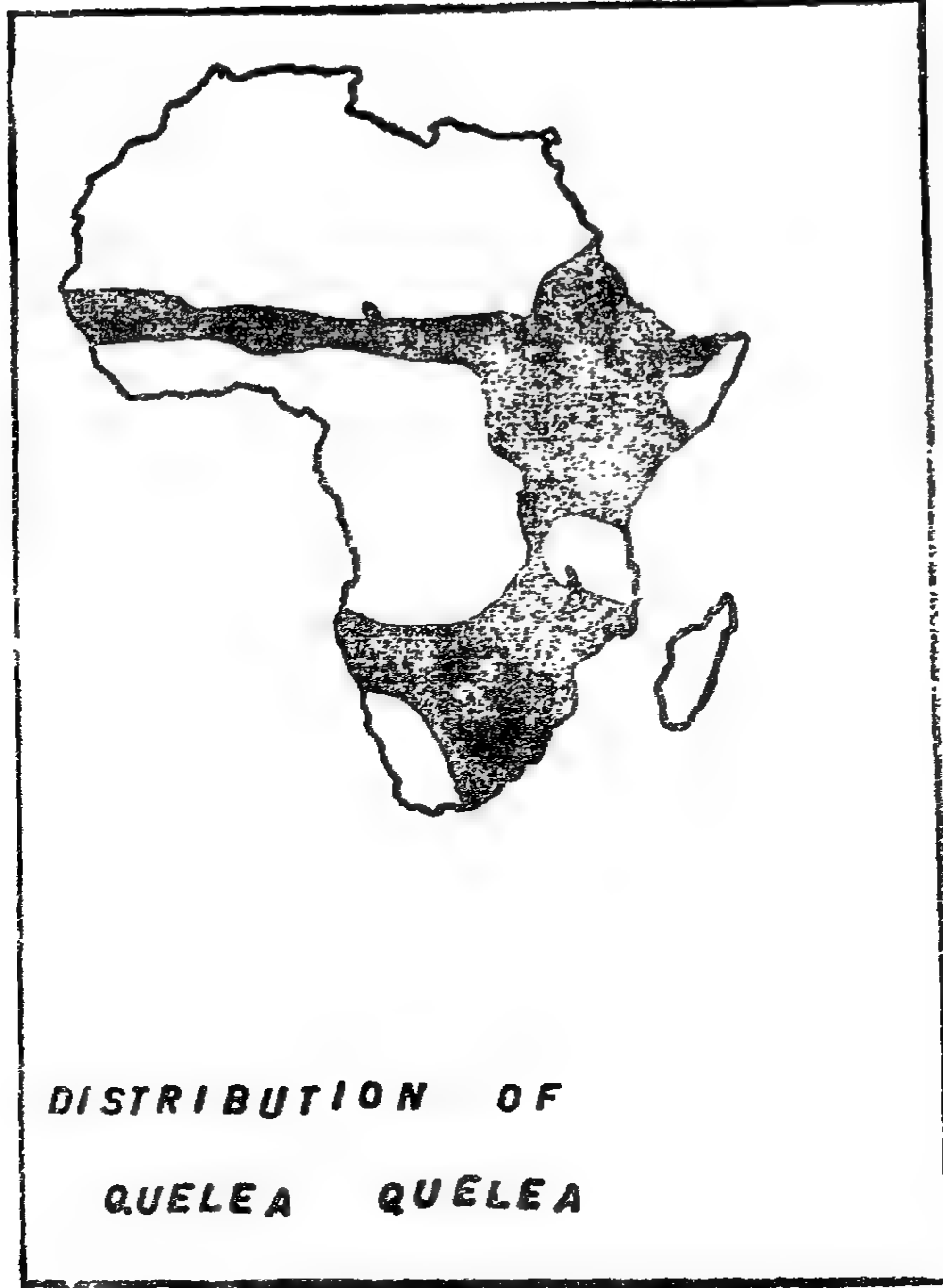
- ١ - أحمد حماد الحسيني - طيور مصر - القاهرة ١٩٥٤ - مكتبة الانجلو المصرية - الطبعة الثانية .
- ٢ - د. عبد الحكيم محمد كامل - آفات الحبوب المخزونة ومنتجاتها وطرق مقاومتها - القاهرة ١٩٧١ - نشرة فنية رقم ١٩٧١/١ وزارة الزراعة .
- ٣ - محروس صالح - العصافير الضارة بالزراعة وطرق مقاومتها - القاهرة ١٩٦٨ - نشرة فنية رقم ١٩٦٨/٧ وزارة الزراعة .
- ٤ - هويمبر (شارلز) - الطيور المصرية - القاهرة ١٩٦٧ - الالف كتاب - ترجمة سامية مراد ومراجعة د . أنور عبد العليم .

المراجع الأجنبية

1. Anonymous (1967) : The Quelea problem. Samaru Agr. Newsletter, A. Bello Univ., W. Nigeria 9 (4) : 54.
2. Cloudsley-Thompson, J. L. (1969) : The zoology of tropical Africa. Weidenfeld and Nicolson, London.
3. Greaves, R. H. (1936) : Sixty common birds of the Nile Delta. S. O. P. Press, Cairo.
4. Mellanby, K. (1967) : Pesticides and pollution. Collins, London.
5. National Report of the Democratic Republic of Sudan. March 1971.
6. Summers-Smith, D. (1964) : The house sparrow. Collins, London.
7. Van Weerd, E. (1971) : Wild animals of Libya : Birds. Al Hasad 17 : 5.



شكل ١ : طائر الكويليا أمام عشه .



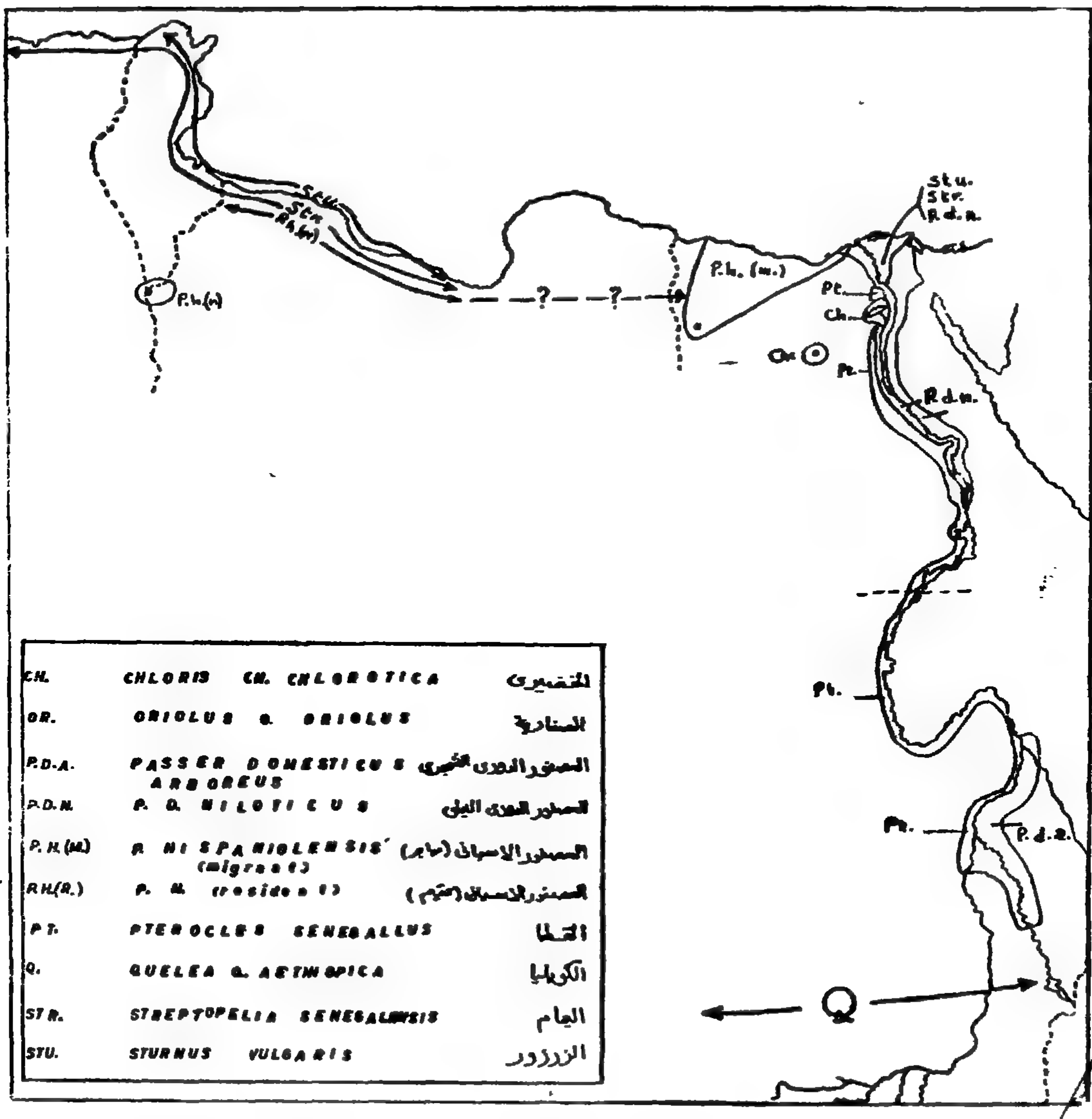
شكل ٢ : خريطة تبين مناطق انتشار الكويليا في افريقيا .



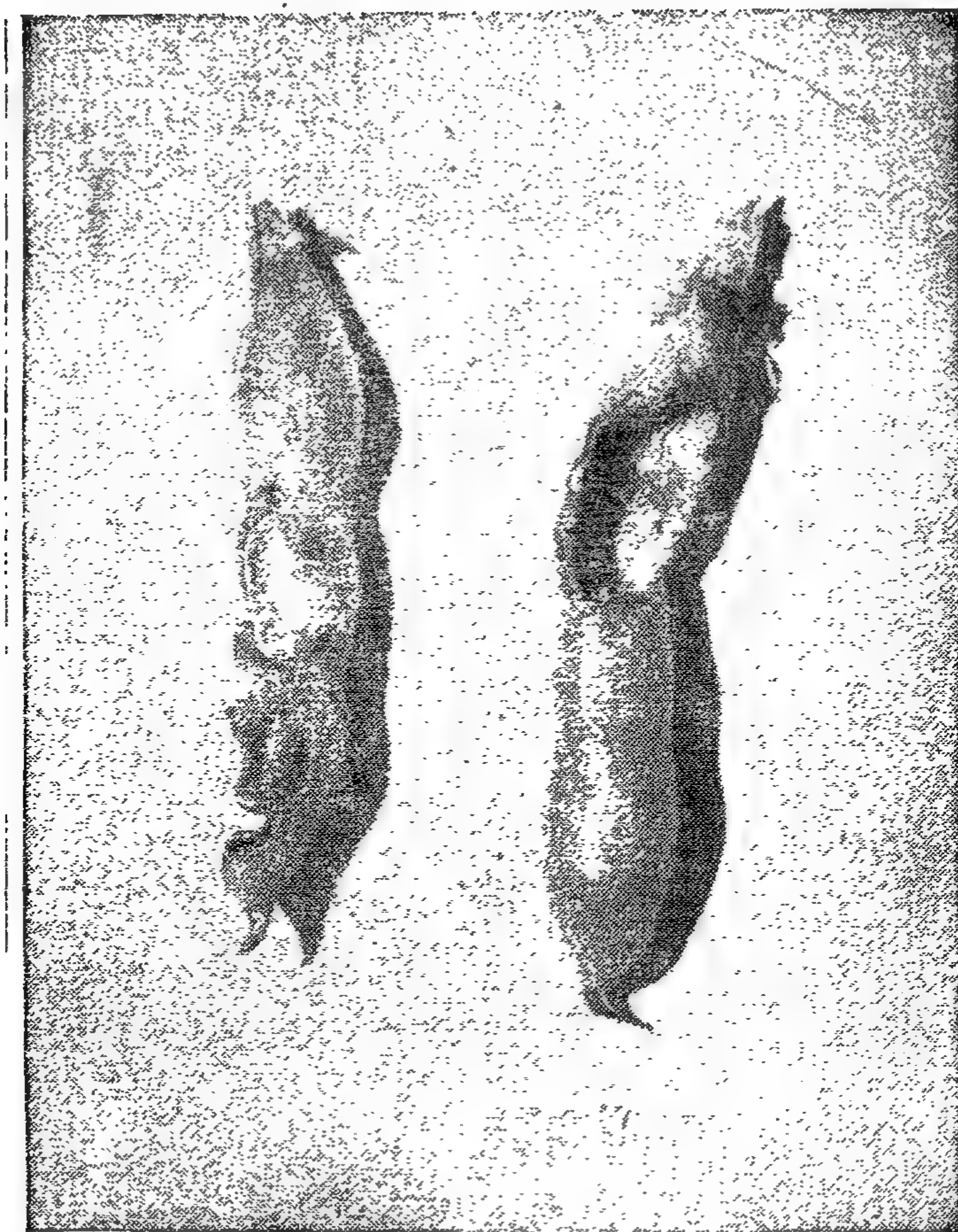
شكل ٢ : عش لطائر نساك على اغصان الاكاسيا في منطقة انتاج الصمغ العربي
قرب مدينة نيالا بجنوب دارفور بالسودان ، يناير ١٩٦٨ .



شكل ٤ : رسم تخطيطي يبين كيفية مهاجمة الثعابين لأعشاش الطيور النساجة .



شكل ٥ : خريطة تبين مناطق انتشار الطيور التي تعتبر آفات زراعية في شمال شرق وشمال افريقية .



شكل ٦ : فول أصابته الأضرار نتيجة مهاجمة العصفور الدوري النيلى فى مزارع
قرب قها بمحافظة القليوبية - أبريل ١٩٧١ .

النشاط التجارى فى مملكة مروي

THE TRADE ACTIVITY IN MEROE KINGDOM

Trade activity led to the prosperity of Meroe Kingdom, while the decline of the trade was one of the causes of its fall in the fourth century A. D.

Meroe exported mainly the natural products like gold, iron, ivory, Elephants trained for war and strange animals for struggle in roman amphitheatres.

But its imports were concerned with luxurious goods such as bronze lamps, cups, amphoras, glass bottles and some statuetes.

Meroitic trade used the benefit of the evolution in transportation as for good. It used the animals donkeys, horses and later it used Camels which came from Egypt in the first century B. C., and also it used the ships.

The Caravan routes started from the city of Meroe and Wadben-naga and directed towards the north to Egypt and the Mediterranean Sea world, east to Aksum and the red Sea world, west and south to the African tribes in the neighbourhood.

Although some pieces of coins were found in the Meroitic excavations, yet its traders used to barter their goods with their neighbours.

Fawzy Mikawy

احتلت التجارة مكانا هاما فى حياة مملكة مروي (٥٩٠ ق م - ٣٥٠ م) الى الدرجة التى دعت الى الاعتقاد بأن انتقال العاصمة من نباتا الى مروي كان بسبب موقع الأخيرة وقيمتها كمركز لتجميع التجارة والتقاء القوافل وتوجيهها (١) .

فقد قامت مروي بدور الوسيط التجارى الذى قدم منتجات وسط أفريقيا الى العالم المتحضر فى ذلك الوقت ، كما قدم منتجات مصر واليونان

(١) فوزى مكاوى : مملكة مروي (رسالة ماجستير غير منشورة) ص ٢٦-٣١

والامبراطورية الرومانية والهند وغيرها من مراكز المدنية الى القبائل البدائية في أفريقيا (١) .

ويرى كثير من الباحثين أن مروي وتجارتها كانت الطريق الذي سلكته العناصر والقيم الحضارية المصرية القديمة الى وسط أفريقيا وغربها .
ولدراسة تجارة مملكة مروي يتعين علينا أن ندرس :

(أ) السلع التجارية الصادرة والواردة .

(ب) وسائل النقل والطرق التجارية .

(ج) المراكز التجارية ، والأسواق ، ووسيلة التعامل .

(١) السلع التجارية

أولا : الصادرات — لقد كانت تجارة الصادرات في النوبة منذ أقدم العصور وحتى عصر مملكة مروي تعتمد بصورة رئيسية على الخامات والانتاج الطبيعي للاقليم ، بل ان ارمان يرى أن من المشكوك فيه نسبة التحف التي جلبها النوبيون في مناظر تقديم الجزية لتوت عنخ آمون الى الفن النوبى ، ويرى أيضا انها نوبية بمادتها فقط (٢) .

وفي الحقيقة لقد استمر الأمر على هذا الحال تقريبا خلال العصر المروى ، فاستمر تصدير المنتجات الطبيعية للمنطقة بالإضافة الى ما يرد اليها من البلاد التي تقع الى الغرب أو الى الجنوب عنها .. والسلع الوحيدة المصنوعة في مروي والتي يحتمل أنها كانت بين مواد التجارة الصادرة هي الأواني الفخارية ، وقد عثر على بعضها في أكسوم (٣) .

وقد كانت قائمة الصادرات تنحصر بصفة أساسية فيما يلى :

(١) Theodore Bent : The ancient trade routes across Ethiopia (London 1893) p.p. 143—144.

(٢) ارمان ، أدولف وهرمان رائكة : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ،

ص ٥٧٥ .

Annales d’Ethiopie, I (1955) p. 41.

(٣)

سلع معدنية :

الذهب : ان دراسة استخراج الذهب واعداده في مملكة مروي تدل دلالة قاطعة على المركز الممتاز الذي كان يحتله الذهب بالنسبة للصادرات المروية (١) . ولقد صدر الى دولة البطالمة في مصر كما فام ملوك البطالمة باستغلال مناجم النوبة السفلى (٢) ، وبالطبع كان ذلك باتفاق مع ملوك مروي شركائهم في السيادة على الاقليم ، ولعل استمرار العلاقة السلمية بين الدولتين فترات طويلة مما يؤكد ذلك .

هذا بالاضافة الى أن هدف السيطرة على مناطق مناجم الذهب كان أحد الأسباب التي دعت الرومان الى مد حدود مصر الى المحرقة بعد أن كان جانلوس Gallus قد أقام هذه الحدود في سنة ٢٩ ق م عند الشلال الأول (٣) . ولم تكن تجارة مروي في الذهب قاصرة على دولة البطالمة وانما كانت آكسوم طريقا آخر استخدمته مروي لتصدير الذهب المترسب في مياه النيل الأزرق (٤) .

الحديد : من دراستنا لانتاج الحديد في العصر المروي يتضح مدى أهميته بالنسبة لهذه المملكة ولا شك أن جزءا من انتاج الاقليم كان يفيض عن حاجته وكان يصدر الى الخارج وقد أشار رستوفتيزف الى أن الحديد كان يمثل أحد العناصر المهمة في التجارة المروية مع البطالمة (٥) .

الأحجار الكريمة : ذكر Cosmas أن تجارة الأحجار الكريمة بين مروي والهند كانت تتم عن طريق أدوليس (٦) .

سلع نباتية وحيوانية :

الفيلة والعاج : حظت الفيلة باهتمام أهل مروي وكان يجري صيدها بطرق

(١) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ١٤١ - ١٤٥ .

(٢) Rostovtzeff : Social and Economic History of the Hellenistic world p. 382.

(٣) Kirwan, : Rome beyond the southern Egyptian Frontiers, p. 15

(٤) Wainwright, B. A. : Cosmas and the gold trade of Fazogli, Man XIII p. 30.

(٥) Rostovtzeff : op. cit. p. 383.

(٦) Pankhurs, R. : An Introduction to the economic History in Ethiopia (London, 1961) p. 37.

مختلفة (١) ، وقامت مراكز خاصة لترويض هذه الحيوانات وتدريبها لاستخدامها في الحروب وقد اتضح الاهتمام بهذا الحيوان لكثرة تصويره ونقشه على الآثار المختلفة . . وكان المستهلك الرئيسي له هم ملوك البطالة في مصر الذين كانوا يستخدمونه في الحرب بل ان رغبة البطالة الملحة في الحصول على الفيلة دعيتهم الى ارسال بعثات صيد لحسابهم هذا بالإضافة الى انشاء مراكز تجارية لهم على ساحل البحر الأحمر ويبدو أن المرويين كانوا يصدرون هذه الحيوانات للبطالة بعد تدريبها واذا كانت التجارة في الأفيال الحية والمدربة شيء ظهرت أهميته في عهد البطالة — فإن العاج كان عنصرا قديما ومستمرا في التجارة سواء ذلك في العصر المروى أو فيما سبقه من عصور ، واذا كان البطالة هم المستوردون الرئيسيون للأفيال فقد كانت أسواق العاج أكثر اتساعا ، فقد كان يصدر الى مصر وأكسوم التي قامت بدور الوسيط هي الأخرى حيث كان ينقل منها إلى أدوليس ثم الى مراكز الاستهلاك سواء في روما أو غيرها .

الحيوانات البرية : ذكر الكتاب القدامى أن روما كانت تستورد من مروى الحيوانات المتوحشة اللازمة لحلبات المصارعة ، هذا بالإضافة الى حيوانات تنذيل مثل الفهود . . وكذا الحيوانات الغريبة مثل الزراف (٢) .

سلع نباتية وحيوانات أخرى : لم تقتصر تجارة الصادرات على ما سبق من السلع ولكن كانت هناك سلع أخرى شكلت جانبا من صادرات الأقليم وشملت ريش النعام وبيضه ، وبعض العبيد وقرود اخريت وجلود أفراس النهر (٣) .

وتبقى اشارة كروفوت عن اعتقاده أن تجارة القطن كانت أحد مصادر اتروية في مملكة مروى (٤) . إلا أن هذا لم يقيم عليه دليل قاطع حتى اليوم ، صحيح أن عيزانا ذكر في نص له أنه أحرق قطن المرويين ، غير أن القطن لم يرد كأحد مواد التجارة من مملكة مروى التي تحدث عنها الكتاب القدامى (٥) .

(١) فوزى مكارى : المرجع السابق ص ١٢٢ — ١٢٤ .

(٢) Kirwan : *Op. Cit.* p. 18.

(٣) فوزى مكارى : المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٤) Crowfoot : *The Island of Meroe* p. 37.

(٥) ترجمة النص المذكورة ص ١٠١ — ١٠٥ من فوزى مكارى : مملكة مروى.

ثانيا : الواردات - وإذا اتقلنا للدراسة الواردات والسلع التي كانت تصل الى مروي من الخارج .. فان أول ما يلفت النظر هو أنها سلع مصنوعة في الغالب ، بالإضافة الى أنها مصنوعات فاخرة مما يدل على ارتفاع مستوى المعيشة في مروي .

وأهم هذه الواردات هي ..

(١) المنسوجات : وقد ذكر مؤلف الطواف (١) بعض أنواعه مثل خيوط الغزل من المصنوعات المصرية وكذا أثواب من أرسينوى بالإضافة الى عباءات كتانية وأخرى شعبية ويعتقد بعض أساتذة الآثار أن بقايا المنسوجات القطنية التي عثر عليها في جبانة مروي مستوردة من الهند ، اذا لم تكن صناعة محلية حيث أن القطن لم يكن معروفا في مصر .

(ب) الأدوات المعدنية : وقد عثر على كثير من الأواني والأدوات المستوردة وهي في الغالب من البرونز أو الفضة ، ومن بين الأدوات المستوردة كانت المصابيح المصنوعة في منطقة البحر المتوسط شائعة الاستخدام، وقد عثر على مثلين رقيقتين في الهرم رقم (١٨) بالجبانة الشمالية في مروي والذي دفنت فيه الملكة أماني خاتاشان Amanikhatashan والتي عاشت في الجزء الأخير من القرن الأول الميلادي ، وهذان المصباحان أحدهما ذو أيد على هيئة الجزء الأمامي من الستوريون . بينما يدا الأخرى على شكل حصان ، ويرجع تاريخ صناعتها طبقا لطرازهما الى القرن الأول ق . م أو بعده (٢) .

كما صور مصباح آخر من فرس وهو ذو أصل روماني ، وعثر على قدر برونزي على شكل رأس طفل وقد صنعت حلقات التعليق من الحديد ، وطعمت العينان بالفضة ويبدو أنها ترجع الى القرن الثاني أو الثالث الميلادي (٣) .. هذا بالإضافة الى أنه قد عثر على

(١) Schoff W. : The periplus of the Erythrean Sea (New York, 1912) p, 284.

(٢) شكل (١) رقم ٧٠ ، ٧٢ .

(٣) شكل ٢ .

كثير من أدوات الزينة التي يمكن اعتبار المرأة التي عشر عليها في فرس نموذجاً لها . . وهذه المرأة جانبها الخارجى مزين برأس أثنى على الطراز الهلينستى بينما زين الجانب الآخر بحفر يمثل حورس جالسا خارج ورقة لوتس ومحاطا بتسعة مخلوقات خيالية (١) .

كما عشر على عدد من القدور الفضية المستوردة وأفضل أمثله قدح وجد في أنقاض الهرم رقم (٢) بالجبانة الشمالية بالجراوية ولا يبدو أنه أحد محتويات المقبرة لفقرها وربما أحضره أحد اللصوص ، هذا ويبدو أنه عمل من العصر الرومانى ويعود على الأرجح الى منتصف القرن الأول الميلادى .

كما استوردت مروي من الخارج الأسلحة والآلات البرونزية خصوصا قبل انتشار صناعة الحديد ، هذا بالإضافة الى أنه كانت تستورد بعض سبائك البرونز من الخارج ويتم تصنيعها في مروي ، وربما كان هذا هو التفسير الوحيد لوجود أواني برونزية ذات صناعة مروية بالرغم من عدم وجود خام النحاس في الاقليم .

(ج) الفخار : ولقد عشر أيضا على كثير من الأواني الفخارية المستوردة من مصر من العصر البطلمى ومن العصر الرومانى وقد كان يتميز عن الفخار المحلى بأنه وردى اللون شديد الصلابة ويظهر من الشكل والزخارف أنه صنع في مناطق تحت التأثير الرومانى وأغلب الظن أنها كانت مصنوعة في مصر ويمكن رؤية نماذج لها في اللوحات (٣) .

(د) الزجاج : لقد بقيت أعداد صغيرة من المصنوعات الزجاجية بالنسبة الى كمية الزجاج الذى استخدم خلال حياة مملكة مروي ، ومن الجدير بالذكر أن كل القطع الباقية ذات طابع رومانى وليس هناك ما يدل على قيام صناعة الزجاج في مروي .

لقد حدث تغيير هام في طريقة صناعة الزجاج خلال القرن الأول

(١) شكل ٣ .

(٢) شكل ٤

الميلادى حيث تم التوصل الى طريقة تفخ الزجاج بدلا من صبه • الا
أن المركز المصرى الرئيسى لصناعة الزجاج وهو كوم أوشيم
(كرانيس) الذى وجد انتاجه منتشرا فى مروي لم يصل الى كامل
انتاجه قبل بداية القرن الثانى الميلادى (١) •

لعل أهم القطع الزجاجية المصبوبة قد عثر عليها فى مقبرة من
فرس ، وترجع الى القرن الأول الميلادى أو الثانى الميلادى •

أما الآنية الأخرى فكلها من الزجاج المنفوخ تقريبا ومعظمها مما
كان يستخدم لوضع الدهون والزيوت • ويبدو أنها فى معظم الحالات
كانت تستورد بمحتوياتها ، ومن الطريف العثور على ثمان زجاجات
فى الهرم رقم (١٨) بالجبانة الشمالية من البحراوية فى بقايا صندوق
خشبي يبدو أنه صنع لحفظها (صندوق عطور) وأنها نقلت فيه من
مصر •• (٢)

وهناك نموذج آخر للزجاج المستورد وهى زجاجة ذات لونين من
اللون الأحمر الداكن وذات زخارف صفراء على شكل سيور ••

وقد عثر عليها فى القبر رقم (٣٠٠) فى مروي مقترنة بفخار من
الفترة المتأخرة من العصر المروى ويمكن تأريخها بين (٢٠٠ – ٤٠٠
ميلادية) (٣) •

(هـ) المواد الغذائية : كانت المواد الغذائية المستوردة محدودة اكمية
ولا تمثل الا فى زيت الزيتون (٤) ولا يمكن تصور استخدام هذا
الزيت فى أغراض الغذاء نظرا لتوافر الدهون الحيوانية فى مملكة
مروي والأرجح هو استخدامه لأغراض دينية أو للزينة •

(ز) واردات أخرى : وفى الحقيقة لا يمكن اهمال ذكر التحف والتماثيل

Shinnie : Meroe p. 130.

(١)

Dunham, D. : Royal cemeteries of Kush Vol. IV p. p. 149—151.

(٢)

(٣) شكل رقم ٧

Pankhurst, R. : Op. Cit. p. 18.

(٤)

والعناصر الفنية المختلفة ذات الصناعة الهلينسية وابتى عشر عليها فى مروى ولعل أبرز أمثلتها هى رأسى ديونيسيوس التى عشر عليها فى مروى وكاتتا لتمثالين ذات صناعة هلينسية (١) .

(ب) وسائل النقل والطرق التجارية

أولاً : وسائل النقل

لقد أثرت وسائل النقل فى حجم التجارة المنقولة ونوعها وقد اختلفت هذه الوسائل ما بين برية ونهرية .. ويمكن حصر وسائل النقل خلال العصر المروى فى الوسائل الآتية :

النقل البرى :

الحمار :

كان أقدم وسائل النقل التى استخدمت فى مصر ثم فى السودان ، ولعل استخدام حر خوف له فى تلك الرحلات المبكرة يعطى صورة عن مدى قدم استخدام هذا الحيوان فى وادى النيل .. ولقد استمر استخدام هذا الحيوان لنفس الغرض خلال العصور التاريخية المختلفة الى الوقت الحاضر وقد أشار حر سيوتف الى استخدام الحمار خلال عهده .

الا أن هذا الحيوان بحجمه الصغير وامكانياته محدود القيمة حيث لا يستطيع السير فى الرمال أو السير مسافات طويلة دون غداء .. الا أنه قام بدوره فى نقل التجارة طوال القرون السابقة للميلاد .

الحصان :

استخدم الحصان للركوب ولجبر العربات ومن المعروف أنه دخل الى السودان عن طريق مصر (٢) . وقد ذكر دنهام (Dunham) - بعد فحصه للهيكل العظمى لأحد الخيول - تشبه تلك التى تعيش حالياً فى أوروبا وأمريكا وأن تميزت

(١) شكل رقم ٥ .

(٢) كان المعتقد أن مصر قد عرفت الحصان عن طريق الهكسوس ، ولكن عثور امرى على هيكل عظمى فى بوهين من الدولة الوسطى يغير من هذا الاعتقاد .

Emery : Egypt in Nubia p. 109.

الخيول العالية بأنها أكثر رقة .. وقد استخدم هذا الحيوان للركوب وللجر ، كما أشار كل من حرسيتوف (Harsiotef) وناستاسين (Nastasen) الى الخيول واستخدامها وقد صورت الخيول في النقوش .. وقد عثر على سرج زيه راب نوسع على الحيول . وعثر في النقوش على طريقتين لقيادة الخيل عند المرويين .. حيث كان الراكب يمسك الحصان بيد بينما كان يحمل في اليد الأخرى سوطا قصيرا .

وعثر على طريقة ثانية للركوب حيث يمسك الراكب في رقبة الحصان ويقود الحيوان رجل آخر وثالث يضرب على حلقة مثبتة تحت ركبة الحصان (١) .

الجمال :

ان دخول الجمال الى مروي يبدو أنه قد تم في أواخر القرن الاول ق.م. ولقد عثر على تمثال برونزي لجمال في الهرم رقم (٥) بالجبانة الشمالية بالبحراوية والذي يخص أريكانخريز (Arikankharer) ابن ناتال أماني (٢) كما ذكر عيزانا في نصبه عن غزوه لمروي أنه قبض على اثنين من الجواسيس قلما اليه راكين ابلا ... (٣)

ولقد صاحب دخول الجمال الى ميدان النقل في مروي زيادة حجم التجارة والتبادل التجاري نظرا لمميزاته التي لم تتوفر لوسائل النقل الأخرى . وقد أدى بطبيعة الحال الى امكانية استغلال منتجات مناطق كان من الصعب في ظل الظروف السابقة استغلالها كما أدى الى ازدياد الروابط بين مناطق الانتاج وموانئ التصدير .. هذا بالطبع في المناطق الملائمة لحياته .

النقل النهري :

استخدمت السفن النهرية لنقل التجارة بين مصر والنوبة السفلى والنوبة العليا منذ فجر التاريخ . ولعل اشارة مرخوف الى حصوله على خشب السنت

Macadam : Temples of Kawa 11, pl. I

(١)

Shinnie : Op. Cit. p. 104.

(٢)

(٣) فوزي مكاوي : المرجع السابق ص ١٠٣ .

لصناعة السفن من النوبة السفلى مما يؤكد ذلك (١) . كما أن سنوسرت الثالث قد أكد استخدام النوبيين لهذا النوع من وسائل النقل عندما ذكر في نصه الذي أقامه عند الحدود أنه .. ممنوع على أى نوبى سواء جاء عن طريق الماء أو الأرض أم بالسفن أو مع قطعان النوبيين تخطى هذه الحدود .. أما النوبيين الذين يأتون كرسل أو الذين يقصدون سوق اقن .. فيسمح لهم بالمرور بغير سفنهم (٢) .

كما أن العصر المروى يقدم لنا عدة اشارات لاستخدام السفن ، فيذكر ناستاسن أنه عبر النهر في طريقه الى نباتا لكى يتقلد أمور المملكة من والده آمون (٣) .

هذا بالإضافة الى أن بعثة فيرون قد استخدمت النهر للوصول الى منطقة اسدود وقد ذكر بلنى (Pliny) أن النباتات المتشابكة فى هذه المناطق لم تترك سوى مساحات صغيرة لا تسمح الا لقارب رجل واحد أن يعبر (٤) .

وذكر عيزانا أيضا السفن .. فان النوباويين السود الذين دهمتهم الهزيمة أمام جنود عيزانا أسرعوا طلبا للنجاة الى ركوب السفن لكى يعبروا النهر الى حيث الأمان ولكن عيزانا يذكر أن السفن قد غرقت بمن عليها نظرا لثقل الحمولة (٥) . وهذه الأدلة تدل على استخدام السفن فى النقل .. الا أن النقل بالسفن كان محدودا بالطريق الصالح للملاحة عبر نهر النيل لذا فمن المعقول أنه قد استخدم لخدمة أغراض التجارة بين مصر ومروى .

أما فيما يتعلق بأكسوم فمن غير المعقول استخدام هذه الوسيلة نظرا لانحدار المياه من أعلى هضبة الحبشة الى أسفل فى سهول السودان مما يجعل السير عكس التيار بالحمولة أمرا غاية فى الصعوبة .

(١) أرمان : المرجع السابق ص ٥٧٢ .

(٢) شوقى الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ، الجزء الاول (القاهرة ١٩٦٩) . ص ٥٩ .

(٣) سليم حسن : المرجع السابق ص ٥٥٧ .

(٤) Kirwan : Op. Cit. p. 16—17.

(٥) فوزى مكوى : المرجع السابق ص ١٠٣ .

ثانيا : الطرق التجارية

١ - الطرق الداخلية :

أن أهم الطرق الداخلية التي تربط أجزاء مملكة مروي هو ذلك الطريق عبر صحراء بيوضه والذي يصل بين مروي ونباتا .. ولقد استخدم هذا الطريق خلال عصر نباتا (١) . وكذلك خلال العصر المروي حيث أنه أقصر الطرق بين المدينتين .. وقد عثر في هذا الطريق على قلعة في فورا (Fura) ويبدو أنها كانت استراحة خلال الطريق (٢) .

٢ - الطرق الخارجية :

لعل أقدم الطرق التجارية وأهمها على طول تاريخ النوبة السفلى والعليا على حد سواء هو (الطريق النيلى) متجها نحو الشمال الى مصر وهذا الطريق سواء على صفحة النيل أو على شاطئه كان الطريق الذى سارت فيه المدينة من مصر الى النوبة السفلى ثم العليا ممتدة حتى سنار خلال العصور التاريخية المختلفة .

ان هذا الطريق تصادفه عقبات الشلالات وقد استطاع الانسان المصرى أن يزيل هذه العقبات منذ فجر التاريخ عندما استطاع أوني أن يحفر طريقا عبر صخور الشلال الأول (٣) . كما كان يجز مراكبه على البر في المناطق الصعبة التي لا تستطيع استخدام النيل خلالها . وعلى شاطئ النهر سارت القوافل أيضا .. وان اختلف الطريق طولا أو قصرا .. فلجأ البعض الى اجتياز صحراء العظمور من خلال وادى قبقة بين كورسكو وأبو حمد اختصارا للطريق وتجنباً لمشاكل الشلالات ، وقد ذكر استرابو (Strabo) أن بترونيس (Petronius) قد اتبع هذا الطريق وصولاً الى نباتا (٤) كما استخدمته بعثة نيرون للوصول الى مدينة مروي (٥) .

(١) استخدمه ناستانسن في الذهاب الى نباتا ، راجع سليم حسن ، المرجع السابق ص ٥٥٧ .

(٢) Shinnie : Op. Cit. p. 97. (٢)

(٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٣ .

(٤) Strabo : Op. Cit. Book XVII Chapter 54. (٤)

(٥) Kirwan : Op. Cit. p. p. 5—16. (٥)

بينما كان يسير الآخرون مع النهر يدورون معه بعيدا عن الصحراء ومشاكلها
وقربا للمياه والغذاء وهذا ما اعتقد بلنى أن بتروئيس قد فعله عند غزوه
نباتا (١) .

ان هذا الطريق رغم قدمه لم يفقد أهميته وظل همزة الوصل بين الشعبين
في الشمال والجنوب حتى الوقت الحاضر .. وان كان قد تعرض لفترات من
الاهمال وكان ذلك مرتبطا دائما بغياب الحكومة المركزية القوية في الجنوب أو
الشمال مما كان يتيح لقبائل الصحراء السيطرة على هذا الطريق التجارى
والاغارة على القوافل وسلبها وقد حدث هذا خلال العصر الرومانى خصوصا
بعد انسحاب الامبراطورية الرومانية بحدود مصر الى الشلال الأول (٢) ..
كما عاصرت هذا الطريق فترات كساد .. عندما كان يحدث خلاف بين الحكام
في القطرين كما حدث بين بسماتيك وخلفائه وبين ملوك نباتا مما أدى الى
اغلاق الطريق تماما بحاميات عسكرية (٣) . الا أن هذه الأمور كانت عارضة
في التاريخ الطويل لهذا الطريق التجارى . أما طرق التجارة مع أكسوم .. فقد
كانت هناك عدة طرق تجارية تربط مروي بساحل البحر الأحمر عبر
أكسوم (٤) .. لقد ازدادت أهمية هذه الطرق التجارية في العصر اليويانى
الرومانى عندما ازدهرت الموانى المختلفة على البحر الأحمر بحثا عن سلع
وبضائع الظهير الافريقى .. وهناك طرق فرعية تربط مراكز الانتاج في مملكة
مروي أو حولها بمدينة مروي العاصمة أو سينعيم (Cynium) — سنار —
ومن هاتين المدينتين كانت تخرج طرق تصل بينهما وبين أدوليس (Adulis)
على ساحل البحر الأحمر عبر أكسوم .. ومن غير المعروف طبيعة هذه الطرق
التجارية الا أن العثور على ما يشبه المخازن في المصورات الصفراء يدل على
أنها كانت مركز تجميع تجارى (٥) .. وكانت هذه الطرق تقوم بعملية الربط
بين المراكز الرئيسية مثل مروي .

Kirwan : Ibid. p. p. 5—16.

(١) و (٢)

(٣) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ٣٩ وما بعدها .

Theodore Bent : Op. Cit. p. p. 143—144.

(٤)

(٥) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ٢٠١ — ٢٠٣ .

لقد كان أهم الطرق التجارية بين مملكة مروى وموانئ التصدير عبر أكسوم هو الطريق الذى يبدأ من Tones (واد بانقا) ثم يسير عبر سهل البطانة الى كسلا بعد عبور نهر تيكازى صاعدا على السفوح الملائمة من هضبة الحبشة حتى أكسوم ومن أكسوم كان الطريق الى أدوليس يقطع فى ثمانية أيام منها خمسة الى كولوى (Coloe) (١) ثم ثلاثة الى أدوليس (٢) ٠٠ وقد تميز هذا الطريق بمروره فى مناطق غنية بالغذاء والماء ٠٠ كما كان بعيدا عن القبائل المعادية ٠

لقد كانت هذه الطرق التجارية الى الجنوب الشرقى من مروى الى أكسوم والبحر الأحمر هى السبيل الذى عبرته بالعكس المؤثرات الحضارية الهندية والفارسية وغيرها الى مروى والتي ظهرت فى بعض مظاهر الحياة مثل استخدام نظام الحفريات وزراعة القطن (٣) وما ظهر أيضا فى المعتقدات الدينية المروية من بعض المؤثرات الأجنبية والتي لم تكن ذات أصل مصرى (٤) ٠

(ج) المراكز التجارية والأسواق ووسيلة التعامل

أولا : المراكز التجارية :

ان المراكز التجارية فى مملكة مروى كانت تنحصر بعد اضمحلال مركز نباتا السياسى فى الجنوب فى مدن مروى وسنيوم Cynium - منار - والمصورات واد بانقا والنقعة ، وقد أدت الظروف الطبيعية - من توافر مواد التجارة والموقع قريبا من المناطق الأخرى للإنتاج فى الجنوب والغرب الى ازدهار هذه المراكز التجارية عدة قرون ، ساعد على ذلك صلاحية الطرق التجارية واستتباب الأمن عبر هذه الطرق كما أدى قيام مملكة أكسوم وحرصها على استمرار التجارة الى زيادة حجمها ٠ واذا ما كانت مراكز الإنتاج والتجميع تقع داخل حدود مملكة مروى فان مراكز التصدير لم تكن تقع داخل حدود هذه المملكة ٠

(١) هى مدينة كوهايتو Kohaito الحالية فى شمال اثيوبيا .

(٢) Pankhurst, R. : Op. Cit. p. 17

(٣) Arkell : A History of the Sudan p. p. 166—167.

(٤) فوزى مكاوى : المرجع السابق ص ٢١٧ وما بعدها .

لقد تركزت مراكز التصدير في البلاد الأخرى .. فقد كانت تصدر البضائع الى مصر عن طريق أسواق اليفاتين (Elephantine) حيث كان يقوم سوق لهذه البضائع كما ذكر فيلوسترانوس (Philostratus) قيام سوق حرة في المحرقة في القرن الثالث الميلادي (١) كما كانت أدوليس تقوم بهذه المهمة بالنسبة للتجارة عبر أكسوم .

ثانيا : الأسواق :

كانت أسواق منتجات مروي تتركز بصورة أساسية في مصر وروما في حوض البحر المتوسط والهند على الجانب الآخر ..

ومن الممكن تصور مدى فخامة حجم السوق المصري للبضائع المروية من خلال ما هو معروف عن مدى تغلغل العناصر والقيم الحضارية المصرية في مروي .. وقد كان السوق الرئيسي دائما لمنتجات النوبة العليا قبل قيام مملكة مروي واستمر كذلك خلال عصر البطالمة .. وان تقهقر بعض الشيء خلال عصر الرومان بسبب طبيعة التجارة الرومانية واتجاهها للتعامل مع الهند بعد اكتشاف نظام الرياح الموسمية (٢) .

أما أسواق البضائع المروية الأخرى فقد ذكر الأستاذ كمارير أن الهنود كانوا أكثر المتعاملين فيها الى الدرجة التي تسمح لهم ولسفنهم بالدخول الى ميناء أدوليس والرسو فيها واستخدامها والتعامل في السلع الصادرة منها .. ثم استقر بعض الهنود من المشتغلين بالتبادل التجاري في شكل جاليات في الميناء وفيما وراء الميناء (٣) .

ثالثا : وسيلة التعامل :

يرى كيروان أن التعامل في ابضائع المروية عن طريق المقايضة بصفة أساسية رغم العثور على عملة لكلوديوس (Claudius) في مروي وقطعة عملة

Kirwan : Op. Cit. p. 18.

(١)

Warmington, E. H. : The Commerce between the Roman Empire and India p. 7.

(٢)

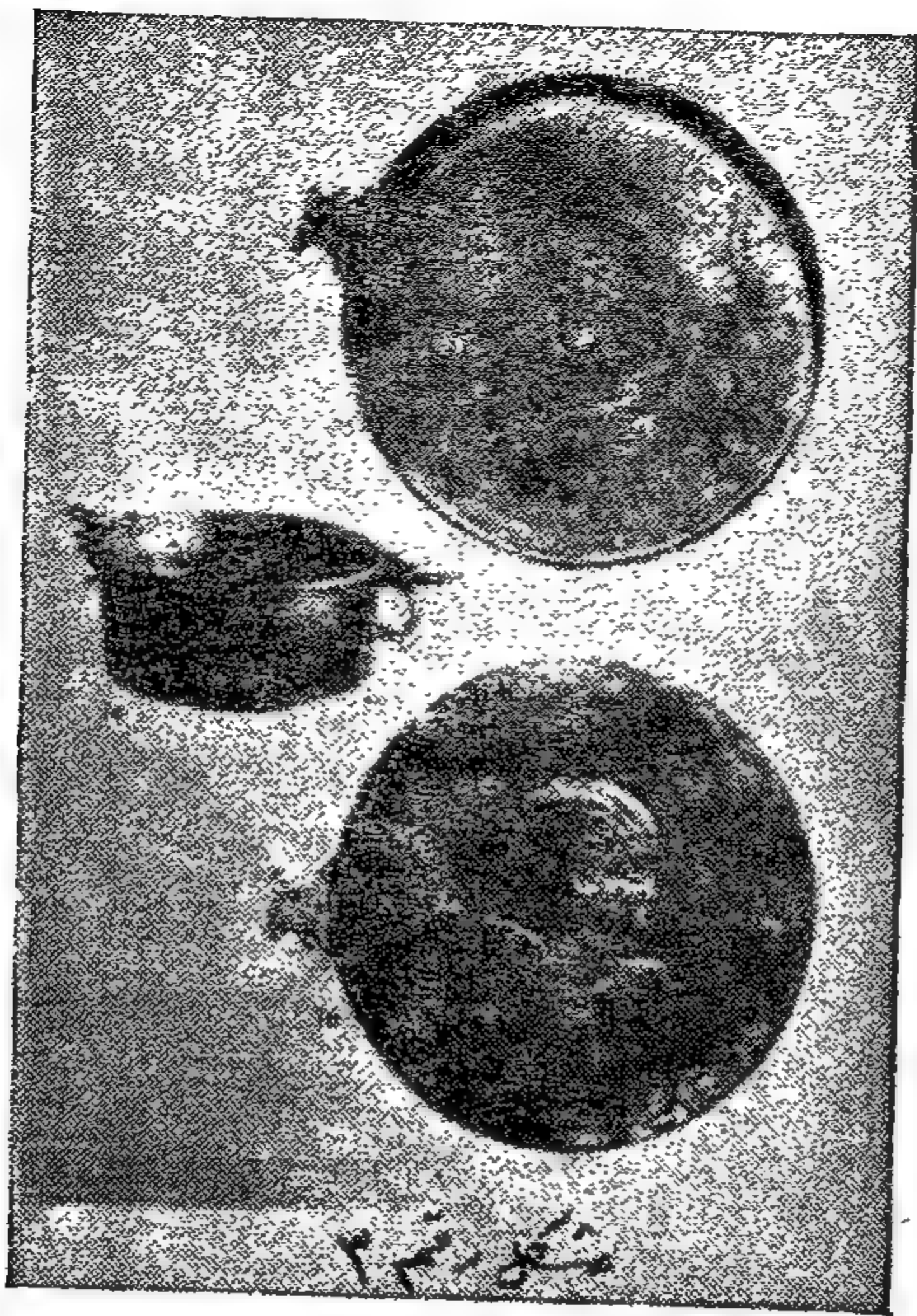
Kammarer, A. : Essai sur l'Histoire antique d'Abyssinie p. 97.

(٣)

لليسينيوس (Licinius) وهى الآن فى متحف الخرطوم ، وكذا قطعة العملة لـ Valens من مقبرة تلييه من القسطل ربما كانت من القرن الرابع الميلادى – وقطعة أخرى من سنار وربما كانت من القرن الرابع الميلادى أيضا .. الا أن الأرجح أن هذه القطع من العملة لا يمكن أن تتخذ دليلا عن استخدامها فى التبادل التجارى نظرا لقلتها .

والجدير بالذكر أن التجارة التى رفعت قدر مروي وقوت مركزها كانت أحد الأسباب التى دفعت عيزانا للقضاء على الأسرة المالكة فيها .. فان الملك الاكسومى حرصا منه على استمرار التجارة ، ونظرا لغياب الحكومة المركزية القوية فى مملكة مروي وسيطرة قبائل النوبا السود على مقدرات البلاد مما هدد استمرار التجارة – وجد نفسه مضطرا لكى يحافظ على مصدر ثروة بلاده (أكسوم) – للهجوم على مروي والقضاء على الأسرة الحاكمة هناك .

فوزى مكوى





المراجع

أولا : مراجع عربية :

- ١ - أرمان ، أدولف ورانكه ، هومان : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة (ترجمة عبد المنعم ابو بكر ومحرم كمال) القاهرة ١٩٦٢ .
- ٢ - سليم حسن : مصر القديمة (الأجزاء ١١ ، ١٢ ، ١٥) القاهرة د . ت .
- ٣ - شوقي الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ج ١ القاهرة ١٩٦٩ .
- ٤ - صلاح الشامى : الموانئ السودانية - القاهرة .
- ٥ - فوزى مكاوى : مملكة مروى (رسالة ماجستير غير منشورة) القاهرة ١٩٧١ .
- ٦ - محمد إبراهيم بكر : تاريخ السودان القديم - القاهرة ١٩٧١ .

ثانيا : مراجع اجنبية :

1. Arkell A. J. : A History of the Sudan from earliest times to 1821, 2nd edition (London, 1961).
2. Crowfoot J. W. and Griffith F. : The island of Méroe. Meroitic inscriptions (London, 1911).
3. Dunham, Dows : The Royal Cemeteries of Kush V vols. (Boston, 1950—1963).
4. Emery. W. ; Egypt in Nubia (London, 1965).
5. Kammerer, A. : Essai sur l'histoire antique d'Abyssinie, Le Royaume d'Aksum et se voisins d'Arabie et de Meroe (Paris, 1926).
6. Kirwan, L. P. : Rome beyond the southern Egyptian Frontiers (Geog. Journal Vol. CXXIII) (London, 1957).
7. Macadam M. F. laming : The Temples of Kawa, I (Oxford, 1949) and Vol. II (Oxford, 1955).
8. Pankhurst, R. : An introduction to the Economic history of Ethiopia (London, 1961).

9. Rostovtzeff : Social and economic history of the Hellenistic world (Oxford, 1957).
10. Schoff, W. : The periplus of the Erythrean Sea (New York, 1912).
11. Schinnie P. L. : Meroe, a civilization of the Sudan (London, 1967).
12. Strabo : Geography of (London 1949—1954).
13. Theodore Bent : The ancient trade routes across Ethiopia (London, 1893).
14. Warmington E. H. : The commerce between the Roman Empire and India (Cambridge, 1928).

تم بحمد الله وتوفيقه طبع هذه المجلة
بمطبعة جامعة القاهرة في يوم الخميس الموافق
١٥ من فبراير سنة ١٩٧٢

مدير المطبعة
أحمد سلامة

NATIONAL LIBRARY LEGAL DEPOSIT
No. 628 - 1973

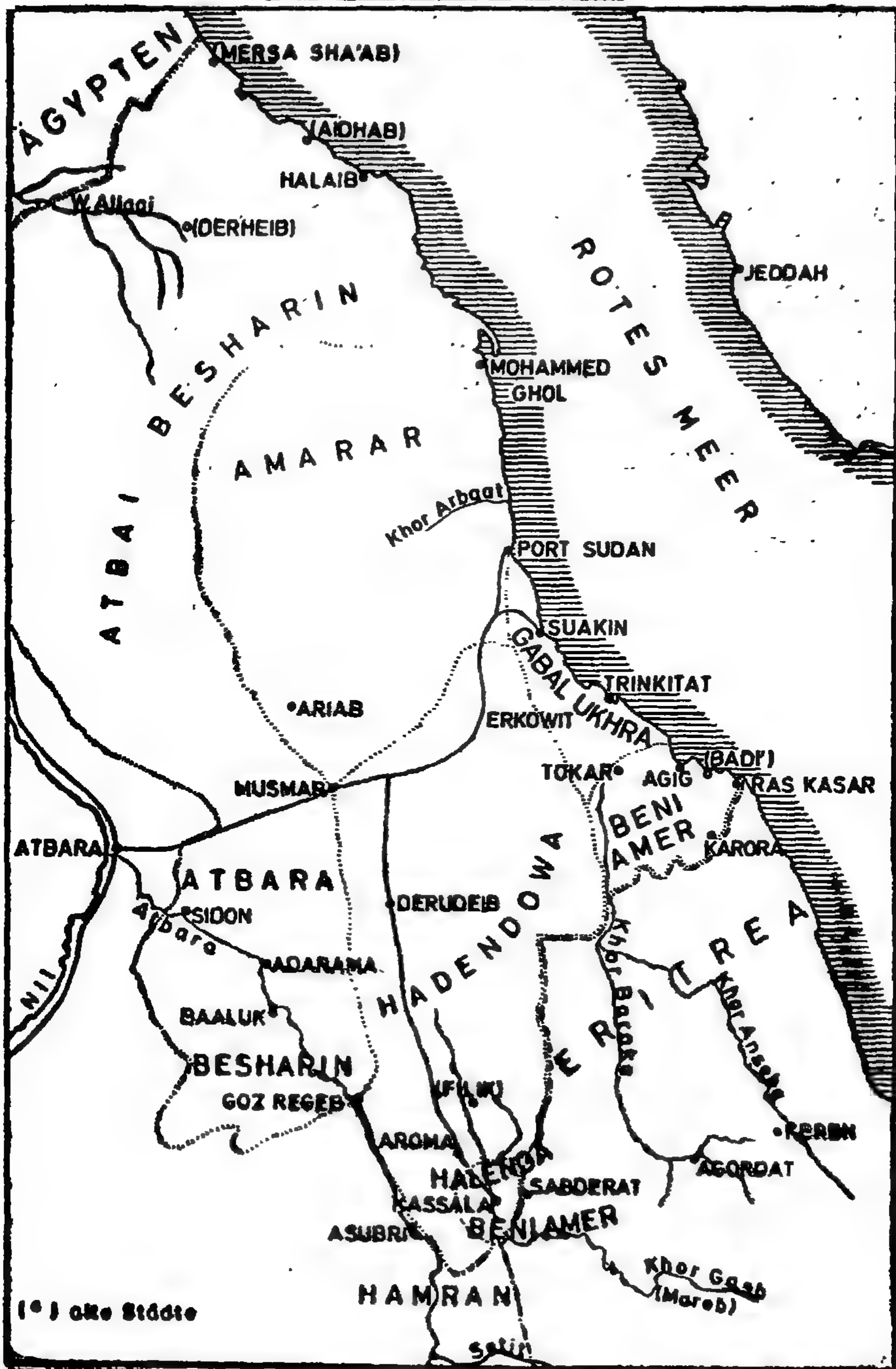
Printed by Cairo University Press,
Director.
AHMED SALAMA

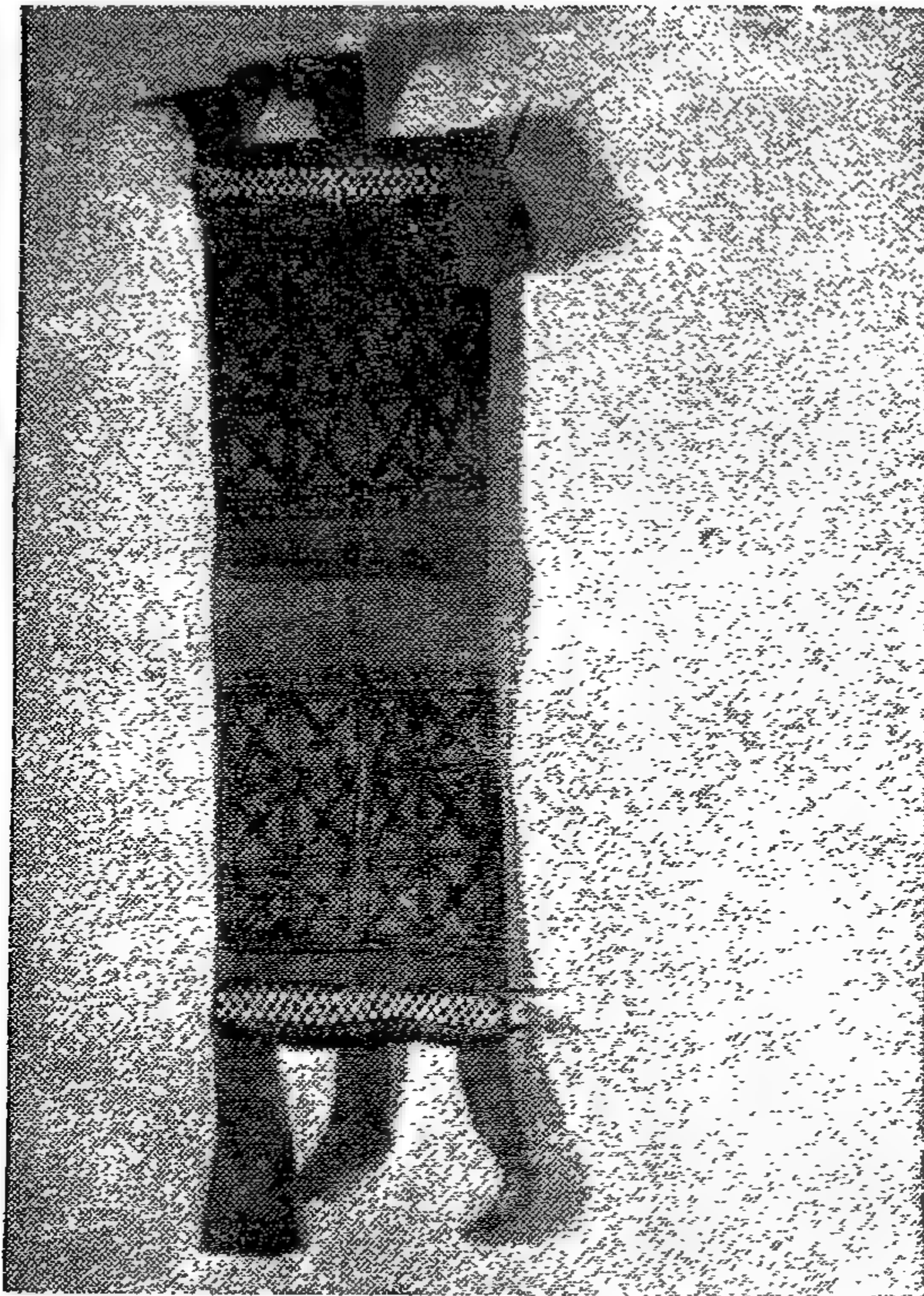
LITERATURVERZEICHNIS

1. CERULLI, Enrico : Zār. In : Enzyklopädie des Islam, Bd. 4. 1934 Leipzig 1934 S. 1317-1318
2. GOEJE, M.J.de : Zār. In : Zeitschrift der deutschen morgen land ischen Gesellschaft Bd. 44. Leipzig 1890.S. 480
3. HENNINGER, Joseph : Ist der sogenannte Nilus-Bericht eine brauchbare religions- geschichtliche Quelle ? In : Anthropos, Bd. 50. Ereb urg/Sch weiz 1955 S. 84, Anm. 7 u.s. 130-136, Anm. 232
4. HERZOG, Rolf : Die Ergebnisse der ersten sudanesischen Volks zahlung in ethnolce gischer Sicht. In Zeitschrift fuer Ethnologie, Bd. 84. Braunschweig 1959 , S. 173-204
5. KLUNZINGAR, G.B. : Bilder aus Oberagyp ten, der Wueste und dem roten Meer (Zweit- Auflage). Stuttgart 1878
6. KRISS, Rudolf und KRISS-HEINRICH, Hubert : Volksglaube im Be reich des Islam Bd. 2. Wiesbaden 1961
7. LITTMANN, Enno : Arabische Geisterbesceworungen aus Agypten Leipzig 1950

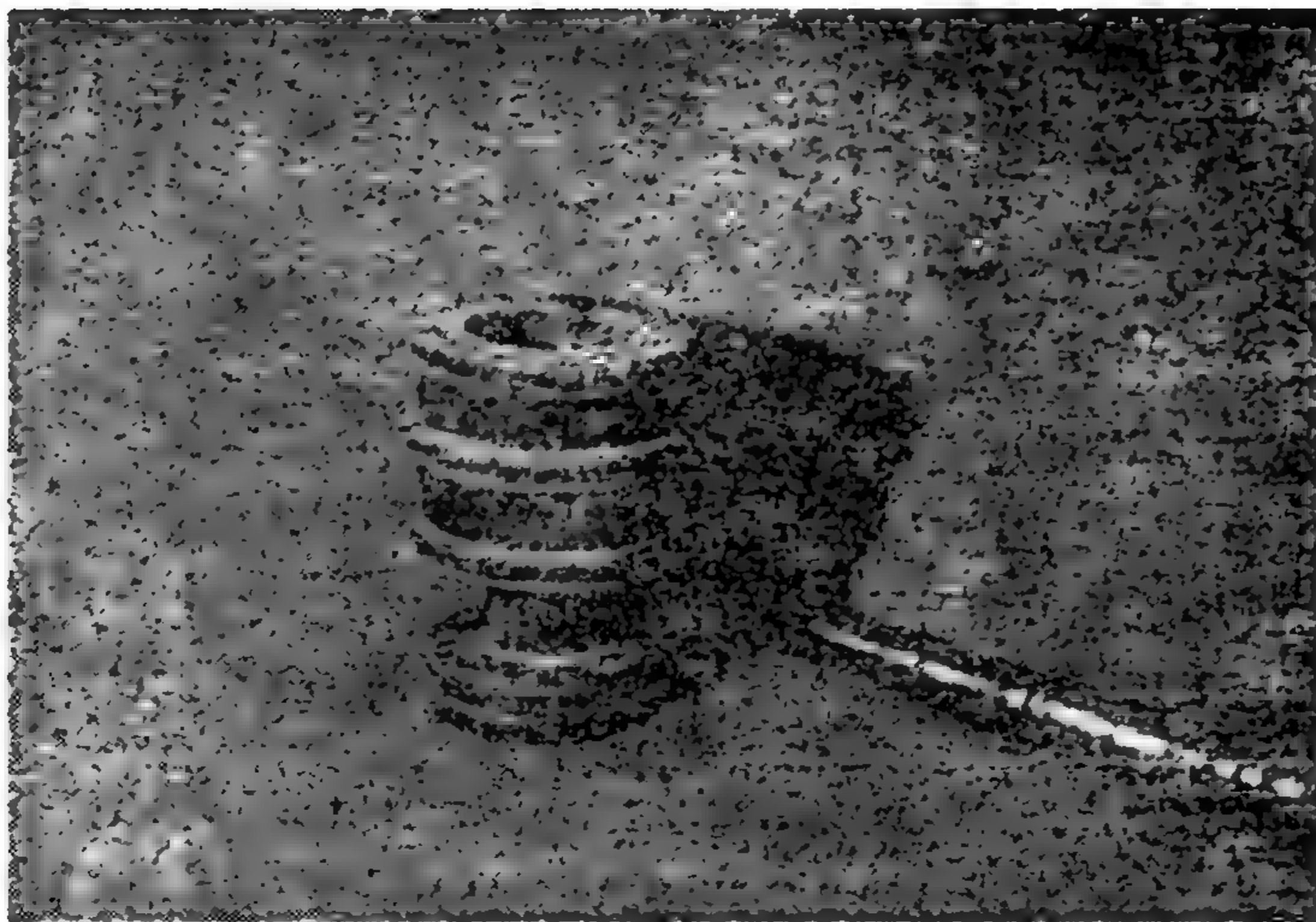
Dr. Soad Shaaban

LAND DER BEJA



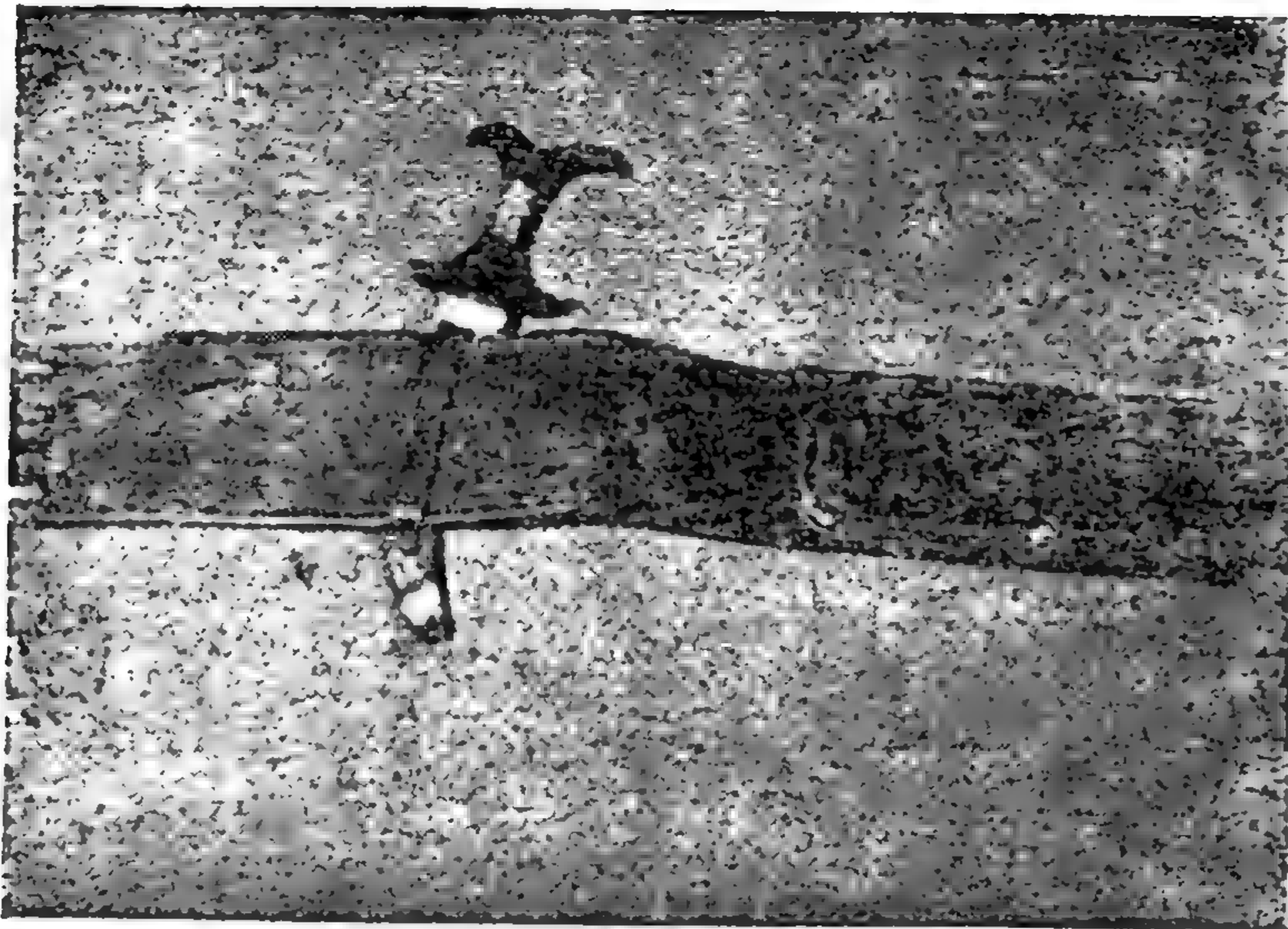


Kopfkissenüberzug.
Volkk. Sammlg. des s.f. Vk.
d.U. Bonn (Inv.-Nr. 2744).



(1) Morser zum Zermahlen von Kaffeebohnen. Einfuhrprodukt aus dem Sud-Sudan. Volkk. Sammlg. des s.f. Vlk. d.U. Bonn (Inv.-Nr. 2750).

(2) Eiserner Stampfer zum Zerstampfen von Kaffeebohnen. Volkk. Sammlg. des S. f. Vlk. d.U. Bonn (Inv.-Nr. 2751).



Ledergurt und Dolch des Hadandawa-Mannes. Volkk. Sammlg. des s.f. Vlk. d. U. Bonn (Inv.-Nr. 2757).

und setzen sich um die Schüssel herum. Sie singen Trauerlieder, während einer von ihnen dazu mit dem Holz auf der Kalbasse den Takt schlägt. In Trauerliedern sagt man von einem Mann, daß nun seines Hauses Reichtum, Macht und Freundschaft dahin sind, von einer Frau, daß sie ein geduldiger, glücklicher Mensch gewesen sei ⁽¹⁾. Nach sieben Tagen des Gedenkens werden die Trauertensilien weggeworfen.

Am Tage nach dem Tod wird übrigens ein Rind geschlachtet, am dritten, fünften oder siebenten Tag ein weiteres. Ein Teil des Fleisches wird als Almosen an arme Leute verteilt. Das übrige ißt die Trauerversammlung. Das Ende der Trauerzeit, ein Jahr nach dem Sterbefall, wird ebenfalls durch die Schlachtung eines Rindes gefeiert.

Ein Jahr lang müssen die nahen weiblichen Verwandten des Toten *Trauerkleidung* tragen, die wie die normale Tracht geschnitten ist, aber aus blauem Tuch oder, falls das nicht vorhanden sein sollte, aus dünnem weißem Stoff besteht.

Das islamische Gesetz fordert von einer *Witwe*, daß sie vier Monate und zehn Tage in Trauer in ihrem Hause verbringt. Während dieser Zeit darf sie keinen Mann sehen und keine Arbeit verrichten. Sie soll keinen Schmuck tragen und sich nicht einmal kämmen. Der Grund für die Abschließung ist, daß man sich überzeugen will, ob sie schwanger ist oder nicht. Erst vier Monate und 10 Tage nach dem Tode ihres Mannes darf eine Frau sich wieder verheiraten; gewöhnlich wartet sie jedoch wenigstens ein Jahr. Ein *Witwer* darf sofort eine neue Ehe eingehen; meist wartet er aber mindestens 40 Tage.

Ist jemand *ermordet* worden, so kann eine Trauerzeremonie erst dann stattfinden, wenn auch der Mörder getötet oder zumindest das Todesurteil ergangen ist.

Im allgemeinen kann eine Frau nur einmal in ihrem Leben einen Zar für sich veranstalten lassen. Sie darf aber an den Riten für andere Frauen teilnehmen. Für die Abhaltung einer solchen Zeremonie werden der Leiterin drei Pfund gezahlt; außerdem erhält sie ein Pfund für Weihrauch. Am letzten Tag eines Zar sammelt die Scheicha unter den Frauen, die teilgenommen haben, übrigens noch Geld, das sie unter ihre Helferinnen verteilt. An diesem Tag findet auch ein Essen statt, bei dem die geschlachteten Tiere genossen werden, dazu Reis, Kaffee und Tee.

Außer der Zar-Zeremonie dient eine große Zahl von *Amuletten* zur Abwehr von Krankheiten. Kindern gibt man bereits an ihren siebten Lebenstag ein Amulett. Männer tragen es am rechten Oberarm, Frauen an einer Kette um den Hals ⁽¹⁾.

Heute gibt es im Gebiet der Hadandawa in jedem Dorf ein kleines *Krankenhaus*, das aus drei «Abteilungen», d. h. je einem Zimmer mit acht Betten für Männer, Frauen und Kinder, besteht. In jedem Krankenhaus wirken ein Hilfsarzt, zwei oder drei Krankenschwestern und eine Hebamme. Jedes verfügt auch über einen Krankenwagen. In den drei Städten Port Sudan, Kassala und Aroma existieren größere Krankenhäuser. In allen Anstalten sind Untersuchungen, Injektionen und Medikamente kostenlos. Dringende und leichtere Fälle werden in den kleinen Krankenhäusern behandelt. Kranke, welche die Klinik nicht zu Fuß aufsuchen können, holt man mit dem Krankenwagen ab. Patienten mit schweren Erkrankungen finden in den größeren Häusern Aufnahme. Dort gibt es auch Operationssäle und die gesamte Ausstattung ist selbstverständlich besser ⁽²⁾.

5. Der Tod

Trauerzeremonien für einen hochstehenden und geachteten Mann dauern vierzehn Tage. Während dieser Zeit weinen die Frauen, und sie gehen in Gruppen umher, wobei sie Schwert und Kleider des Verstorbenen mit sich führen. Stirbt aber ein «einfacher» Mann, so wird — wenn er ein Nomade war — sein Zelt abgebrochen und ein neues für die Trauerveranstaltung errichtet. Die Frauen seiner Verwandtschaft bringen eine Waschschiüssel, die halb mit Wasser gefüllt ist, eine Kürbisschale und ein Stück Holz in das Zelt oder in das Sterbehaus.

(1) Persönliche Mitteilungen; vgl. dazu auch die verschiedenen Literaturangaben über Zar.

(2) Persönliche Mitteilungen.

Sie tragen Namen « *Zar-Braut* » (*Arusa*), weil sie als Braute jener Geister gelten, die von ihnen Besitz ergriffen haben. Zur ständigen Begleitung der *Scheicha* gehören außerdem Personen, welche die Musik zum Beschwörungstänze spielen ⁽¹⁾.

Die folgenden Auskünfte verdanke ich einer *Zar-Meisterin* sowie einigen Teilnehmerinnen an einer Zeremonie in Wagar. Dort hatte ich übrigens auch selbst Gelegenheit, an einer Beschwörung teilzunehmen. Wenn eine Frau schwer krank ist, geht sie zur « *Zar-Meisterin* », welche sie mit Weihrauch bespritzt und fragt, was sie sich wünsche. Nach einiger Zeit antwortet die Kranke, d. h. eigentlich sprechen die Geister, welche, die Krankheit verursacht haben, aus ihr. Deshalb klingt die Stimme der Besessenen auch ganz anders als gewöhnlich, ja manchmal redet sie sogar in einer fremden Sprache. In dem von mir beobachteten Falle verlangte die Kranke ein weißes makelloses Schaf, einen Soldatenhut, eine schwarze Brille, Hose und Hemd, Männerstrümpfe und Männerschuhe—alles für eine Frau ungewöhnliche Dinge. Sämtliche Frauen, die an der Zeremonie teilnahmen, mußten die erbetenen Kleidungsstücke beschaffen. Man kauft oder leiht solche Gegenstände in besonderen Geschäften,

Am Freitag begannen die eigentlichen Vorbereitungen für den *Zar*, der dann zwei Tage dauerte. Unter Trommelschlag wurde bekanntgegeben, daß am nächsten Tag eine Beschwörung stattfinden sollte. Die Hauptzeremonie nahm am Sonnabendfrüh mit der Schlachtung der Opfertiere ihren Anfang. Dabei standen alle am *Zar* beteiligten Frauen im Kreis herum. Sobald Blut floß, fing die *Scheicha* etwas davon in einem Teller auf, der zu ihren Ausrüstungsgegenständen gehört. Die Kranke mußte vom Blut eines jeden Tieres kosten. Nach der Schlachtung verließen alle Frauen den Kreis und sammelten sich zu Singen, Klatschen und Tanzen. Jede der Teilnehmerinnen hatte einen Stock in der Hand, und alle trugen die beim *Zar* üblichen Arm—und Fingerringe. Frauen, für die persönlich noch kein *Zar* veranstaltet wurde, haben übrigens nicht das Recht, aufrecht zu tanzen, sondern sie müssen sich kniend fortbewegen. Den Frauen, welche aufrecht tanzten, bestrich die Leiterin der Zeremonie die Stirn mit Blut. Auch Trommel und Taburine wurden mit Blut gezeichnet. Tanz und Gesang um die geschlachteten Tiere dauerten etwa zehn bis fünfzehn Minuten. Zwischen den einzelnen Beschwörungsliedern für einen bestimmten Geist wurde eine Schelle gelaute.

(1) Vgl. Kriss, 1962, S. 144

man «Uebernachtung des Zeichens».⁽¹⁾ Die Scheicha legt das Zeichen unter ihr Kopfkissen, und in jeder der drei Naechte beschwoert sie die Geister, ihr im Traum zu offenbaren, was der Grund der Krankheit sei, ob das Uebel von ihnen stamme und wie sie versoeht werden koennen, auf das die Kranke wieder gesund werde. Auf diese Weise erfahrt man die Namen der verantwortlichen Geister. Wenn das aber keinen Erfolg hat, muß man Beschwoerungs-lieder singen. Der Geist, der in der Besessenen haust, gibt sich naemlich zu erkennen, wenn er sein eigenes Lied hoert. Aus der Art der Bewegung der tanzenden Kranken schließt man, ob der besungene Zar tatsaechlich in ihr ist oder nicht. Manchmal bedarf es mehrerer Sitzungen, bis der Geist aus dem Munde der Besessenen spricht und seinen Namen nennt. Das kann oft lange dauern, weil der Patient stets von mehreren Geistern zugleich besessen ist und die Scheicha sie erst entmischen muss ⁽²⁾

(Der Forscher Rudolf Kriss selbst gab einmal vor, von Zar-Geistern besessen zu sein, und so wurde für ihn 1957 in Kairo eine zweitaegige Zar-Zeremonie veranstaltet) ⁽³⁾.

Richtige Melodie, richtiger Text, richtige Kleider, Weihrauchsorten und Opfertiere sind je nach Art der einzelnen Zar-Geister verschieden. Die hauptsaechlichsten Opfertiere sind uebrigens Huhn und Schaf. Eine Kranke, aus welcher der boese Geist ausgetrieben werden soll, muß vom warmen Blut des Schafes trinken. Auch wird sie damit bestrichen⁽⁴⁾. Da jeder Zar-Geist ganz bestimmte Foerderungen stellt, ist die Scheicha selbst mit moeglichst zahlreichen Amulettee behaengt, damit sich ja keiner der Geister benachteiligt fühlt. Die jeweilige «Zar-Braut» (s. unten) traegt nur die zu ihrem besonderen Geist gehoerigen Amulette.

Die *Scheicha* (es gibt uebrigens auch maennliche Zar-Meister) spielt gewissermaßen die Vermittlerrolle zwischen den Geistern und der besessenen Person. Ihr Amt ist erblich, und zwar gilt ihre Tochter als Nachfolgerin. Falls sie keine Tochter hat, kann die Nachfolge auch von einer ihrer Begleiterinnen uebernommen werden. Der Unterschied zwischen der Scheicha und den sie umgebenden Frauen besteht darin, daß sie mit allen Zar-Geistern umgehen kann, d.h. auch mit jenen, von denen sie selbst nicht besessen ist. Die Frauen ihrer Begleitung aber sind nur mit ganz bestimmten Zar-Geistern verbunden.

(1) Vgl. Littmann, 1950, S. 1.

(2) Vgl. Kriss, 1962, S. 198.

(3) Vgl. Kriss, 1962, S. 160-180 ; dazu auch Henninger, 1963, S. 924.

(4) Vgl. Henninger, 1955, S. 132.

Das *Wort* selbst ist offensichtlich nicht arabischen Ursprungs. Goeje meint dazu : «Zar ist kein arabisches Wort, bildet auch im Arabischen keine Ableitungen und seltsamerweise nicht einmal einen Plural.⁽¹⁾ Die meisten Gelehrten, vor allen Cerulli, ⁽²⁾ gehen daher vom abessinischen Sprachgebrauch aus und leiten es von der Bezeichnung für die hoechste Gottheit der «heidnischen» Kuschiten ab.⁽³⁾ Kriss schreibt hingegen : «Das Wort Zar wird von manchen Gelehrten von dem arabischen «zara (besuchen) oder ziyara (Besuch) abgeleitet..⁽⁴⁾

Mit «Zar» bezeichnet man sowohl die *Geister* selbst in ihrer Gesamtheit als auch die Veranstaltung, welche ihrer Vertreibung dient. Littmann unterscheidet vier Gruppen Zar-Wesen :

1. Geister mit Personennahmen, unter denen gibt es einen Koenig, der wiederum einen Sultan und einen Wesir hat. Der Koenig selbst wird auch «es--Sidel-Kabir», «der große Meister», genannt.

2. Naturgeister wie «Samawiya», «die Himmliche»,—«Ardiya», «die Irdische», u.a.m.

3. Landschaftsgeister, die in bestimmten Gegenden oder an gewissen Orten zu Hause sind, wie «Masri», «der Agypter», «Sudani», «derSudanese», Habaschi», der «Abessinier» u.a.m.

4. Geister aus der Gattung der «Dschinn». Unter den Dschinn gibt es sieben Fürsten, die nach ihrer Farbe unterschieden werden : einen gelben, weißen, roten, blauen aschfarbenen und schwarzen. ⁽⁵⁾

Zar-Geister sind entweder maennlich oder weiblich. Wenn ein Mann von einem weiblichen Daemon besessen ist, so zieht er Frauenkleider an und gibt sich als Frau aus. Wenn umgekehrt eine Frau einen maennlichen Daemon in sich hat, so legt sie Maennerkleidung an und gilt als Mann, bis der Geist aus ihr ausfaehrt⁽⁶⁾.

Um Namen und Herkunft eines Geistes zu erfahren, schickt eine kranke Frau ihr Kopf-oder Handtuch zur «Scheicha», der Leiterin der *Zar Zeremonie*. Dies sogenannte «Zeichen» bleibt drei Naechte bei der Meisterin. Das nennt

(1) Goeje, 1890, S. 480.

(2) Vgl. Cerulli, 1934, S. 1317.

(3) Vgl. dazu auch Kriss, 1962, S. 180 ; Goeje, 1890, S. 480 und Klunzinger, 1878, S. 388.

(4) Vgl. Kriss, 1962, S. 180.

(5) Vgl. Littmann, 1950, S. 52-58.

(6) Vgl. Littmann, 1950, S. 58.

Von sieben Uhr morgens bis zwei Uhr nachmittags steht das Gesundheitszentrum der Bevoelkerung offen. Hauptaufgabe der Fuersorgerin und ihrer Hebammen ist es aber, alle Schwangeren und alle Mutter mit Sauglingen regelmaessig zu besuchen und ihnen Hilfe zu leisten, sobald Schwierigkeiten auftauchen. Frauen werden waehrend ihrer Schwangerschaft immer wieder unter der Aufsicht der Fuersorgerin von Hebammen untersucht. Steht eine Geburt unmittelbar bevor, so kontrolliert die Fuersorgerin auch den Geburtshelferkoffer der zustandigen Hebamme auf Sauberkeit und Vollstaendigkeit des Inhalts. Dazu gehoeren neben einer weissen Uniform ein Koffer, in welchem alle Utensilien fuer die Geburtshilfe untergebracht sind (Geburtszange, sterilisierte Verbandgaze und Watte, desinfizierende Fluessigkeit fuer Waschungen, Glyzerin zum Einreiben der Brustwarzen, unvergallter Alkohol, Salz, Tabletten gegen Blutungen und gegen Durchfall, eine Klistierspritze, Pinzette, Schere, Löffelchen zum Einnehmen der Tabletten, Seife, eine Bürste und eine Kanne, in der heisses Wasser gekocht werden kann). Eine Hebamme bezieht vom Gash-Amt ein Monatsgehalt von vier fund (etwa 40 DM).

Kinder werden bis zu ihrem fünften Lebensjahr vom Gesundheitszentrum betreut, um eine ausgewogene Ernährung sicherzustellen. (Mütter stillen zwei Jahre lang, es sei denn, daß sie bis dahin erneut schwanger geworden sind.) So steht jedem Kind unter fünf Jahren einmal in der Woche ein Frühstück zu, das ihm im Gesundheitszentrum verabreicht wird. Es bekommt meist montags entweder Linsen oder gekochten Reis mit Milch. Darüber hinaus erhält jedes Kind Medikamente und 37 g Milchpulver pro Woche. Einmal in der Woche muß übrigens jedes Kind auch gewogen werden.

4. Krankheiten und Gesundheitspflege

Nahezu jeder Hadandawa leidet an *Anämie*. Sehr häufig, gerade im Süden des Landes, kommt auch eine *Entzündung der Ohrspeicheldrüse* vor. Besonders Kinder werden von dieser Krankheit befallen. Oft leiden die Hadandawa an *Keuchhusten*, einer Art *Durchfall* (vor allem Kinder), *Malaria Dysenterie*, *Bandwürmern* und *Eskares*.

Nur im äußersten Notfall suchen die Hadandawa ein Krankenhaus auf. Statt dessen veranstalten sie meist einen «Zar». Solche magischen Zeremonien werden aber fast nur bei Krankheiten einer Frau abgehalten. Die Riten dienen der Vertreibung und Besänftigung von bösen Geistern, und in ihrem Mittelpunkt stehen Opfer und ekstatische Tänze. ⁽¹⁾

(1) Vgl. Kriss, 1962, S. 140. Die folgenden Angaben über «Zar» beziehen sich, falls nicht ausdrücklich auf eigene Beobachtungen hingewiesen wird, auf Feststellungen in Ägypten.

Etwas anders verlaufen Heirat und erste Ehezeit bei den Halenga Gebiet von Kassala. Drei Monate nach der Verlobung gibt der Braeutigam seiner Braut 20 Pfund. Er baut auch ein Zelt, das er mit zwei Sorten unterschiedlich gefärbter Matten abdeckt, und zwar mit weissen und roten. Die weissen Matten sind aus Mitteln des Braeutigams bezahlt, die roten stammen von der Brautmutter. Nach der Hochzeitzeremonie bleibt die Braut noch zwei Tage bei ihrer Mutter. Am dritten Tage wird sie von den jungen Mädchen ihrer Verwandtschaft zum Haus des Brautigams gebracht. Nachdem man ein Schaf fuer die Braut geschlachtet hat, verlassen die Mädchen die junge Frau. Nach Ablauf von weiteren vierzig Tagen schenkt der Ehemann seiner Frau neue Kleider und bringt sie wieder zu ihren Eltern zurueck. Dort bleibt sie drei Monate lang und verfertigt waehrend dieser Zeit Matten fuer das kleine Bett («Angarib»). Ist eine Frau im siebten Monat schwanger, so geht sie zu ihrer Mutter und bleibt dort, bis ihr Kind drei Monate alt wird. Bei den Halenga traegt die Frau uebrigens sofort nach der Hochzeit einen Ring in einer Haarlocke. Die anderen Hadandawa-Frauen legen diesen Ring erst nach der Geburt des ersten Kindes an.

Der Gesundheitszustand der Hadandawa-Frauen waehrend der *Schwangerschaft* ist im allgemeinen sehr schlecht. Sie leiden meist unter Blutarmut. Einer Ueberlieferung nach hat naemlich einmal im Altertum eine Frau waehrend der Schwangerschaft zu viel gegessen. Daraufhin wuerde ihr Kind im Mutterlei sehr gross und schwer, und die Geburt war eine Qual. Daher essen Frauen, wenn sie schwanger sind, heute moeglichst wenig.⁽¹⁾

Wie oben bereits ausgefuehrt wurde, gibt es im Suedteil des Hadandawa-Landes heutzutage eine Institution fuer die *Gesundheitsfuersorge von Schwangeren und Kindern*. Das Zentrum wurde 1960 in Aroma, dem Hauptort der Hadandawa, eroeffnet. In diesem Haus bildet man u. a. Hebammen aus, und zwar sowohl theoretisch als auch praktisch. Mit der Erteilung der Unterrichts ist eine Gesundheitsfuersorgerin betraut. Die Fuersorgerin selbst hat nach der Volksschule eine dreijaehrige Ausbildung als Krankenschwester absolviert. Jetzt hat sie die Aufgabe, zweimal im Monat in jedem der ihr anvertrauten Doerfer, in Mekali, Tendelai, Wagar, Metateib, Dugein und Goz-Regab Sprechstunde zu halten. Einmal in der Woche erteilt sie den Hebammen Unterricht. Außer den Hebammen unterstehen ihr auch eine Sekretaerin, eine Reinemachfrau und ein Hausmeister.

(1) Personliche Mitteilungen alter Frauen.

Hochzeiten von jungen Maennern aus berühmten Familien oder von Hauptlingen dauern meist nur drei Tage. Aus diesem Anlaß erscheinen Abordnungen aller Staemme der Bedscha. Jede dieser Gruppen wird von einem Mann angeführt, dessen Schild anzeigt, um welchen Stamm es sich handelt. Alle Abordnungen führen dann ihre eigenen Taenze und Gesaenge zu Ehren des Brautpaares auf. Dabei tanzen Frauen und Maenner getrennt voneinander. Der Familie des Brautigams obliegt es, alle Kosten fuer Unterkunft und Verpflegung ihrer Gaeste zu tragen.⁽¹⁾

Als *Brautpreis*, hier eher als eine «Brautgabe», muß der Brautigam seiner Braut (!) 360 Piaster (etwa 36 DM) zahlen. Diese Summe ist in der Sunna festgesetzt. Aber darueber hinaus darf er seiner Braut noch soviel Geld geben, wie er mag. Im allgemeinen ist der Braeutigam verpflichtet, seiner Braut einen gewissen Teil der Summe in Gold auszuhaendigen. Dieser Betrag ist aber nicht schon vollstaendig anlaeblich der Hochzeit selbst faellig. Die Auszahlung kann in Raten ueber einen gewissen Zeitraum verteilt werden. Jeder Stamm hat seine, eigenen Gewohnheiten bezueglich der Hoehe des eigentlichen Brautpreises. Es sind zwei, vier oder sechs Rinder an die Eltern (!) der Braut zu entrichten. Will ein junger Mann ein «fremdes» Maedchen (keine Base) heiraten, so kann er bei der Aufbringung des Brautpreises keine Unterstuetzung von seiten seines Vaters erwarten. Heiratet er aber seine Base, dann wird der Vater den Brautpreis zahlen-es sei denn, der junge Mann verfuegt ueber eigenes Vermoegen.

Die *Zahl der Verheirateten* bei den Hadandawa liegt unter dem Landes- und Provinzdurchschnitt. Nur 62,8% der Maenner ⁽²⁾ und 83,7% der Frauen waren bei den Hadandawa im Jahre 1955/56 verheiratet. Von den zur Zeit der Volkszaehlung verheirateten Maennern lebten 90,6% in Einehe, 7,9% mit zwei, 1,1% mit drei und 0,5% mit vier Frauen. ⁽³⁾

Nach der Hochzeit weilt die junge Ehefrau den Tag ueber bei ihrer Mutter und kehrt erst spaet in der Nacht in ihr eigenes Haus zurueck. Das tut sie bis zur Geburt ihres ersten Kindes. Bei den Amarar-besonders bei denen die zur Merfuwab-Abteilung bei Port Sudan gehoeren-, dauert diese Periode sogar so lange, bis das erste Kind etwa drei Jahre alt ist. Dank dieser Regelung haben die Eltern der jungen Frau Gelegenheit, ihr bei der Erziehung des Kindes zu helfen.

(1) Personliche Mitteilungen.

(2) Maenner und Frauen, ueber Pubertaetsalter.

(3) Vgl. Herzog, 1959, S. 185. f.

Wenn alle Vorbereitungen beendet sind, beginnt die *Hochzeitsfeier*. Die eigentliche Eheschließung findet meist an einem Donnerstagabend statt. Am Tage vor der Hochzeit haben sich die Frauen versammelt und sind mit Palmzweigen gemeinsam zur Moschee oder zu einem heiligen Grab (das als « baraka », d. h. segenbringend, betrachtet wird) gepilgert. Nachdem sie siebenmal um die Moschee oder um das Grab herumgegangen waren, kehrten sie zum Hochzeitshaus zurück. Die Palmzweige, « Sunkab » genannt, wurden durch diese Zeremonie geweiht. Man hat einige am Haus des Brautigams « Beit el-'Irs », andere an der Wohnung seiner Mutter aufgehängt; denn sie bringen Glück: Sie verheißen Söhne und viele weibliche Kamele. — Die Nacht vor der Hochzeit ist die « Hennanacht »: Braut und Brautigam bemalen sich die Hände und Füße mit Henna—. Die Hochzeit selbst beginnt mit der Schlachtung der Tiere, die während des sieben Tage dauernden Festes verspeist werden. An den Festtagen sitzt die Braut mit ihren jungen weiblichen Verwandten auf dem großen Bett im Elternhaus hinter der Schamla, die als Vorhang dient. Vor dem Haus haben sich die übrigen Frauen nieder-gelassen. Einige singen und tanzen. Die Mutter des Brautigams nimmt auf dem Erdboden Platz. In der Hand hält sie ein Büschel Palm- oder Dornzweige; einen ebensolchen Zweig trägt sie im Mund.

Während der Hochzeitsfeierlichkeiten werden *Lieder* gesungen, und es wird getanzt. Sehr beliebt ist ein Gesang, in dem folgende Geschichte erzählt wird: « Eine Jungfrau träumte sich ihren Liebsten in Gestalt einer Puppe. Sie spricht zu dieser Puppe, als sei sie ihr leibhafter Geliebter: « Du bist aus einer vornehmen und geachteten Familie, und Du sollst die guten Sitten, den Mut, die Güte, die Tugend und die Mannhaftigkeit Deiner Familie bewahren ». Wenn Nawwal (der Name des Geliebten) aber böse wird, dann besänftigt die junge Frau ihn indem sie ihm eine Sklavin oder einen Sklaven gibt; denn er ist so hoch gestellt, daß er sich nicht mit weniger begnügt. Darauf sprechen ihre Freundinnen: « Schlägt dieses Mädchen; denn sie lobpreist eine Puppe und sagt so etwas von ihr ». Sie aber antwortet: « Nawwals Mütter sind so geachtet, sie tadeln niemanden; sie sind so standhaft, daß sie auch auf der Reise kein Wasser trinken. » Weiter singt sie: « Deine Schwester, Nawwal, ist die Schönste auf der Welt. Deshalb ist es auch kein Wunder, daß Du so schön bist. Du bist es, der sich mit Murtad Pascha, dem Herrscher über Suakin, unterhält. Du bist es auch, der nach Kassala geht, um Probleme zu lösen ». Dieses Lied ist seit türkischer Zeit in Suakin beliebt. — In einem anderen Gesang heißt es: « Hoffentlich wird diese Hochzeit gesegnet und stark wie eine Schnur ». Dem Brautigam wird gewünscht, daß er ein tüchtiger Reiter, ein kräftiger Schwertträger, ein mutiger und guter Mann werden möge.

Maedchen werden etwa im sechsten Lebensjahr beschnitten, und zwar an ihren Schamlippen. Man laeßt die Wunde zusammenwachsen und oeffnet die Vagina erst wieder bei der Verheiratung⁽¹⁾. Bei der Beschneidung der *Maedchen* geht es aber nicht so feierlich wie bei der der Knaben zu. Sie erhalten allerdings auch neue Kleider. Die naecheren Verwandten sind eingeladen, und Datteln, Nüsse und Süßigkeiten sowie Kaffee werden herumgereicht.

3. Verlobung, Heirat, Ehe und Schwangerschaft

Wenn ein junger Mann heiraten will, so wendet er sich zunaechst an seinen Vater, Der spricht dann mit dem Vater des *Maedchens*. Sind beide Vaeter einverstanden, so benachrichtigt der Vater des jungen Mannes seine Ehefrau von der bevorstehenden Heirat. Grundsatzlich bevorzugt sind Eheschließungen unter Vettern und Basen vaeterlicherseits. Ein Vater wird seine Tochter erst dann einem fremden Mann versprechen, wenn er dazu von allen heiratsfähigen Verwandten die Erlaubnis eingeholt hat.

Nach der ersten *Unterredung der Vaeter* besucht die Familie des jungen Mannes die Eltern des *Maedchens*. Dieser Besuch heit «Oeffnung des Mundes» «*Fath el-Khashm*». Die Mutter des Jungen bringt der Mutter des *Maedchens* Geschenke mit wie Tuecher (Kleidungsstücke) und Süßigkeiten, getrocknete Datteln, Erdnüsse und dazu acht Pfund (etwa 80 DM) an Bargeld. Die *Zustimmung der Brautmutter* zur Eheschließung ist sehr wichtig, sie zur Durchführung der Hochzeit für notwendig haelt.

Sobald die Brautmutter im Besitz der erforderlichen Dinge ist, beginnen die weiblichen Verwandten mit der *Errichtung des «Hochzeitshauses»*. Es wird von den Frauen am Rand des Dorfes gebaut. Das Gerüst für das Zeltdach wird errichtet, das Bett «*Inbagi*» aufgestellt, Matten werden geflochten, die «*Schamla*» (Woldecke) gewebt und der Schmuck für das Innere des Zelttes angefertigt. Waehrend der Bauzeit treffen sich die Frauen morgens früh an der Baustelle und bleiben bis abends dort. Einer alten Sitte entsprechend haelt man einen Teller mit Datteln bereit, in dem ein Gold-oder Silberring liegt. Naehert sich ein Mann dem Platz, so wird ihm durch ein *Maedchen* oder einen Jungen von den Datteln angeboten. Der Beschenkte hat dafür eine Gegengabe, und zwar Geld, in den Teller zu legen. Auf diese Weise sammeln die Frauen etwas Geld für ihre eigenen Bedürfnisse. Selbstverstaendlich meiden Maenner moeglichst die Stelle, an der ein Hochzeitshaus gebaut wird.

(1) Persoenliche Mitteilungen.

vor dem Haus der Woechnerin ein Feuer unterhalten. Erst nach Verstreichen der Meidungsfrist kaemmt sich die Mutter ihr Haar und reibt sich Haende und Füße mit Henna ein.

Die *Geburtenrate* bei den Hadandawa liegt zwischen ein und vier lebenden Kindern pro Familie⁽¹⁾.

2. Kindheit und Jugend

Jungen und Maedchen unterstehen der *Aufsicht der Mutter*, bis sie etwa sieben Jahre alt sind. Maedchen werden mit zunehmendem Alter von der Mutter in die Hausarbeiten eingeführt. Die Jungen haben jedoch viel Freiheit.

Schulpflicht besteht für beide Geschlechter vom sechsten Lebens-jahr ab. Trotzdem weigern sich viele Kinder, besonders Maedchen, zur Schule zu gehen. Die sudanesishe Regierung kann, vor allem bei den Nomaden, nichts Durchgreifendes dagegen unternehmen. Sie errichtet aber in jeder Siedlung zwei Volksschulen, eine für Jungen und eine für Maedchen, mit der erforderlichen Zahl von Lehrkraeften und mit den notwendigen Lehrmitteln.

Bei den Hadandawa werden Jungen und Maedchen *beschnitten*, und zwar die *Knaben* in den nordlichen Siedlungen meist am siebten Tage nach ihrer Geburt. Die südlichen Hadandawa beschneiden ihre Knaben erst im sechsten oder siebten Lebensjahr. Aus diesem Anlaß wird ein großes Fest gefeiert, zu dem alle Verwandten eingeladen sind. Das Fest dauert sieben Tage und beginnt mit der Schlachtung eines Rindes. Der Volksüberlieferung nach mußte früher ein Knabe am Tage vor der Beschneidung, mit allen seinen neuen Sachen angetan, auf einem reichgeschmückten Esel oder—wenn er aus edler Familie stammte—auf einem Pferd um das Dorf herumreiten. Heute ist dieser Ritt nicht mehr üblich⁽²⁾.

Nachdem der Junge beschnitten ist, gilt er im Süden des Landes nicht mehr als Kind, sondern als Jüngling. Er bekommt neue Kleider und geht von der Aufsicht der Mutter in die seines Vaters über. Im Norden geschieht das vom siebten Lebensjahr ab. Nun geht der junge Mann mit den übrigen Maennern taeglich auf die Weide, darf ein Schwert tragen und ißt zusammen mit dem Vater und seinen Verwandten und Bekannten.

(1) Vgl. Herzog, 1959, S. 173-204.

(2) Personliche Mitteilungen einiger alter Frauen.

vom Gesundheitsministerium weder ausgebildet noch ueberwacht. Im Sueden dagegen existiertieren eigenes Haus, das fur die Gesundheitsfuersorge von Kindern durch das Gesundheits-ministerium und das Gash-Amt unterhalten wird).

Die *Nachgeburt* legt man in einen bereitgestellten Korb, der zugenaecht und von einer aelteren Verwandten der Mutter auf dem Kopf bis hinaus vors Dorf getragen wird. Dabei begleiten die Tragerin die ubrigen Frauen und Maedchen, von denen eine ein Gefaess mit Racueherwerk (Weihrauch, Sandelholz und anderes wohlriechendes Holz) mit sich fuehrt. Vor der Siedlung klettert ein Maedchen auf einen hohen gruenen Baum, in welchen es den Korb mit der Nach-geburt haengt. Auf dem Rueckweg zum Zelt, in dem sich das Neugeborene befindet, sammeln die Frauen Brennholz.

Die *Geburtszeremonien* sind verschieden, je nach dem ob ein Knabe oder ein Maedchen zur Welt kam. Für einen Knaben beginnt ein sieben Tage dauerndes Geburtsfest mit siebnnfachen Freudentrillern der verwandten Frauen. Das eigentliche Geburtsfest nimmt mit der Schlachtung eines Schafes am Tage der Geburt seinen Anfang. Schon vor der Geburt hat der Vater einen Sack Mehl, einen Sack Getreide, Oel, Butter, getrocknete und gepreßte Datteln, Zucker und Kaffee gekauft, womit er die Verwandten und Freunde waehrend der sieben Festtage bewirtet. Man singt Lieder zu Ehren der Mutter und des neugeborenen Knaben. Eines davon lautet : « Es gibt eine gute Nachricht von Dir : Du hast einen Jungcn geboren. Auch der Vater ist stolz. Gott sei gepriesen : Der Junge wurde unversehrt geboren. Nun hoffen wir, daß Du nicht krank wirst nach der Geburt » ⁽¹⁾. Nach Ablauf von sieben Tagen wird dem Kind, waehrend ein weiteres Schaf geschlachtet wird, s in Name gegeben. Ist das Neugeborene aber ein Maedchen, so wird kein siebentaegiges Fest veranstaltet. Es gibt auch keine Freudenaeußerungen. Der Vater gibt lediglich von eingekauften Nahrungsmitteln für die naeheren maennlichen Verwandten ein Essen.

Der Vater darf sein Kind und seine Frauerst sehen, wenn vierzig Tage (im Sueden des Landes fünf Monate) nach der Geburt vergangen sind. Waehrend der *Meidungsfrist* darf die Frau ihr Zelt nicht verlassen und auch niemandem aus ihrer Nachbarschaft zu Gesicht kommen. Neben dem Bett der Woechnerin befindet sich daher eine Schelle, die jeden Abend und jeden Morgen von ihrer Mutter oder Schwester gelautet wird, dann naemlich, wenn die Maenner mit dem Vieh, das sie waehrend des Tages bewachen, das Dorf verlassen bzw. ins Dorf zurueckkehren. Neben der Glocke haengen uebrigens die Fußknochen des Schafes, das am Tage der Geburt geschlachtet wurde. Waehrend der ganzen Nacht wird

(1) Personliche Mitteilungen.

Drittens die Beforderungsschwierigkeiten : Ich mußte die verschiedensten Transportmittel benutzen, z.B. die Eisenbahn für Strecken, die länger als eine halbe Tagesreise waren. Die Wohnplätze in der Nähe der Städte konnte ich im Taxi erreichen. Häufig durfte ich Regierungsautos oder Polizeiwagen benutzen. Dies war besonders günstig bei schlechten Wegstrecken, die allein mit solchen Fahrzeugen zu bewältigen waren.

Viertens das Herstellen von Kontakten zu den Einheimischen: Ich war auf die Hilfe von Stammesangehörigen angewiesen, die mich einführten und begleiteten. Ohne ihre Hilfe hätte ich keinen Kontakt zu Eingeborenen gewinnen können. Auch kontrollierte ich die gesammelten Nachrichten gemeinsam mit diesen meinen Begleitern. Im Norden des Hadandawagebietes waren meine Begleiter ausschließlich Männer, die bei den sudanesischen Verwaltungsbehörden arbeiteten im Süden auch Frauen. Die Frauen mußten zuerst mit den Omdas und Scheichs bzw. mit den Familienoberhäuptern sprechen. Erst dann bekam ich die Erlaubnis, in die Häuser einzutreten und mich mit den Hadandawa-Frauen zu unterhalten. Nach dieser umständlichen Einführung wurde es dann gewöhnlich bald leichter, Vertrauen zu gewinnen. Dieser Prozeß wiederholte sich in jedem Dorf und in jeder Region. Ich benötigte immer mindestens drei Tage, bis ich diese Einführungsschwierigkeiten überwunden und Vertrauen gewonnen hatte. Eine große Erleichterung war mir die Hilfe der Lehrerinnen, weil sie die meisten Familien sehr gut kennen, oft zu den Müttern gehen, um sie zu beraten und sie über die Vorteile einer Schulerziehung aufzuklären. Im Südteil der Provinz waren meine Begleiterinnen auch Gesundheitsfürsorgerinnen und Hebammen.

Fünftens die photographischen Aufnahmen : In den ersten zwei Monaten im Norden des Landes konnte ich keine Photographien von Personen aufnehmen. Der Grund dafür war, daß die Hadandawa sich fürchten, die Photos könnten in der Zeitung veröffentlicht werden. Erst nachdem ich versicherte, daß mein Vorhaben gar nichts mit «Zeitung» zu tun habe, gelang es mir nach und nach, die Erlaubnis zum Photographieren zu erwirken.

Meine Fragen beantworteten mir die Eingeborenen sowie Begleiter und Amtspersonen gerne, so daß ich Forschung mit reichhaltigem Material an mündlichen und schriftlichen Informationen, aber auch an Bildern und Tonbandaufnahmen beenden konnte.

DIE EINZELNEN ABSCHNITTE IM LEBEN DER HADANDAWA

1. Die Geburt

Bei der *Niederkunft* halten sich weibliche Verwandte in der Nähe der Gebärenden auf. *Geburtshilfe* leistet eine Hebamme. (Im Gebiet der Hadandawa gibt es zwei Arten von Hebammen. Diejenigen im Bergland des Nordens werden

Male. Wenn sich dort naemlich in meiner Abwesenheit etwas Wichtiges ereignete, gaben mir die Omdas und Scheichs sofort davon Nachricht, so daß ich immer rasch erscheinen koennte. Ich hatte einen Hauptwonsitz. Von dort aus fuhr ich dann zu den verschiedenen Orten.

Waehrend meines Aufenthaltes bei den Hadandawa nahm ich Material, wie schon erwaaht, durch Interviews und Beobachtungen auf-im direkten Kontakt mit den Eingeborenen. Ich mußte mich allerdings damit begnügen, in jedem Ort etwa 5 bis 10 Familien bzw. Haeuser zu untersuchen. Die Zahl war abhaengig von der jeweiligen Aufenthaltsdauer.

Mein Ziel war es stets, zuerst einen allgemeinen Ueberblick über den Lagerplatz zu bekommen. Dabei gelang es mir meist schon, mit einigen der Bewohner bekannt zu werden. Dann untersuchte ich das taegliche Leben im Detail: Familienleben, Handwerke, Religion, Zeremonien usw. Dafür war ein Kontakt mit beiden Geschlechtern notwendig. Die Informationen, die ich erhielt, und die Ereignisse, welche ich beobachtete, schrieb ich sofort nach Verlassen der Haeuser auf, und zwar soweit das moeglich war, mit Namen der Informanten. Ich hatte keine spezielle Informantengruppe. Was den Haushalt und «Frauenangelegenheiten» betraf, waren es die Frauen, die mir Mitteilungen machten. Genealogische und geschichtliche Angaben suchte ich von alten Maennern, den Omdas und Scheichs, vor allem vom Haeuptling des Stammes (Nazir) selbst und vom Unterhaeuptling zu erhalten. Spezialfragen z.B. über Schulerziehung, Gesundheitspflege, Handwerke, Gerichtspraxis usw., beantworteten mir die Personen, die mit den betreffenden Angelegenheiten beruflich beschaefligt waren.

Einige Gegenstaende des taeglichen Gebrauchs habe ich mitgebracht. Sie werden jetzt in der Lehrsammlung des Seminar fuer Voelkerkunde in Bonn verwahrt

Bei meiner Feldforschung waren etliche Schwierigkeiten zu überwinden :

Erstens das Wohnungsproblem : Es war unmoeglich, die Erlaubnis zu erhalten, innerhalb eines Lagerplatzes zu wohnen und allein in einem Zelt zu übernachten. Deshalb hat mir das Erziehungsministerium die Erlaubnis erteilt, in Schulen zu wohnen.

Zweitens die Kleidung : Es war außerordentlich schwierig, europaeisch gekleidet unter den Eingeborenen zu arbeiten. Die Bedscha sind naemlich gegenüber europaeisch gekleideten Menschen mißtrauisch. Ich mußte daher die Kleidung der Hadandawa-Frau anlegen.

Die Bedscha sind aber auch interessant, weil sie vielleicht die einzige Gruppe im Sudan bilden, die bei allem Wandel einen großen Teil ihrer alten Braeuche auch Züge des Nomadentums, beibehalten hat. Inwieweit haben nun die Bedscha, speziell die Hadandawa, ihre Lebensweise (vor allem im «materiellen» und im gesellschaftlichen Bereich veraendert, und inwieweit sind sie durch die arabische Kultur beeinflusst ? Die vorliegende Arbeit soll versuchen, diese Fragen zu beantworten.

Dabei kann die Verfasserin sich auf ihre eigenen Beobachtungen, auf die von den Hadandawa mitgeteilten Ueberlieferungen und auf die Literatur beziehen. Wichtig sind vor allem die Interviews, auf die sich die Verfasserin weitgehend stützt.

Vor meiner Reise in den Sudan habe ich die bis dahin vorhandene Literatur über die Bedscha durchgearbeitet. In Khartum, der Hauptstadt der Republik Sudan, besorgte ich mir Literatur in der Universitätsbibliothek, was dort fehlte; im Archiv der anthropologischen Abteilung des Innenministeriums. Landkarten der verschiedenen Untersuchungsgebiete konnte ich ebenfalls nur vom Katasteramt in Khartum bekommen. Diesen Vorbereitungen in der Hauptstadt diente ein Aufenthalt, der einen Monat lang dauerte. Vor meiner Abreise ins Gebiet der Hadandawa hatten die Regierungaemter und der Haeuptling, der waehrend meines Aufenthaltes auch in Khartum war, den Personen, die mich in den Staedten und Doerfern des Hadandawa-Gebietes begleiten sollten und mir helfen konnten, von meiner baldigen Ankunft und meinem Vorhaben Mitteilung gemacht. Fuer die Arbeit im Feld nahm ich Tonband und Kamera mit.

Ich verließ Khartum in Richtung auf Port Sudan, eine Stadt im Norden des Hadandawa-Landes. Dort verbrachte ich die Zeit vom 15. November 1965 bis zum 15. Februar 1966 und besuchte die Wohnquartiere der Hadandawa bei der Stadt (Deim el-Arab, Omna, Belinai und Deim Golod, dazu einige kleine Siedlungen, in denen ich nur je einen Tag zubrachte). Ich besuchte die Staedte Sinkat, Erkowit und Gebeit. In den Ruinen der früheren Hafenstadt Suakin verbrachte ich nur einen Tag. Dann reiste ich weiter in den Südteil des Landes. Dort blieb ich vom 15. Februar bis zum 1. Mai 1966 und besuchte alle Doerfer der Umgebung von Aroma (Hauptstadt der Hadandawa) und Kassala (Hauptstadt der Provinz Kassala und Sitz der Zentralregierung), und zwar : Metateib, Mekall, Wagar, Tendelai und Tementai, dazu einige der Doerfer, die im Hamaschkureib-Gebirge (etwa 100 km nordöstlich von Kassala) liegen, um regionale Unterschiede hinsichtlich der Siedlungsformen und der Lebensverhältnisse festzustellen. Welche Zeit ich in jedem Ort verbrachte, kann ich nicht genau sagen ; denn meine Besuchszeiten wurden haeufig unterbrochen. Manchmal besuchte ich ein Dorf mehrere

BEDSHA — HADANDOWA

Eine wissenschaftliche Forschungsreise in das Gebiet der Bedscha.

الهندوة — بجا

قبائل البجا تضم خمسة قبائل تعيش بشرق السودان ، يشمل هذا البحث دراسة للحياة الاجتماعية والحضارية لواحدة منها هي قبيلة الهندوة . ويوضح البحث مدى تأثير الحضارة العربية والإسلامية على حياة الأسرة بتلك القبيلة ، من خلال اجتماعيات : الولادة — الطفولة والشباب — الخطوبة والقران والزواج والحمل — الأمراض والعناية الصحية — الوفاة ، ويحتوى البحث على بعض الصور التي تمثل بعض الأدوات والآلات التي يستعملها الهندوة الى جانب قائمة بالمراجع

Meine Forschungsregion ist das im Nordosten der Republik Sudan gelegene Stammesgebiet der Bedscha. Es umfaßt 32 280 km² und bildet seit Jahrtausenden Wohn- und Weidegebiet der Bedscha. Der Anbau beschränkt sich auf Dukhn-Hirse (*andropogon sorghum*), woraus die Einheimischen ihr Brot backen. Ursprünglich kannten die Bedscha keinen Anbau, sondern waren Nomaden, die mit ihren Kamel- und Schafherden von einem Weideplatz zum anderen zogen.

Bis in die neueste Zeit hinein lagen nur dürftige Berichte über diese Gruppe vor. Was sich bei mittelalterlichen Autoren findet, stützt sich meist auf flüchtige Beobachtungen von Reisenden. Für das 16. Jahrhundert ist David Reubeni, für das 19. Jahrhundert der Schweizer J.L. Burckhardt zu erwähnen. Um die lückenhaften Quellen zu ergänzen, war es notwendig, die Bedscha an Ort und Stelle zu untersuchen, eine Zeitlang mit ihnen zu leben und die Ueberlieferungen aufzuzeichnen, wie sie die alten Leute zu erzählen wissen.

Das Schicksal dieser Gruppe ist ethnographisch und kulturgeschichtlich besonders interessant, weil sie heute im Uebergang von Hirtentum und Transhumance zur Selbsthaftigkeit steht. Der größte Teil der Bedscha-Stämme, nämlich die Bischarîn, Beni Amer, Ababde und Hadandawa—den letzteren ist diese Untersuchung gewidmet—haben diesen Kulturwandel durchgemacht. Eine Ausnahme bilden die Amarar; dort ist der ganze Stamm bis heute vollnomadisch. Er erhält die Produkte des Anbaus, das Getreide, von den Bischârîn.

VANSINA, JAN. «A Comparison of African Kingdoms,» *Africa*, Vol. 32, International African Institute (1962).

VIDAL, J. «Un Probleme Historique Africain : au sujet et l'emplacement de Mali (ou Melli), Capitale de L'ancien empire mandingue,» *B.C.E.* (April-June, 1923), pp. 251-68.

— — . «La Legende Officielle de Soundiata, fondateur de l'empire manding,» *B.C.E.* (1924), pp. 479-543.

MONOD, J.L. Histoire de L'Afrique Occidentale Française. Paris : Delagrave, 1926.
MONTEIL, Vincent. L'Islam Noire. Paris : Collections Esprit, 1964.
NIANE, D.T. and SURET-CNALE, J. Histoire de L'Afrique Occidentale. Paris : Presence Africaine, 1961.

OLIVER, ROLAND and FAGE, J.D.A. Short History of Africa. Baltimore : Penguin Books, 1962.

AL-OMARI, IBN FADL ALLAH. MASALIK EL ABSAR FI MAMALIK EL AMSAR.
I. L'Afrique Moins, L'Egypte. Translated and annotated with introduction and 5 maps by :
Gaudefroy-Demombynes. Paris : Librairies Orientaliste Paul Geuthner, 1927.

PAULME, Denise. Les Civilisations Africaines. Paris : Presses Universitaires de France, 1959.

ES-SADI, A. Tarikh Es-Soudan, tans. From Afabic by O. Houdas. Paris : Librairie d'Amerique et Orient, 1964. (This book was first published in 1913-14 but was reedited under the auspices of the UNESCO : Collection UNESCO D'Oeuvres Representatives Serei Africaine.)

TRIMINBHAM, J. Spencer. Islam in West Africa. Oxford : Clarendon Press, 1959.

— — — . A History of Islam in West Africa. London : Oxford University Press, 1962.

Westermann, D. and Baumann, H. Les Peuples et les Civilisations de L'Afrique. French translation by L. Homburger. Paris : Payot, 1948.

ARTICLES and PERIODICALS

BORDARIER, Paul. «Crandeurs et Decandences Soudanaises,» Tropiques. No. 29 (1948) pp. 8-12.

FAGE, JOHN. «Some Thoughts of State-Formation in the Western Sudan Before the 17th Century,» in Jeffrey Butler, African History, Boston University Vol. I, 1964.

MEGAHED, Horeya T. «Mali Empire : a mylh or reality,» Bulletin of the Facubty of merce, Alerandria Univ. Press, (1969), pp. 1-25.

MONTEIL, Ch. «Les Empires du Mali,» B.C.E. (July-December, 1929), pp. 291-448-

PAGEARD, Robert. «Soundiata Keita et les tradition orale,» Presence Africaine, Vol. XXXVI, 1961.

PEFONTAN (Lieutenant). Histoire de Timbuctou, Bulletin du Comite d'Etudes Historique et Scientifique de l'A.O.F., 1922, pp. 81-113.

SIDIBE, Mamby. Notes Africaines. «Numero Special, L'Empire du Mali» I.F.A.N. Dakar, April 1959.

5. The spread of Islam provided the important force of cohesion between the population and provided a strong spiritual link between the Western Sudanic ethnographic circle and that of the Desert area. Furthermore, the Arabic language is used in the northern part of the country up to Timbuctu ; it is the second written language in Mali.

Finally, the fact that Mali—unlike the majority of the African states—had a long, glorious history behind it enabled the leaders to find a myth in their past on which to build national unity.

BIBLIOGRAPHY

BOOKS

BATUTA, Ibn. Voyages d'Ibn Batoutah (IV Vols). Arabic Text, accompanied by French translation. Paris, 1949.

EL-BEKRI. Description de L'Afrique Septentrionale, trans. by M.R. de Slane Algiers, 1913.

BERAUD-VILLARS, J. L'Empire de Gao. Paris : Librairie Plon, 1942.

BOULNOIS, JEAN and HAMÀ BOUBOU. L'Empire de Cao : Histoire coutumes et magie des Sonrai. Paris : Librairie d'Amerique et d'Orient, 1954.

BOVILL, B.W. The Golden Trade of the Moors. London : Onford University Press, 1958.

DELAFOSSÉ, Maurice, Haut-Senegal-Niger, 3 Vols :

I. Le Pays, Les Peuples, Les Langues.

II. L' Histoire.

III. Les Civilisations.

Paris : Emile Larose, 1912.

FAGE, J.D. An Introduction to the History of West Africa. Cambridge University Press, 1962.

EL-KALKASHENDI, A.A. Sobhey el Aasha, 5 vols. Cairo 1915-16.

KHALDOUN, IBN. KITAB EL-IBAR WA DIWAN EL MOBTADDA WAL-KHABAR, 7 vols.

KATI, MOHMOUD KATI. TARIKH EL-FETTACH, ou Chronique de Chercheur, pour servir a l'Histoire des Villes, des Armees et de Principaux Personnages du Tekrou. (Arabic text and French translation by O. Hodas and M. Delafosse). Paris : Librarie d'Amerique et d'Orient, 1964. (This work was published for the first time in Paris, 1913-14. It was reprinted and reedited under the auspices of the UNESCO, 1964).

important. The Mande speaking traders or the Dioulas as they came to be known, worked as transmitters of the ideas in the Soudan as well as the neighboring countries. They spread Islam as far down as the northern part of present-day Ghana. In the post Second World War period, they acted as active propagators of political ideas, particularly those of the R.D.A. ⁽¹⁾. The trade linkage and the special position of the Soudan as the crossroads of West Africa influenced the Malian leaders to think in terms of interterritorial unity, rather than national independence. Moreover, the traditional importance of the Dioulas in trade made them later hostile to the Malian government policy of socialism and government control over trade before the 1968 coup d'état.

4. The Western Sudanic empires established an urban tradition ⁽²⁾ which developed not only around trade but also around Islamic culture. The important urban centers like Timbuctu, Gao, and Djenne resulted primarily from the increase of the trans-Saharan trade for which these centers were the important ports. Moreover, more recent southern cities, like Segou and Sikasso developed on the trade axis to the South. The Urban centers manifested a high degree of civilization and were important axes for the diffusion of Islamic and Arabic culture into West Africa. They were real cosmopolitan areas which reached a high degree of material, as well as intellectual and moral, civilization and which flourished in the second half of the fourteenth century. Islamic libraries and universities were established particularly in Timbuctu and Djenne where intensive philosophical, theological, and juristic studies were directed. Thus the cities included a large number of *Ulama* and students in addition to the traders ⁽³⁾. These urban centers helped to some extent in weakening tribal and traditional ties among their dwellers who were very mixed and established instead a universal tie of Islam. The urban tradition gave Mali a unique flavor of the combination of old and new. It might be noted that the style of architecture which one finds all over the urban centers in Mali, called the «Soudanic style», *style Soudanais* had its origin in the fourteenth century (when it was introduced by Es Sahell, the North African architect who was brought by Askia Mohamed to establish the mosques of Djenne, Timbuctu, and Gao) ⁽⁴⁾.

(1) «Rassemblement Democratique Africain», the most important inter-territorial Party in French West-Africa before independence.

(2) The term «urban tradition» was used by Professors T. Hodgkin and R. Morgenthau «Mali» in J. Coleman and C. Rosberg, *Political Parties and National Inregtation in Tropical Africa* (Berkeley, : California University Press, 1964). See pp. 221-22.

(3) See Ruth S. Morgenthau, *Political Parties in French-Speaking West Africa* (London : Oxford University Press, 1964), pp. 262-63.

(4) «L'Influence de l'Islam sur L'Art au Sahara et au Soudan», *La Documentation Photo-graphique*, Paris, dossier No. 55-16, 1963, p. 4.

that prevailing in the Desert area (although it is based in general on ethnic rather than on racial basis). At the top of the echelon, there were the warrior nobles or chiefs, and at the very bottom, there were the serfs and captives (who represented the menial group in the society). Between these two levels of social hierarchy were the free men, followed by a typical Soudanese endogamous caste group composed of the blacksmiths ⁽¹⁾, whose wives were pottery makers, the leather workers, the fishermen, and the *griots* (or praise singers, who were attached primarily to the ruling group) ⁽²⁾. The point is that there has been social prohibition of marriage between a member of the noble or the free-men class and some «inferior» classes since the Mali Empire ⁽³⁾. Another significant point is that agricultural work, particularly among the Bambaras and the Malinkes, was in the domain of free-man, since it was considered honorable and purifying. (It was mainly the Peuls who left agriculture to their captives, the Rimaibés). These two aspects are important since in present-day Mali the leaders have been fighting against the former, and trying to revive the latter.

3. The importance of trade since the medieval empires created a trade linkage and coherence between the Western Sudanic area and the North, on the one hand, and between the former and the neighboring areas of the forest and Guinea Coast, on the other hand. The strategic intermediate position of the Western Sudanic area between the North and the forest helped it in controlling trade and enabled it later to acquire the title of the «crossroads of French West Africa» ⁽⁴⁾. The trade tradition developed (or flourished) primarily under the «pax Soudanaïsa» which the empires, particularly those of the medieval time, established. The initial trade linkage was with North Africa by means of the Arabs and Tuareg Berbers through the trans-Saharan trade routes. As to the trade across the Western Sudanic area and to the South, it was developed by the Mande speaking people, namely the Sarakoles, including the Dioulas, who dispersed with the collapse of the Ghana Empire, mainly along the natural route of the Niger. They established their trading cities in Djenne and down to Bobo, Kong, and Bego ; i.e., they reached down to the Ashanti and in doing so, they connected the trans-Saharan trade with this new axis ⁽⁵⁾. As the trans-Saharan trade died off, the linkage with the South and the Atlantic coast became more

(1) The blacksmiths had an importance, since they were also «medicins» and sorcerers ; they influenced the masses.

(2) The *griot* is also known as *duelle*, *dyeli*.

(3) Kati, *op. cit.*, pp. 20-22. See Hampâté Bâ, *op. cit.*, pp. 10-11 ; Pagnès, *op. cit.*, pp. 59-60.

(4) Foltz, *op. cit.*, p. 44 ; see Fage, *op. cit.*, pp. 20-31.

(5) See Ivor Wilks, *The Northern Factor in Ashanti History* (Léon : University of Ghana. Institute of African Studies, 1961).

scale political systems did not develop. The largest society for the individual was the village, which was the basic politico-administrative unit of the large scale system. The village was a real community, based on the organic ties of all individuals in it. There was no place for the individual outside the community in which he was a member of a family, age group, clan, and village, and not a solitary individual. The individual had horizontal loyalty to all these primary traditional social institutions, and there was no real vertical loyalty transcending that of the village apart from the unfinished attempts of the late 19th century to create politico-Islamic loyalty. The traditional society was functional by nature and communal in character.

The Impact of the Large Scale Political System.—In concluding this part about the phenomenon of the traditional large-scale political system in the Western Sudanic area, it should be stressed that its complex historical development left important landmarks which in turn might have influenced greatly the process of nation building in present day Mali.

1. The most important outcome is the population dispersion. This resulted primarily from the conquest. Thus, for instance, the Srakoles with the collapse of their Ghana Empire dispersed along the natural route of the Niger and down until they reached the Ashanti. The Peuls who were believed to be in the area of Senegal at the time of Almoravides' conquest dispersed into a huge area in the center of present-day Mali. The dispersion weakened ethnic boundaries. For instance, among the Bambara, which represent the largest ethnic group in the area (25 per cent), it is hard to identify one block of pure Bambara ethnic grouping ⁽¹⁾. Ethnic groupings, in fact, do not have real territorial boundaries. Thus tribalism, in the sense of a large concentration of an ethnic group, which is a familiar case in Africa in general, has no significance ; it is rather regionalism which is more significant. Ethnicity in fact became blurred so that a person can easily change his ethnic affiliation by changing his functional activity, religion or family name (diamou) ⁽²⁾.

2. The traditional society was characterized by a complex social stratification system, a natural result of the population movement and the succession of conquest states ⁽³⁾. The common pattern does not differ considerably from

(1) Pagues, *op. cit.*, p. 9.

(2) Jean Gallais, «Signification du Groupe Ethnique au Mali,» in *L'Homme*, Tome 11, No. 2 (May-August, 1962), pp. 106-29, see mainly pp. 107-10.

(3) The stratification system was sharper among the Mandes than the Peuls, for instance but the same picture prevailed among all the major ethnic groupings. Among the Bambaras the slaves were not outcasts, but they were essential elements in the society and took an active role in the army and defense. Among the Mande, the military noble class (tontigi) was at the top, free men (horo or woro), the real caste (called nyama kala), and then the captives and slaves. In the Peuls' theocratic state, at the top were the politico-military and religious chiefs, free men, the caste group (neybe), and the serf (rimaibé).

but the fact remains, however, that this trade was increased after the pilgrimages of the rulers. Thus along with their fame in the Islamic world, trade and prosperity increased, too.

From what preceded, one can see that the Western Sudanic circle developed a highly sophisticated political system characterized by the development of succeeding large-scale states with a hierarchy of authority and a high degree of civilization. The idea of empire-building was diffused from one ethnic group, which became an empire builder, to another ethnic group in the area. The succeeding states and empires should be considered as interconnected links in the long chain of the state system in the area which in its final pre-colonial phase developed into proto-nation state building.

The society of the Western Sudanic area was characterized by a highly instrumental value system which made the people very receptive to change. The basic influence on the area came from the outside, namely from the caucasoid white elements of North Africa. The point of importance is that while there was a great capacity to absorb the outside influence and culture and to use them as instruments for the development of the neo-Sudanic system, there was simultaneously a great capacity to eliminate or absorb the white alien elements which transmitted the influence or initiated political development in the area ⁽¹⁾. The best example for this instrumental value system is found in the Sarakoles of the Ghana Empire who eliminated the white founders after learning from them the techniques of governing a large-scale political system and then proceeded to develop a sophisticated system which resulted in the first empire building in Western Sudan. It is interesting to notice that the Sarakoles, including the Dioulas, who were the first to come into contact with the white traders of North Africa and were also the first to become well Islamized by Almoravids, absorbed knowledge of both trade and Islam and made them parts of their traditions. When they dispersed, they became simultaneously the propagators of Islam as well as the traders *par excellence* in West Africa. The idea of empire building was diffused, particularly among the Mande people, and the succession of empires that proceeded.

To sum up, one might say that the neo-Sudanic civilization resulted, in fact from an overstructure of paleo-Mediterranean or North-African Islamic culture ; however, the civilization and architecture—particularly in the medieval empires—remained Sudanic in content. The society remained similar to the neighboring paleo-Nigritic ones in the forest area of the Ivory Coast for instance where large-

(1) The elimination of the white elements was done in the Ghana Empire when the Sarakoles took over the power from the caucasoid elements who initiated the state system there. The absorption was done, for instance, in the case of the Songhai Empire, Bambara kingdoms, and the descendants of the Moroccan conquest army, the *Aima*.

disciples with the primary goal of propagating Islam and the Tijaniyya ⁽¹⁾. El Hadj Omar and his son Ahmadu, who carried on the leadership after him, were engaged in intensive holy war against the pagans in the name of Islam. Actually, El Hadj Omar's Empire was an unfinished scheme for the unification and the total Islamization of Western Sudan by the use of force. It was the French conquest which put a definite end to this scheme and to the holy war.

Thus Islam in its relation to the state developed from the religion of a minority and some ministers and advisors of the emperors of Ghana in the eleventh century to the religion of the state and the rulers of Mali and Songhai empires, and lastly, to become the *raison d'être* and the main ideology of the theocratic Foul Kingdom and the more extensive empire of El Hadj Omar in the nineteenth century.

Islam, in fact, gave the pulse and the rationale for the aggrandizement of the empires ; this is particularly noticed in the modern phases ⁽²⁾. It gave the leaders spiritual supremacy, enabling them to consolidate the power. In the meantime, it gave the technique of bureaucratic machinery for administering the empires ⁽³⁾. It also played an indirect integrative role in the fragile empires of Mali and Songhai, and a more direct positive role in the 19th century's states ⁽⁴⁾. But more important, it gave a feeling of belonging to a universal cult which helped the leaders to think on a universal rather than tribal parochial scale in their state-building. Furthermore, it intensified the relations with North Africa and opened the landlocked area to the Islamic civilization, and Islamic World ⁽⁵⁾. Finally, Islam was an effective policy of the state for the intensification of the trade relations with the Islamic North, which was the main source for the great prosperity of the medieval empires. It is true that trade was carried on, particularly trade in gold which was the main source of wealth to its holder, the Empire of Ghana, long before Islam became the religion of the state in Mali Empire

(1) Hargreaves, *op. cit.*, p. 10.

(2) Foltz, *op. cit.*, p. 4, applied that on the expansion of Mali Empire.

(3) *Ibid.*, p. 5.

(4) La Documentation Française, *Le Problème des Chefferies en Afrique Noire Française*, Notes et Etudes Documentaires (February 10, 1959), pp. 5-6.

(5) This resulted in the existence in the courts of the emperors of the medieval time of high personalities from North Africa and the Islamic world. For instance, Es Saheli, an outstanding poet and architect from North Africa, was in the court of Askia Mohamed. He lived in Mali Empire until the end of his life. Another important example is that the Sherif of Mecca, Maulai El Abbas, after instituting Askia Mohamed as the Khalif of the Sudan, sent his cousin, Sherif Ahmed Es Segli, to live beside the Askia where he lived until he died, as well as his sons. Kati, *op. cit.*, p. 25. This resulted in having descendents of the Shorafa (plural of Sherif) who became mixed with the local population but are still considered as aristocracy there.

identity from the former dominating Empire, Mali, whose leaders were identified with Islam ⁽¹⁾. But this policy was reversed by his successor Askia Mohamed, who made great efforts to spread Islam beyond urban centers and went as far as declaring a holy war against the Mossi pagans ⁽²⁾. He increased relations with the Islamic world. During his pilgrimage to Mecca, he was installed by the Sherif of Mecca, Maulay El Abbas, as the Khalif of all the Sudan ⁽³⁾. The influence of the Ulama in advising the rulers in decision-making increased considerably by the end of the 16th century ⁽⁴⁾, and the Moslem scholars and religious men enjoyed special positions. The *Qadi* (Moslem jurist), for instance had a special position in Songhai Empire. He was the only one in the Empire, other than the Askia, who had the right to order and be fully obeyed like the Askia. It is also mentioned that the Askia stood only for the Ulama, the Sherif, and those coming back from the pilgrimage. He allowed them to eat with him ⁽⁵⁾.

The spread of Islam came to a halt, however, after the Moroccan invasion in 1591, which resulted in the collapse of Songhai Empire and the destruction of the Islamic centers in Timbuctu, Djenné, Gao, and the dispersion of the *Ulama*. It was during this period that the pagan Bambara states developed in Segou and Kaarta. But this did not last, however, for too long, since Western Sudan in the 19th century witnessed a new phase marked by the creation of theocratic states by religious leaders. Thus the Peul Kingdom was established as an ideal Islamic state *Dina* by Seikou Hamadou who was a marabout and a son of a marabout in the Qadriyya sect. He was designated as the Khalif—*Amir el-muminin*—which gave him a spiritual influence ⁽⁶⁾.

This new phenomenon of establishing theocratic states having Islam as the base of the state was developed more extensively in the second half of the nineteenth century by El-Hadj Omar. He gained considerable prestige as the head of the Tijaniyya as well as from more than two decades of traveling and studying in Mecca and Al Azhar (in Cairo). He attracted many followers to his reforming confraternity that was operated primarily on equalitarian principles. Thus he was able to formulate a considerable military state by the support of his

(1) Fago, *op. cit.*, p. 29.

(2) Kati, *op. cit.*, p. 16

(3) *Ibid.*, p. 16.

(4) *Ibid.*, p. 14.

(5) *Ibid.*, p. 15.

(6) Khalif means successor or *Imam*. The Prophet predicted 12 khalif to come after him, two of the Sudan. Thus as the Sherif of Mecca Said, Askia Mohamed is the eleventh khalif. And the prediction was also made of the twelfth khalif, who was Sekou Amadou, the founder of the Peul Kingdom in the nineteenth century.

sign of such influence was noticeable even in the first empire of Ghana. Despite the fact that before 1076 the emperor (in the latter) was not Moslem, he chose the majority of his ministers among the Moslems ⁽¹⁾. Moreover, there was a large number of Moslem Arab and Berber traders in the capital. The conquest of the Ghana Empire by Almoravides in 1076 was the real landmark for the beginning of the Islamization of Western Sudanic area ⁽²⁾. Despite the fact that this conquest did not last for more than twelve years (Ghana gained its independence, though declining, in 1088), it resulted in the thorough Islamization of the rulers of Ghana and its Sarakole people, as well as those of the surrounding areas ⁽³⁾. This trend was carried over in the succeeding empires.

In the Mali Empire, the ruling class as well as their retainers were Moslems. Reference can be made to the several pilgrimages which the Malian leaders made to Mecca ⁽⁴⁾. Moreover, Mansa Moussa, after his famous trip to Mecca in 1355, made considerable efforts to spread Islam. Mosques, Koranic schools, and universities were established in Timbuctu, Gao, and Djenne ⁽⁵⁾. Thus Islam began to spread not just among the rulers and their retainers, but to the subjects, particularly in Urban centers ⁽⁶⁾. There was no indication, however, of a systematic attempt by the rulers to spread Islam outside the urban centers.

As to the Songhai Empire, it is believed that its rulers and people became more thoroughly Islamized than the Mali Empire. The reference is always made to Sonni Ali, the real founder of the Empire, and his anti-Islamic policy and persecution of the *Ulama*, i.e., the Moslem scholars⁽⁷⁾. This, however, was explained by his fear of the foreign influence that might come through religion ⁽⁸⁾ (mainly that the *Ulama* resented his conquest of Timbuctu). He accused them of being allied to the Tuareg against him. Also, he desired to establish a separate

(1) El Bekri, *op. cit.*, pp. 327—31.

(2) See also R. Cornevin, *Histoire de l'Afrique, Tome I* (Paris : Payot, 1962), pp. 62, 295—99.

(3) Fage, *op. cit.*, p. 24.

(4) It is believed that since the Islamization of the king of «Melleb» at the hands of a Lemtouna trader, as El Bekri reported, *op. cit.*, p. 331, the rulers have been Moslems. The traditions in Mali support that the first Moslem king was Baramendana Keita and that after he became Moslem, he went on a pilgrimage to Mecca in 1050.

(5) See Al Omari, *op. cit.*, p. 53 and *passim*.

(6) It was reported by Ibn Babutahat that the peoples in Niani, the capital, were thoroughly Moslem, and that they were prompt in praying and that they forced their children to do it. That during Friday prayers the crowd was so large in the Mosque that one had to go early to find a place to stand. See Ibn Batuta, *Voyages*, «Arabic text accomp. by French transl.» Paris : 1949), IV, p. 421.

(7) See Villars *op. cit.*, pp. 52—53— and El Moucheli, transl. by F. Dubois, *Tombouctou la Mystérieuse*, Paris, p. 122; Sadi, *op. cit.*, pp. 104—109.

(8) See *Ibid.*, p. 109.

Thus, apart from the direct rule in the nuclear area of the empires, particularly in medieval times, indirect rule was the norm, and the head of the states interfered little in the affairs of the local units of the outlying areas. The ruling clan was primarily interested in keeping order and getting tribute. The administrative units of the empires corresponded more or less to the ethnic or tribal groupings within them, i.e., they were inter-tribal and not cross-tribal empires ⁽¹⁾. And the masses were left more or less untouched ; the contact was with the provincial chief. In other words, there was no national feeling, and centralization of authority was rather fictitious. This, however, was not the case of the Empire of El Hadj Omar, who established an administrative structure which cut across tribal bases and which was not based on kinship linkage. The conquered territories were divided into districts on territorial bases ; on the top of each was placed a *talibé* who was a religious as well as a political disciple ⁽²⁾. Even the village chiefs were replaced in many cases by an outsider chief—*sofa*—appointed by the head of the state ⁽³⁾. Recruitment to the system was open to all ; rank was decided according to the religious integrity of the individuals, but a large number of the imposed rulers were from the Toucouleurs compatriots of El Hadj Omar. Thus the empire of El Hadj Omar was actually an intensive movement toward the unification of all the people in Western Sudan on the basis of Islam's cutting across all ethnic and parochial ties. This centralized power, and the direct interference in the affairs of the conquered territories might explain the reason why the imposition of El Hadj Omar Empire was resented by the conquered people, particularly the Bambara pagans and Moslem Quadriyya Peuls of Macina Kingdom, while the earlier empires avoided such imposition and thus minimized the troubles of empire building.

In short one might say, that the last phase of the large-scale political systems in Western Sudan, exemplified by the empire of El Hadj Omar, was marked by the development toward a corporate principle, a more impersonal government and a real centralization of power. It was, as one might call it, an attempt of a proto-nation-state building.

The Political Role of Islam. The significant political role which Islam played is another common characteristic shared by the empires of Western Sudan ⁽⁴⁾. It is true that the importance of this role increased as the time went on, but the

(1) This terminology was applied by Foltz, *op. cit.*, pp. 2—9.

(2) See Delafosse *op. cit.*, II, pp. 341—51.

(3) See *Ibid.*, III, p. 131; Hargreaves, *op. cit.*, pp. 122—24.

(4) For the role of Islam see J.S. Trimingham, *op. cit.*; Fage, *op. cit.*, pp. 19—33. There is also some account in Vincent Monteil, *l'Islam Noir* (Paris : Collections Esprit, 1964), mainly op. 58—90; and J.C. Froelich, *Les Musulmans d'Afrique Noire* (Paris : éditions de l'Oranteo 1962), pp. 17—69.

however, modified to a greater extent in more recent succeeding states of Western Sudan. A new basis of authority, like religious discipline and military process, started to appear. Thus in the kingdom of Segou military prowess became the foundation for appointing the provincial chiefs regardless of their clan or social status. For instance, the *Ton-Dion*, who were appointed as the provincial chiefs by Biton Koulibaly, the founder of the kingdom, were primarily slaves from his disciplined army in which membership was open to everyone without exception ⁽¹⁾. Moreover, in the Peul Kingdom, the basic criterion for appointing an *Amiru* or governor was the literacy in Arabic and religious orthodoxy ⁽²⁾.

As to the outlying territories, it is more likely that after they were conquered, they were in most cases left under their chiefs who were reduced to vassals under the emperor. In other words, the emperor delegated the political and administrative authority to the conquered chiefs who became dependent on him and who showed their dependency by paying tributes. Thus, the creation of the empire did not mean that there were no other political units allowed within its boundaries; what it does mean is that the sovereignty belonged to the head of the state—the emperor—and other inferior political units (even kingdoms) could continue to exist, but only as subject or administrative units responding to the demands of the highest sovereign and showing their subjection by paying tributes. There was, however, some manifestation of protocorporate principles even in the medieval empires, represented by the appointment of a Viceroy of the emperor — *Fariba* in Mali Empire, and *Farin* in Songhai Empire — in the provincial divisions into which the empires were divided ⁽³⁾, to act as the eye of the head of the state in watching over the affairs of the annexed territories and supervising the collection of taxes. These local representatives were not primarily from the ruling clan, as in the case of the nuclear area, but were mainly from the same ethnic group of the emperor. In addition to this delegation of the political and administrative authority, there was also a delegation of military authority to the army generals who were responsible for keeping order and defending the empire. These generals were not exclusively from the royal clan. For instance, Mamadou Touré, who was the general of Sonni Ali in the Songhai Empire and who took over the power to establish the Askia Dynasty, was not Songhai but Sarakole.

(28) The kingdom of Segou was divided into sixty provinces, on top of each a *Ton Dion* See A. Bime, *Notes Africaines*, No. 75, Dakar, IFAN.

(29) See Hampaté Ba, *op. cit.*,

(30) Kati, *op. cit.*, p. 16.

of Ghana, Mali and Songhai can be noted from some scattered reports of the Arab writers ⁽¹⁾. But the crystallization of this collegial character of decision-making occurred in the Peul Kingdom, where Seikou Hamadou was the founder and head, but the decisions were in the domain of the Great Council and its inner core (The Great Council was composed of forty members of the *Ulama*, while the central core was composed of three chosen by the former, and included Seikou Hamadou). The *Almamy*, i.e. the head, was surrounded by *El Moustahiboun* ⁽²⁾ (of the religious leaders and notables). In short, one can say without hesitation that the rule in leadership of Western Sudanic empires was collective decision-making and the absence of absolute leadership.

In addition to the single leader, the other main characteristic of the centralization of authority is the delegation of power by the leader to the local chiefs. The leader was at the head of the administrative machinery, and below him there was a hierarchy of chieftaincy. At the very base of this hierarchy was the village chief who controlled a number of chiefs of extended families; the next level was the *canton* chief or district chief who controlled a number of village chiefs, and above that was a provincial chief and occasionally a king, who controlled a number of district chiefs ⁽³⁾.

The question is, how were these empires administered? In other words, what was the basis for the delegation of authority from the emperor, or the head of the state, to the inferior chiefs? In answering this question one should make it clear first that there is a lack of sufficient information to build a comprehensive analysis, particularly on the earlier empires. However, it is more likely that there were two levels of administration: A direct one in the nucleus from which the empire started, and indirect rule in the annexed territories (outlying areas) included in the empire as a result of its expansion ⁽⁴⁾. In the former, direct rule was represented in the placing of members of the ruling clan and the retainers of the emperor as chiefs of the provinces which composed the central core ⁽⁵⁾. Thus it was more likely that kin linkage was the rule as the basis of authority in the central cores of the medieval empires of Ghana, Mali and Songhai. This was,

(1) Kati, *op. cit.*, mentioned how the Askira called a re-union of his council, which was composed of the *Ulama*, the notables, and the chief of his army, to consult them on what was to be done about the Islamization of the pagans, p. 103.

(2) Hampaté Ba *op. cit.*, pp. 6—10.

(5) For more details about the political units, see M. Delafosse, *op. cit.*, Vol. III, pp. 124—45.

(4) For the theoretical framework and terminology see Vansina, *op. cit.*, pp. 324—30.

(5) See J.S. Trimingham, *A History of Islam in West Africa* (London: Oxford University Press 1962), pp. 76—77; Mamby Sidibé, *Histoire du Mali, Deuxième Partie*, mimeographed, paper, (Bamko, n.d.), p. 24.

In addition to the sword, or the military supremacy, which was apparently the most effective means for the legitimation of authority, it is interesting to note that the heads of the empires had some kind of supra-natural mythical power. It is true that the divine kingship which existed in Ghana Empire seemingly disappeared from this area of Western Sudan in the succeeding kingdoms as a result of the spread of Islam, particularly among the rulers, but this does not mean that some mythical ideas about the genealogy of the ruler did not remain. The attempt to link with holy Islamic origin became the typical phenomenon.

A manifestation of this can be found in the Mali Empire. The tradition in Mali held that the ancestor of the Keitas of the royal family in Mali Empire came from Arabia, i.e., where Islam originated. But besides the quality of kingship, Soundiata Keita, the founder of the Empire, was said to possess some supra-natural power.

In the Songhai Empire, Askia Mohamed, under whom the Empire reached its apex, was designated by the Sherif of Mecca, Maulay El Abbas, as the Khalifa of all the Sudan in the sense that he was considered as the eleventh Khalifa after the prophet Mohamed⁽¹⁾. Seikou Hamadou, the founder of the Peul Kingdom, was designated as the twelfth Khalifa⁽²⁾.

As to the last empire, El-Hadj Omar was named the head of the Tijaniyya sect⁽³⁾, and his son succeeded him as the ruler as well as the head of the sect. He also had the prestige of being the son of a marabout—Omar Tall—and son in law of the prestigious Othman dan Fodio of Nigeria.

But the important point that should be made here is that the head of the state, as a rule, was never an absolute monarch⁽⁴⁾. Although he was the symbol of the supreme authority and power, this does not mean that his power was unlimited. There were «constitutional» limitations upon his power. The emperor was always surrounded by his council of ministers and advisors who balanced his influence. These did not have mere advisory power, but they in fact participated and shared in the important decisions of governing the state. Such examples of «collective decision-making» and advising in the medieval empires

(1) Kati, *op. cit.*, Chapter 1 on the Khalifat.

(2) See *Ibid.*

(3) John D. Hargreaves, *Prelude to the Partition of West Africa* (New York : Macmillan and Co., 1963), pp. 9—11; Trimmingham, *Islam in West Africa* (London : Oxford University Press, 1959), pp. 97—98.

(4) Delafosse, *op. cit.*, Vol. III, p. 6.

area (most of the territory of present-day Mali plus peripheral) area was the Mali Empire, which reached at its apex the Atlantic in the West, Hausaland in the East, Mossi land in the South, and which extended its influence deep into the desert up to Air. Finally, one should note that the empires of Western Sudan, particularly those of the medieval time at their climax, did not cover only the area of the Western Sudanic circle but they went beyond to that of the Desert area, when their influence expanded deep into the desert.⁽¹⁾

The Centralization of Authority.—The second characteristic of the empires of Western Sudan is the centralization of authority, which is, in fact, the essence of the large scale political system in Africa. This centralization of authority is defined as the existence of « a single leader who delegates authority to representatives in charge of the territorial units into which the country is divided »⁽²⁾.

By applying this definition to the empires of Western Sudan, one can find that the main aspect of the centralization of authority in all the successive states in the area is that each had a single leader who was the head of the state and the symbol for the empire. Whether the head was known as Tounka (in the Ghana Empire), Mansa (in Mali), Sonni or Askia (in Songhai), Massassi (in Kaarta), Fama (in Segou) or Almamy (in the Peul Kingdom), the title made no difference as long as he was the depository of supreme authority and sovereignty belonged only to him. The emperor, or the head of the state, was chosen from a royal clan. The lineage system was seemingly patrilineal in all the empires, with the exception of Ghana where matrilineal descent was the rule. This was particularly the result of the impact of Islam. Thus, the Tounka of Ghana was chosen from the Sisse Tounkara family⁽³⁾. In Mali, the Mansa, was chosen from the Keita family. In Songhai, the leader came from the dynasty of Sonni and then from that of the Askia⁽⁴⁾. The Massassi of Segou was chosen from the Koulibaly family ; the Almamy of the Peul Kingdom were from Bari dynasty.

(1) For instance Ghana Empire conquered Ouadaghost; Mali Empire expanded even further to include Walata (or Oualata); and the Songhai Empire was the uncontested master of the salt mines of Teghaza.

(2) Jan Vansina, «A Comparison of African Kingdoms», *Africa*, Vol. 32, International African Institute, 1962, pp. 324—34.

(3) As Mamby Sidibé, in *Le Mali d'Autrefois*, mimeographed, unpub., (Bamako, «n.d.»), bp. 5, said, they were always nephews (sons of the sisters) of the family of Kaya Maghan.

(4) The norm was that the head was chosen from the founding ruling dynasty, but in some cases this dynasty was overthrown by usurpers, as in the case of Askia Mohamed (1493—1529), who overthrew the Sonni, the descendent of the legitimate royal clan, and established the dynasty of the Askias. The word Askia in Songhaic means «it is not his», («il ne l'est pas.») See Villars, *op. cit.*, p. 5.

successive empires. In the Ghana Empire, although it was believed that its birth as a kingdom was the product of African non-negroid elements, ⁽¹⁾ the Sarakoles, who represented the base of the empire, took over the power in the eighth century, and it was under their rule that Ghana expanded and reached its apex in the tenth century. Thus, the Sarakoles are connected with the memories of the Ghana Empire. The Malinkes are the founders of the Mali Empire. And the Bambaras, with an admixture of Peuls in the ruling aristocracy, established the kingdoms of Segou and Kaarta. The Peuls were the founders of the Macina Kingdom. The Toucouleurs retain the memories of the Empire of El-Hadj Omar and his son Ahmadou.

Actually, each empire contributed to the destruction and in general to the domination of the empire that had just previously occupied the place of supremacy in Western Sudanic area. The main reason for such conquest and domination in the pre-nineteenth century hegemonies was the desire for controlling trade, particularly with the North, which was the source of great prosperity for the medieval empires. ⁽²⁾ The conquest of the nineteenth century states, particularly that of El Hadj Omar, was accomplished primarily in the name of Islam and not in the name of trade, as had been the case of the preceding states.

As a result of the conquest, the empires of Western Sudan were far from being homogeneous. They included political units and ethnic groupings that had no ties in common. This cultural heterogeneity, however, is the essence of empire, generally speaking. Furthermore, it might be mentioned that the western Sudanic empires in their expansion did not cover exactly the same area, the same people or even the whole present-day Mali, but the fact remains that they were all, more or less, based on the Upper Niger and that they dominated the great part of the Western Sudanic area ⁽³⁾ The one that covered the largest

(1) The origin of these white elements is not known, but it is believed that they were either proto-Peuls or Lybian-Berbers. Es Sadi, *op. cit.*, mentioned on p. 18, about the early white dynasty of Ghana and how their origin is not known. He also mentioned that the number of the kings who succeeded to the throne was forty-four before and after the *Hegira*.

(2) Trade was primarily in gold of which the Western Sudan had the largest deposit. The trans-Saharan trade routes to which the northern cities of the empires of Ghana, Mali and Songhai were the outposts or the ports on the Sahara, extended further south, but in the hands of the Dioula traders, from Djenne until it reached the gold mines in the Ashanti. For details on the conquest and the trade, see John Fage, «Some Thoughts of State-Formation in the Western Sudan Before the 17th Century», in Jeffery Butler, *African History*, Vol. I (Boston : Boston University, 1964), pp. 19—33; E.W. Bovill, *The Golden Trade of the Moors* (London : Oxford University Press, 1958).

(3) The Ghana Empire was primarily in the Sahel, which was not as dry as it is now; it reached to Senegal and did not go beyond Upper Niger, but it went as far as Djenne; to the North, it extended to Ouadoghost (of Wadagost); Songhai went as far as Mopti there were still some remnants of Mali, but it was strong in the west where it conquered the Eastern part of Hausaland, and in the North it included the Air.

The Common Characteristics of the Empires of Western Sudan

Despite the fact that these states differed in size, wealth, power, there are certain aspects that were common to all of them. These can be summarized in the following way :

Conquest States. The first main characteristic of the empires of Western Sudan is that each was a conquest state which developed into an empire as a result of military force.⁽¹⁾ The common pattern is that an empire comes into existence as a result of the liberation and expansion of an already existing vassal kingdom.⁽²⁾ The empire of El Hadj Omar, however, was a deviation from this rule, since it did not result from the expansion of an existing kingdom but was primarily the creation of El Hadj Omar himself. It belongs to what Delafosse called *Empire de hasard*.⁽³⁾ Each of these kingdoms which formed in itself a nucleus for an empire, was based on the core of an ethnic group; it is when the kingdom, or more specifically, the ethnic group which composed it, under the leadership of a ruling clan spread to conquer the other ethnic groups and the surrounding territories that the empire came into existence. Thus at the heart of each empire there is a centralized core of one ethnic group⁽⁴⁾.

The point that is of interest here is that every one of the major ethnic groupings in the area of Western Sudan was the central core of one or the other of these empires, i.e., it retains the glorious past of having been the founder of one of the

(1) The importance which these empires gave to the army was remarkable. The cavalry, namely the horses which they imported from Northern Africa, was the main basis of the supremacy of the army, particularly in the medieval empires. Moreover the fleets in the Niger, contribute to the supremacy of the Songhai and mainly the Bambara of Segou, who through the organization of its military fleets were able to conquer Macina. Furthermore, with the introduction of firearms to Africa at the arrival of the Europeans, these became the major element in the supremacy of the 19th century's Empire of El Hadj Omar.

(2) For instance Mali Kingdom was vassal to Ghana and to the Sosso and it was liberated by the hand of Soudiate Keita and expanded in all directions to include its former oppressors, i.e. Ghana and Sosso ; it also included the Tekrou, the Songhai, the Macina, Segou. When the Songhai Kingdom, which was a vassal to Mali Empire, was liberated by the hand of Ali Kolen and started to spread under the Dynasty of the Sonni and then the Askia, it included the major parts of the Mali Empire particularly the Macina, the Bamaras. When the Bambara liberated themselves under Biton Koulibaly from the Songhai and the Armas, they conquered Macina.

(3) See Delafosse, *op. cit.*, Vol. III, p. 142.

(4) The nucleus of Ghana Empire was the Kingdom of Ougadou, for Mali, the kingdom of Mali or Mellel or the Mandingue, for Songhai, the kingdom of Songhai mainly in the region of Dendi. Macina was the nucleus for the Paul Kingdom. As to El Hadj Omar, he started from Dinguiraye. William J. Foltz, *From French West Africa to the Mali Federation* (New Haven and London : Yale University Press, 1965), p. 4.

Since the initiation of the tradition of Empire in the Western Sudan by the Ghana Empire in the early centuries A.D., there had been a continuation of this traditional experience ⁽¹⁾. This was demonstrated after the final collapse of the Ghana Empire in the thirteenth century ⁽²⁾ by the Mali Empire, which reached its apex in the fourteenth century and was apparently the most glorious and the wealthiest of all Western Sudanic empires. Then the Songhai Empire followed and dominated the scene from the end of the fifteenth century until it collapsed at the hands of the Moroccan army in 1591 ⁽³⁾. The collapse of the Songhai Empire marked the end of the era of the great medieval empires in Western Sudan. This does not mean, however, that the large scale political system disappeared from the area, what is meant is that the scale of the states became smaller. Thus the area witnessed the establishment of smaller scale states, particularly, the Bambara kingdoms of Segou and Kaarta, ⁽⁴⁾ and then the Peul Kingdom of Macina (1810—1862). ⁽⁵⁾ The empire of El Hadj Omar and his son Ahmadou, which collapsed on the hands of the French colonial army in the 90's of the nineteenth century, was the last expression of the large scale traditional systems and can be regarded as an unfinished scheme for establishing an empire similar in scale to those of the medieval time ⁽⁶⁾.

It is not intended here to go into details concerning the historical development of these states. There were, however, certain common aspects which they shared that will be discussed briefly in order to shed some light on this phenomenon of large scale political systems in the traditional pre-colonial era.

(1) The Concept of Empire, like that of civilization is vague enough to be stretched to include different forms. The main characteristics of an empire is the huge extension of power, usually by military force, over the existing political entities.

(2) The main source of information on Ghana Empire is El-Bekri, *Description de L'Afrique Septentrionale*, trans. M.R. de Slane (Algiers, 1913). See also J.D. Fage, «Ancient Ghana : A Review of the Evidence», *Tans. Hist. Soc. Ghana*, III, 2, (1957), 77—98 ; R. Mauny, «The Question of Ghana», *Africa*, XXIV, 1954.

(3) The main sources of information about Songhai Empire are : Es Sadi, *Tarikh Es Soudane* trans. by O. Hudas (Paris, 1900), and Kati, *Tarikh El Fettach*, trans. by Hudas & M. Delafosse (Paris, 1918). See also Beraud Villars, *op. cit.*, p. 211 ; Boulnois, Jean, and Hama Bouhou, *Empire e Gao : Histoire, Coutumes et Magie des Sonrai* (Paris : Librairie D'Amerique et d'Orient, 1954), p. 182 ; J. Rouch, *Contribution à L'Histoire des Soghay* (Dakar : I.F.A.N. 29, 1953).

(4) For more details about the history of the Bambaras Kingdom, see : L. Tauxier, *Historie des Bambara* (Paris : Librairie Orientaliste, 1942), p. 227 ; A. Perignon, *Haut-Senegal et Moyen Niger : Kita et Segou* (Paris : J. André, 1901), p. 208.

(5) For details on the Peuls Kingdom see, Amadou Hampate Ba and J. Gadet, *L'Empire Peul du Macina*, Vol. I (Paris : Mouton, 1962) ; L. Tauxier, *Moeurs et Histoire des Peuls* (Paris : Payot, 1937).

(6) For El Hadj Omar Empire see, Mohammoud Aliou Tyam, *La Vie d'El Hadj Omar*. «Poem in Poular», transl. by Henri Gaden (Paris : Université de Paris, Institut d'Ethnologie 1937) ; P. Saleng, *La Vie d'El Hadj Omar*, (Paris : Bulletin du Comit éd'Etudes de l'A.O.Fc 1918).

THE EMPIRES OF WESTERN SUDAN

« A POLITICAL ANALYSIS »

By

HOREYA T. MEGAHER

امبراطوريات السودان الغربى

(تحليل سياسى)

من الخصائص الفريدة لغرب السودان قيام الامبراطوريات والممالك التى تميزت بتقدم نظمها الاجتماعية والسياسية ، والتى تلت الواحدة الاخرى ، من القرن الثامن الميلادى الى الاستعمار الاوروبى للمنطقة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وتميزت هذه الدول بانها دول غزو جاءت نتيجة قوة عسكرية ، وورثت كل منها الاخرى لذا فقد كانت بعيدة عن التجانس ، فضلا عن تميزها بمركزية السلطة - التى تلازم النظام السياسى متسع النطاق التى تمثلت فى وجود رئيس واحد كان يعتمد على التفوق العسكرى للاحتفاظ بالسلطة بالاضافة الى وجود ذلك فقد اعتمد مؤسسو الامبراطوريات على ما يبدو على بعض القوى الغيبية والدينية والنسب للاحتفاظ بسلطاتهم ، ولكن بالرغم من هذا فلم يكن الرئيس حاكما مطلقا بل كانت هناك حدود دستورية على سلطته فكان له مجلس وزراء ومستشارون يشاركون بفاعلية فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالحكم فى الدولة .

وتميزت الامبراطوريات باللامركزية والتنظيم الادارى الهرمى : فضلا عن ظهور الدور السياسى للاسلام فى حياة هذه الامبراطوريات .

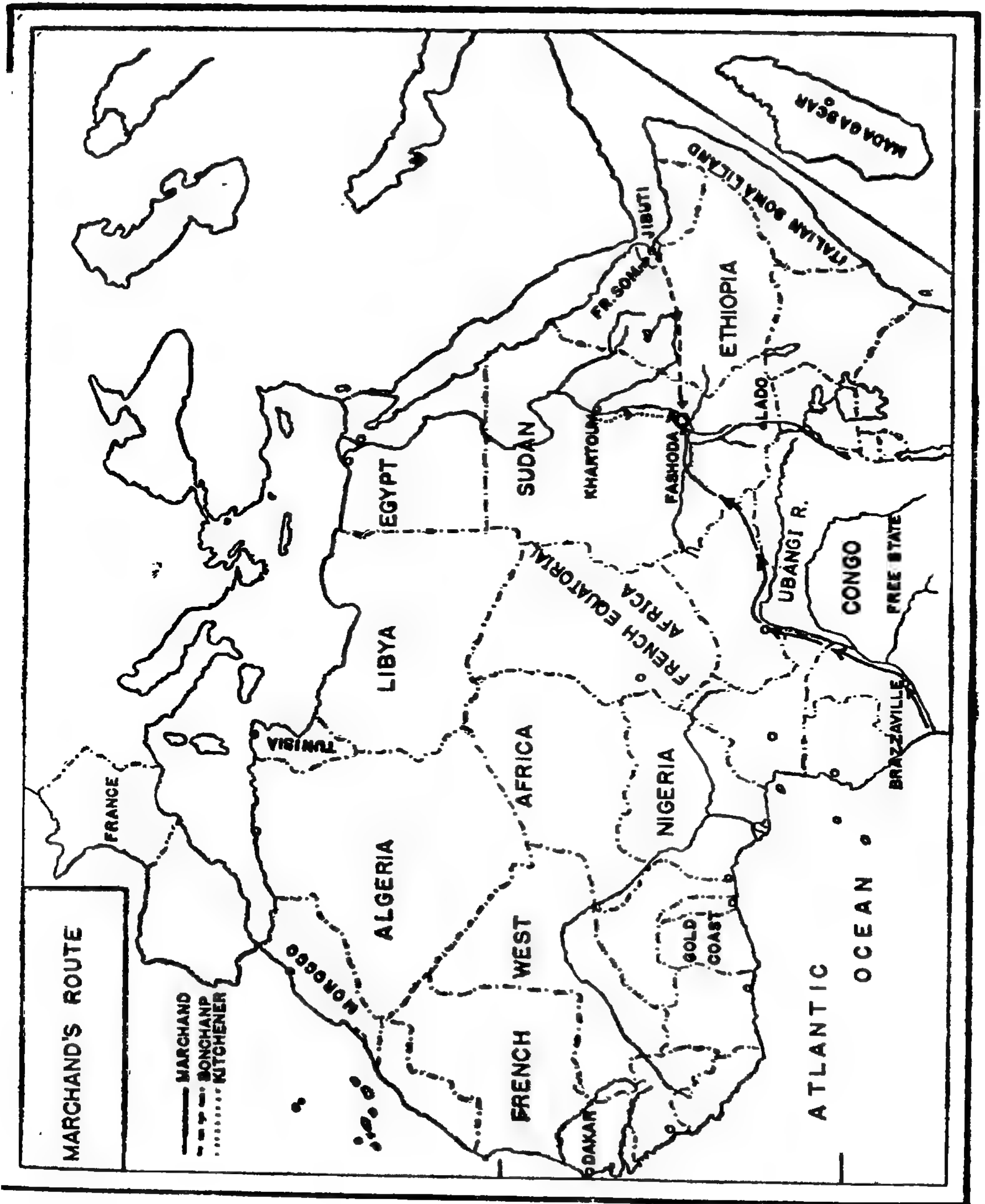
One of the unique characteristics of western Sudan is its successive hegemonies⁽¹⁾ with sophisticated social and political structures which dominated the scene and followed one after the other from the eighth century A.D. until the European conquest in the second half of the 19th century.

(1) *Hegemonies Soudanaises* as they were called by Beraud-Villars, *L'Empire de Gao* (Paris; Librairie Plon, 1942), p. 1.

REFERENCES

- ١ - إبراهيم فوزى : كتاب السودان بين يدى غوردون وكتشنر (القاهرة - ١٣١٩ هـ) .
- ٢ - اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار (الجزء الثانى - بولاق ١٣١٤ هـ) .
- ٣ - شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (القاهرة - ١٩٧١) .
- ٤ - على إبراهيم عبده : المنافسة الدولية فى أعالي النيل (القاهرة - ١٩٥٨) .
- ٥ - محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان - تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر (القاهرة - ١٩٥٧) .
- ٦ - محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه (١٩٥٢) .
- ٧ - نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث وحضارته (الجزء الثالث - ١٩٠٣) .

- 8 . COCHERIES, JULES : La Situation Internationale de l'Egypte et du Sudan (Paris, 1903).
- 9 . DE CAIX, R. : Fashoda (Paris, 1899).
- 10 . EMILY, J. : Mission Marchand 1896 — 1899 (Paris, 1913).
- 11 . GOOCHE and TEMPERLEY : British Documents on the Origins of the War 1898 — 1914 (London, 1927).
- 12 . GIFFEN, M.B. : Fashoda. The Incident and its Diplomatic setting (1930).
- 13 . HANOTAUX, GABRIEL : Fachoda (Paris, 1900).
- 14 . HANOTAUX, GABRIEL et ALFRED des MARTINAUX : Histoire des Colonies Françaises et de l'Expansion de la France dans le Monde. (Paris, 1931).
- 15 . HARDY, G. : Histoire des Colonies Françaises et de l'Expansion de la France. (Paris, 1941).
- 16 . LUCAS, CHARLES : The partition and Colonisation of Africa (Oxford, 1922).
- 17 . MANGIN : Lettres de la Mission Marchand, (Revue des deux Mondes—Septembre 15, 1931).
- 18 . MEKKI, SHIBEEKA : The Independent Sudan, (N.Y. 1959).
- 19 . REED, J.H. : Fashoda and Bahr El-Ghazal, (1899).
- 20 . RODD, J. RENNEL : Social and Diplomatic Memories. (London 1922).



At last the French Foreign Minister who was irritated by the behaviour of Marchand who had quitted Fashoda without permission and came to Cairo leaving his soldiers — sent his orders to Marchand to go back to Fashoda and withdraw his soldiers.

On the 4th of November 1898, Salisbury sent to E. Monson, the British ambassador this telegram.

« The French ambassador informed me to day that the decision had been taken by his Government to withdraw Marchand's party from Fashoda and to send him back there to carry out that decision and that orders to that effect had been sent to Cairo ».

Dr. Shawky El-Gamal

When Gordon became general ruler of the Sudan in the year 1877, he appointed many foreigners in the Sudan. Gessi was appointed as a Mudir (governor) in Bahr Al Ghazal and was asked to put an end to the revolt of Soliman El Zobeir. He could defeat him and Soliman and many of his family and soldiers were put to death after their surrender in July 1879.

But Gessi returned to Khartoum ill and fatigued in January 1881, then he returned to Egypt. When he reached Suez on 28 March 1881, he was taken to the French hospital there but died two days later.

He records his speculations and adventures in the Sudan in an important book titled «seven Years in the Sudan-London 1892».

6th There are some other facts related to this document which we must mention.

We know that France could not oblige England to start negotiations with her before giving orders to Marchand to withdraw from Fashoda. Although the French foreign minister insisted that he could not submit to what would be the humiliation of France and insult to its national honour, yet England even refused the French proposal that an order might be sent to Marchand including a hint that the two governments would negotiate sooner about the relations between them. France was forced at last to recall Marchand.

The factors that led France at last to have this decision may be summarised as follows :—

1. There was no doubt that England would not give way and would not accept any French proposals for future negotiations so long as the French expedition was at Fashoda.

2. The sad state of Marchand and his men because he was cut off from the interior, and because his water transport was inadequate ; all this in addition to the shortage of ammunition and supplies.

3. Perhaps Russia, which was at that time France's ally persuaded her not to reach the point of war with Britain because of Fashoda.

4. The circumstances in France itself and France's relations with other countries let her think deeply about the results of such dispute with England.

5. At that time, France began to think that it was better for her to come to an agreement with England. The French foreign minister Delcassé had announced during his discussions with the British ambassador in Paris concerning Fashoda's crisis, that France prefers English friendship to that of Russia.

2nd This document is a clear evidence that there were Egyptian soldiers and officers in the battalion left at Fashoda. It is clear that England's share in the battles of the restoration of the Sudan was not more than a few officers at the head of the campaign, though this was the basis on which it claimed her rights in what was called the condominium agreement between the British government and the government of the Khedive of Egypt.

3rd This document sheds light on the Anglo-French relations in particular and the relations of the colonial powers in general, during this period. The Anglo-French relations had at that time reached a serious point and there was fear of a coming dispute between the two powers. Fashoda's crisis in fact started a series of negotiations between the two powers. Salisbury the English foreign minister, Sir Edmond Monson the British ambassador on one hand and M. Delcassé, the French foreign minister on the other hand played an important part and at last ended by the agreement between France and England in 1904 called «Entente Cordiale», and this agreement has affected and destined the policy of the two countries for a long time after.

All these facts indicate that France's main purpose from her campaign on Fashoda was to oblige England to discuss the question of Egypt as well as to seize the chance to discuss the foreign policies of the two countries.

4th Marchand mentioned his anxiety about the delay of the ammunitions and supplies which he expected to come. As we know Kitchener hastened to occupy the Subat and according to the instructions of his government he prevented any ammunitions or supplies from reaching Marchand, and gave way only to the mostly needed provisions to reach him for only the preservation of his life and the lives of his men. England hoped that this would oblige France to send instructions to her officer to withdraw from Fashoda.

5th Marchand in his letter referred to the events of Gessi's campaign in the dangerous region of Bahr Al Ghazal during the years 1880 and 1881.

Romulo Gessi, as we know was an Italian. He was a friend of Gordon and took part with him in the Crimean War. When Gordon became ruler of the Equatorial Province in 1874 after Samuel Baker, he administered to Gessi many affairs in Bahr Al Ghazal. Gessi made a tour in lake Albert and was able to draw a map of it ⁽¹⁾.

(1) See, General Stone's Report about the Geographical discoveries in the years, 1874—1876.

On 1st September 1898 Kitchener entered Fashoda, met Marchand and a flaming discussion between the two leaders was about to lead to the use of force, but at last the two agreed to await orders from their governments, and Marchand could not resist the hoisting of the Egyptian Flag on the ruins of an old fortification, about 500 yards south of the French flag.

Kitchener left at Fashoda a Sudanese batalion under the command of Major Jackson and went southwards, for he expected that the Abyssinians might have reached the Subat. He reached a point where the Subat and the White Nile meet and there established a garrison, and thus made sure that Marchand was cut off from the interior and that he was beseiged at Fashoda.

The letter previously mentioned and which is published here is from Marchand to Major Jackson the English commander.

The contents of the letter :

In this letter Marchand mentions that he has received Jackson's letter and that he was glad to know that the Egyptian officer who was ill in his battalion, has become better and was not then in danger. He says that he puts at the command of the English battalion the French doctor «Emily» who is specialised in the diseases of tropical regions.

Marchand adds that he is anxious because the armed steamer and supplies he expected to reach Fashoda between 25th & 28th of September have failed to reach it. He said that he was afraid that something wrong might have happened to the expected steamer and that his fear increased as he remembered what happened to Gessi Pasha in 1880/1881 in the dangerous swamps of Bahr Al Ghazal.

This document explain many events :

1st It was written on 2nd October 1899. Marchand, as we have said before, has reached Fashoda on 10th July 1898 while Kitchener was near the doors of Fashoda on 18th September 1898 and entered the town on 21 September.

The document thus was written twelve days after Kitchener's arrival to Fashoda and after his departure southwards leaving Major Jackson in command at Fashoda with a Sudanese battalion.

(2) See : Emily, J. : Mission Marchand 1896—1899 (1913).

We have to notice that, at that time the importance of the Nile and of the domination over its upper parts began to be clear.

Or was their purpose nothing but to oblige England to come to an agreement concerning the Egyptian problem taking advantage of its existence in this territory between the white Nile and Sobat to oblige England to start negotiations about its future projects concerning Egypt ?

Or did France want to be an obstacle and prevent, if possible, English projects which aimed at linking Egypt with the Cape of Good Hope, as well as their possessions in East of Africa with those of the Royal Niger Company in the West ? ⁽¹⁾

In casting a look at the phases of this crisis, we may shed light on the French objectives behind this mission.

On 20th August 1898 a fight took place between the French and the Dervishes who sent a steamer to Omdurman to ask for reinforcements and provisions. This steamer reached Omdurman on 9 September 1898 after the dervishes, defeat and thus they found there the Sirdar instead of the Khalifah.

Kitchener, as soon as he became sure of the French occupation of Fashoda, hastened on 10th September to the south. He was instructed to try to convince Marchand that his presence in the Nile Valley is an infringement of the rights both of Great Britain and of the Khedive ⁽²⁾.

On 18th September (1898) Kitchener was at the doors of Fashoda and on 19th September sent a letter to Marchand announcing his victory over the Khalifah in Omdurman and to tell him of his presence.

In Marchand's reply to Kitchener, after congratulating him on his victory over the Khalifah, the former stated that in accordance with the instructions from his government, he occupied Bahr Al Ghazal and the land west of the Nile up to Fashoda. He told him that he fought with the Dervishes on 25 August and was victorious over them and thus he freed the Shuluk's country from their domination and signed a treaty with the chief of the Shuluks who placed his country to the west of the White Nile under French protection.

(1) Mangin, General : *Lettres de la Mission Marchand* (Revue de deux Mondes, September 15, 1931).

N.B. : Mangin was a member of Marchand's mission.

(2) Shibeika, Mekki : *The Independent Sudan* (N.Y. 1957), p. 431.

As for the expedition which was to move from East towards the Nile Valley France sent Mr. Lagard, the French governor of the Somal to Adis Ababa to try to gain Menelek's approval to facilitate the march of this expedition through Ethiopia towards the Nile.⁽¹⁾

England, knowing of such French activity in Ethiopia, sent Rennell Rodd to try to sign an agreement with Menelek aiming at preventing France from fulfilling its purposes.⁽²⁾

France however succeeded to move an expedition under the leadership of Bonchamps from the east. This expedition reached the Sobat at the end of December 1897 and thus became 100 miles far from Fashoda, but it could not go further because of the lack of provisions and was obliged to return.

France made another attempt and sent another expedition under the leadership of Faivre who reached the Nile on 22nd June 1898.

As for the west, France prepared another expedition under the leadership of Marchand the writer of the document published here.⁽³⁾

Marchand had left France on May 1896 and reached Loango in the French Congo with eight officers and 120 soldiers and after that he reached Brazaville and advanced towards the Ubangi River.

The mission did not go by land because of the swamps of Bahr al Ghazal but carried her small fleet through the Ubangi to the Nile and was obliged to cross the vast swamps of Bahr al Ghazal and went down the Nile till it reached Fashoda at five o'clock p.m. on Sunday 10th July 1898, and raised the French flag over the ruins of the old Egyptian fortress there.⁽⁴⁾

We may wonder about France's purposes from sending such an expedition.

Did France aim at settling there and taking the position as a point linking its territories in the East with those in the west of the continent ?

(1) Gabriel Hanotaux et Alfred Martineau : Histoire des Colonies Françaises (Tome IV, Paris 1931), p. 585.

(2) See : Rodd, J. Rennell : Social and Diplomatic Memoires (1922).

(3) Jean Baptiste Marchand was born on 22nd November 1863. He was appointed as an assistant lieutenant in the French army. He fought in the Senegal. In 1902 he was promoted as a colonel. He took part in the First World War and was promoted in 1917 to general. He died on 14th January 1934.

(4) Hanotaux, et Martineau : Op. cit. p. 522

The French set their eyes on the Nile Valley especially because they found other European colonisers as Leopold II King of Belgium trying to extend his power from Congo to the Nile Valley.

The French and Belgians greed led to a new problem in the relations between the imperialistic countries concerning the Sudan and upper Nile.

As for the Belgians, the government of the Congo Free State has, on 12 May 1893 ; made an agreement with England according to which England had lent to the Free Congo a great part of Bahr al Ghazal and the Belgians began to occupy this Area.⁽¹⁾

France threatened to use force and a French troop under the leadership of Monteil was sent to drive the Belgians away from the Upper Ubangi.

Victor Liotard lead another troop eastwards to the Nile. But France and Belgium came to an agreement in 14 August 1894, according to which France was not to oppose the Belgian's occupation to (Lado's barrier) rent to her by England while the Belgians agreed to evacuate territories which hindered the French from moving towards the Nile.

This Franco-Belgian agreement which aimed at extending each country's influence over the Nile reviewed the problem of the Sudan's position after the Mahdism Revolution.

Is the Sudan to be considered no man's land «Res Nullius», or is it legally under the supreme power of the Sultan and the Kediye is its legal governor ?

The French government however began thinking deeply from 1896 onwards of extending its domination towards the Nile Valley. To fulfill this purpose it was decided that two expeditions might be sent - one from the East and the other from the West.

It is worth noticing here that when France opposed the Anglo-Belgian's agreement of 12th 1894, she built her opposition on the fact that Egypt has the legal right on the Sudan. Hanotaux, the French Foreign Minister in 1895 declared that the Sudan is still legally under the authority of the Sultan and that the Khedive is its legal governor.

(1) Mohamed Foad Sukry : Egypt and Sudan and the history of the political unity of the Nile Valley in the nineteenth century (1958). pp. 451—462.

Veuillez agréer Commandant, les assurances de ma considération très distinguée.

Marchand.

The Manuscript :

The manuscript published here, on which we are going to shed light and summarise the issues it leads us to, is a letter from Marchand dated 2 October 1898.

It was written in Fashoda to Major Jackson the British leader whom the Sirdar of the Egyptian army Sir Herbert Kitchener had left at the head of a troop of Egyptian and Sudanese Soldiers ⁽¹⁾.

The original manuscript is kept in the library of the Institute of African Studies, Cairo University among other original documents dealing with the events of the Sudan during this period. It testifies many important facts and opens the discussion of some other problems concerning the events of the Sudan and the condition of England in Egypt and the Anglo-French relations during this period .

Before discussing its contents, we have to deal with the circumstances in which it was sent.

Marchand's expedition and the Circumstances related to the document published here :

France was able during the 19th Century to form a big empire in Africa. It began by the occupation of Algeria in 1830. After this the French extended their influence to Tunisia and Morocco in North Africa and to what was called «French West Africa» in West Africa. They also extended their influence to «French Equatorial Africa» .

Thus, the French Empire extended from Algeria to Congo and from Dakar to the western borders of the Sudan. As to the East of the continent, they occupied what is known by the name of the French Somalil and, this besides the island of Madagascar. These Territories could be estimated at one sixth of the total survey of the whole continent.

(1) Many of the documents, concerning the history of the Sudan during that period are reserved in the (Central Building for Documents) at Khartoum, but some of these documents had found their way out of the Sudan for example those which are found in the library of the School of Oriental Studies in Durham University in England. This library contains Sir Reginald Wingate's papers who has played an important role in the history of the Sudan from 1884 to 1916.

Je profite de cette occasion
pour vous remercier d'avoir bien
voulue me faire donner des nouvelles
de la lettre que j'envoyais. au
Commandant de la Commission
française - Je suis très sûr que les
précieuses papiers et dont on a
parlé l'honorable le Capitaine.
Surtout, il ne saurait être
seulement de regrettable -

Je suis très inquiet du
retard de notre commission que
j'attendais à Fachoda du 25 au
28 - j'ai grand peur qu'elle ne
soit arrêtée par les barages de
grands rochers qui en étoient in-
formés déjà dans le Bahr el
Ghazal, entre le confluent du
Bahr el Arab et celui du Sobat -
Le souvenir du désastre de
l'expédition Gessi en 1890, ne
fait peur de beaucoup moins
depuis quelques jours - Les barages
sont toujours très dangereux -

A Photograph of the Original Manuscript :

Fachoda 2 octobre 1898 -

(23)

A Monsieur le Commandant
Jackson Bey - Fachoda -

J'ai bien reçu votre hono-
rable Monsieur le Kamakura,
et j'ai été heureux de savoir que
celui de vos officiers égyptiens qui
est malade, n'est pas en danger -

Je vous remercie, pour l'avenir,
l'offre de mettre à votre disposition
pour les cas graves, notre médecin -
Le Docteur Guily, médecin de la
Marine française est une spécialiste
des maladies coloniales et il est
l'auteur de plusieurs découvertes
importantes dans la pathologie
indigène aux Colonies - Je souhaite
très vivement, cela va sans dire, que
vous ne soyez jamais touché de son
infection, mais il sera toujours
à votre pleine disposition si par
malheur le cas se présentait -

AU UNPUBLISHED DOCUMENT
IN THE HISTORY OF THE ANGLO-FRENCH
COMPETITION FOR THE DOMINATION
IN UPPER NILE

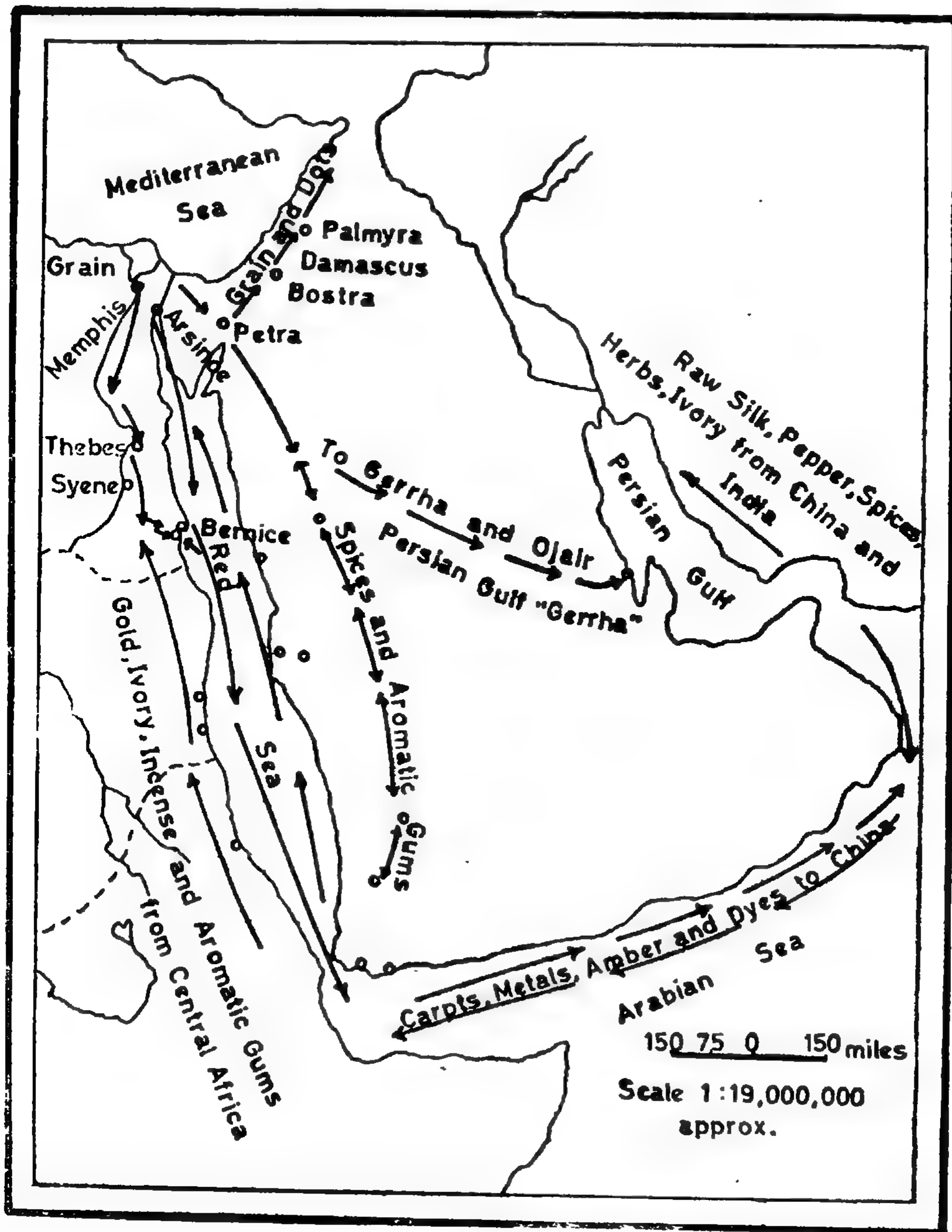
وثيقة غير منشورة عن تاريخ الصراع الانجليزى - الفرنسى
على السيادة فى اعالي النيل

هذه الوثيقة خطاب كتبه مارشان فى فاشودة للماجور جاكسون البريطانى فى اكتوبر ١٨٩٨ . (الاصل محفوظ بمكتبة المعهد) وتشير الوثيقة لعديد من الأحداث منها : أن قوات جاكسون فى فاشودة كانت كلها من المصريين ، وأن بعثة مارشان كانت تضم طبيبا متخصصا فى امراض المناطق الحارة التى كانت من أعقد مشكلات الأوربيين فى افريقيا . كما يلاحظ قلق مارشان على الامدادات التى كان ينتظرها اذ كان يخشى من أن تلقى مصر حملة جسي على بحر الغزال (١٨٨٠ - ١٨٨١) ، وهذه تبين محاولة كتشنر عرقلة وصول امدادات الفرنسيين الى فاشودة حتى يجعل اقامتهم هناك غير محتملة ، واخيرا تلقى الوثيقة اضاءا على العلاقات الانجليزية الفرنسية فى تلك الفترة وأهداف فرنسا من بعثتها هذه .

REFERENCE

1. DURANT, W., CAESAR and CHRIST, the story of civilization, part III, N.Y., 1944, P. 499.
2. JONES, A.H.M., The cities of eastern Roman provincess, OXFORD 1937, P. 359.
3. DURANT, The life of Greece, N.Y., 1939, P. 590.
4. ALI MOHAMED, FAHMY, Muslim sea power in the eastern Mediterranean, Cairo, 1966, P. 41.
5. SYKES, SIR PERCY, a history of exploration, London, 1949, P. 39.
6. This expedition enabled Ptolemy to enumerate the towns and villages of Arabia Felix with Rome accuracy.
7. D.G. HOGARTH, Arabia, Oxford, 1922, P.S.
8. This was a book by an unknown author giving commercial information. It was published about A.D. 60.
9. ABDEL AZIZ SALIM, TARIKH El Arab Fi El-Gahlya, Beirut, 1970, P. 116. (in Arabia).
10. DURANT, op. cit., P. 329 — see also Strabo, The Geography of Strabo Trans., Jones (A.L.), London, 1949.
11. SYKES, op. cit., P. 41.
12. EL YACKOBY, Tarikh El Yackoby, IRAQ (In Arabic).
13. ABDEL AZIZ SALIM, op. cit., P. 121.
14. RICHARD BELL, The Origin of Islam in its Christian Environment, London, 1926, P. 42 156
15. ABDEL AZIZ SALIM, op. cit., P. 144.
16. The same that columbus would seek in his journy
17. DURANT. op. cit., P. 329.

The Commercial Goods In The Red Sea During The Roman Empire



To Rome and the west, came from Arabia, incense, gum, aloes myrrh, laudanum, ginger, cinnamon and precious stones from Ethiopia and from east Africa ivory, apes, tortoise shell, rare marbles obsidian, spices and Negro slaves ; from central Africa, wild beasts for the area; from Parthia and Persia came rare essence ; from Egypt corn, papyrus linen, grass, jewellery, granite, basalt, alabaster and porphyry, from palmyra came textiles, perfumes drugs. (3) .

In addition to all this, manufactured or raw silk, came from China through Parthia or India, from India came pepper, spikenard and other spices (16) herbs, ivory, ebony, sandalwood, indigo, pearls, sardonyx, onyx, cosmetics textiles, tigers and elephants.

In return to the East, the Romans exported carpets, jewels, amber, metals dyes, drugs and glass. Chinese historians speak of an embassy coming by sea to the Emperor Huan-ti in 166 from the Emperor «An-Tun»—Marcus Antoninus (17) .

India imported also from via the Red Sea and the Egyptian ports a modest quantity of wines, metals.

Conclusion

The trade activities in the Red sea during the Roman Empire were so important in determining the political history of the area bordering the sea as well as the «raison d'être» of the struggle between the various conflicting powers in order to master Arabia Felix, the southern gate of the Red Sea.

Dr. Yousry El-Gowhry

The second Abyssinian expedition to Arabia Felix during the Roman time was in A.D. 525. Some Arabic references mentioned that the Romans asked the king of Abyssina for religious reasons to invade the Yemen but the real aim was a political and economic one. The Byzantine purpose was to preserve the monopoly and control of the trade route to the Indian ocean via the Red Sea and to extend accordingly its political power over the Arabs in order to back its policy against the Persians. At the same time the Abyssinians were eager to secure their trade against the Arab pirates. So both the Romans and Abyssinians had a serious political and economic interest beside the religious aim to capture Arabia Felix.

Some historians reported in their writings that the king of Abyssinia ordered the Abyssinian viceroy in Yemen Abraham or Abramios, to invade the Sassanid dynasty in Persia in A.D. 520 (14) and to extend his aid to the Romans. Abraham took the caravan routes which led to Syria via Meccā but his expedition failed and returned back to Yemen.

Tye Persians

After the death of Abraham's son, Santurces (15) governed the Yemen and treated her people badly. So one of the national leader of Yemen, namely Saif Ibn Zee Yazin went to the Byzantine Emperor and asked for help against the Abyssinians. The Emperor Justinian promised to aid his people in order to secure the Roman economic and political interest in the Red Sea and Yemen. In fact Justinian did not offer any aid to the people of Yemen so they turned for help to the oriental power (that of Persia) where Emperor Keisra Ano Shirwan (Cyrus) A.D. 531—A.D. 578) sent an expedition to liberated Arabia Felix from the Abyssinian influence. Consequently, the Persian's interest increased in the area after they mastered the Red Sea and the navigable trade route to India as well as the caravan route of Hijaz. Moreover they extended the area of their commercial influence along and accross the Red Sea by invading Egypt and Syria in A.D. 614.

Hence, the sphere of the Roman trade activities shrank in the Red Sea and in southwestern Asia and never extended again to the Yemen which fell under the Islamic influence.

The commercial goods

The vessels travelling through the Red Sea during the «Pax Romana» carried a multi-goods from all parts of the Roman world, from the Roman Empire itself and from outside the Empire.

India. He tried also to gain the friendship of Arabs. This point is reported in a book «Periplus Mares ERYTHRAEI (8) which pointed out that the Romans signed an agreement with the King of Saba who had a large area of land which extends on the Red Sea, Hadramout and the east coast of Africa (9).

Under Augustus the navigable canals of Egypt were cleaned out and military operations were conducted on both sides of the Red Sea to check raiding and piracy. Trade with India flourished and Strabo reported that 120 ships were engaged in it (10).

About the middle of the first century A.D., a sea captain named Hippalus discovered the voyages that could be made from the Red Sea to India out of sight of land, thanks to the steady Monsoon winds. As a result of this discovery trade with India increased to such extent that Pliny bewails huge sums spent upon eastern luxuries (11). Large quantities of Roman coins have been discovered in southern India whence came spices and pearls, while silk, perfumes and ivory also reached Rome via the Red Sea in considerable quantities.

The Abyssinians :

During the second Himyarite kingdom (A.B. 300-A.D. 525) the Abyssinians invaded and colonized for the first time Arabia Felix in A.D. 340. The period between A.D. 270 and A.D. 370 is not clear in the history of southern arabs. The history books, therefore did not report the first Abyssinian colonization. The only reference to this historical event came through some writings belonging to the ancient kingdom of UXOM. (12).

Some writers suggested that the economic aspect was the main reason behind the Abyssinian colonization which was a reaction (13) against the Himyarites who used to attack Abyssinian's trade in the Red Sea during the first century A.D. However, the factor was that the Abyssinians came to the Red Sea as a new commercial power at the time of the Roman Empire. At the same time the celebrated dam of Marib was demolished in 446 A.D. Some authors reported that the decline of the dam was due to the divergence of trade from Marib route to the navigable route of the Red Sea as well as to the commercial influence of the Romans in the area. So the Himyarites lost their source of wealth and neglected the «sadd» which consequently declined and was demolished.

The first Abyssinian colonization did not survive more than thirty years the people of Yeman were able to liberate their land between the years A.D. 370—A.D. 378.

The Nabateans gained wealth from commerce, so when the Ptolemies tried to monopolize the navigable trade and capture the commercial activities in the Red Sea by establishing many Post points and ports on its coast, and by improving their friendship with the Arabia Felix people, the Nabateans realized the danger of commercial newcomers in the Red Sea and tried to attack the Ptolemies interests in the area and sometimes they put their hand on their goods. Accordingly Ptolemy Philadelphus, King of Egypt, devoted himself to promote Egyptian commerce and built a great fleet of three tons burden to guard the Ptolemies trade. The result was that Egypt became secure against the Nabatean raids and ptolemy maintained his control over the northern section of the Red Sea as well as the Gulf of Aqaba (3).

However, under King Aretas IV, King of Saba (9 .B .C-A .D .40), the country reached its zenith, Petra became a Hellenistic city, Arabic in speech, Greek in art. After Trajan annexed Arabia Petraea into the Empire, Bostra became the capital of province of Arabia and raised in its turn the architectural symbols of wealth and power. Petra decayed as Bostra and Palmyra became the cross-roads of the desert caravans.

(C) *Arabia Felix* In the south west of Arabia Peninsula a mountain range and its streams gave milder temperature and fruitful vegetation to the Yemen of today. In this Area the Kingdom of Saba flourished, the Sheba of the Bible, so rich in frankincense, myrrh, cassia and cinnamon, aloes and nard, senna and gum and precious stones that the sabateans could build at Marib and elsewhere cities proud with temples. The arab merchants sold arab products at high prices and carried on caravan trade with northwestern Asia and an active commerce by sea with Egypt, Parthia and India.

During the reign of the first kingdom of Himyarite in Yeman (115 B.C.-A.D. 30) Augustus, the Roman Emperor sent in 25 B.C. the governor of Egypt, Aelius Gallus, to annex the Kingdom to the Empire in order to capture the trade routes which were monopolized by the kings of Saba (4) as well as to guard the commercial activities in the sea from the pirates. The Nabateans promised to aid the Romans' expedition... which started from Leuke Kome and then by land route through Hijaz and Marib, the capital of the Himyarite Kingdom (5). Hence it was not very far to the Incence land of Hadramout but the Roman general disillusioned as to the reputed wealth of Arabia Felix, marched back to the coast and left the Arabs to themselves (6).

However, the legions failed to take Marib and returned to Egypt decimated by disease and heat. (7) Augustus contented himself with destoring the Arabs of Adana «Aden» and thereby secured control of the trade between Egypt and

The Arabs were able to monopolize the trade within the Arabia Peninsula until the first century A.D. when the Greeks and Romans diverted the Indian trade routes towards the Red Sea and Egypt.

The conflicting powers :

The Red Sea was a meeting place and an overlapping area between the conflicting powers of the East and West during the «Pax Romana». The Roman authority represented the western power while the Eastern power centralized in Persia. Each of these powers tried to overbring Arabia and its people under its influence in order to capture, monopolize and restore the trade activities in the Red Sea.

The first and main power that of the Romans was centralized in the land of Pharaohs. They classed Egypt not as a province but as the property of the Emperor.

Internal trade was active but slow, land transport moved on animals. Much traffic went by inland waterways. A great canal, 150 feet wide was dug and completed in TRAJAN'S reign (1), it connected together both the Mediterranean Sea and the Indian Ocean through the Nile and the Red Sea, from whose ports at Arsinoe «Suez» (2), Myes Hormos and DERENICE ships left daily for Africa and India.

Across the Red Sea from Egypt lay Arabia Peninsula. Neither the pharaohs nor the Achaemenids nor the Ptolemies nor the Romans had been able to conquer the mysterious peninsula. The Greeks and Romans however divided Arabia in their writings into three main physical sectors which corresponded with the political divisions of Arabia during the first century A.D. These sectors were :

(A) *Arabia Deserta* which included most of the peninsula and knew only Arab nomads.

(B) *Arabia Petraea* or Arabia Petrix was situated in the northern fringe to the south west of the Syrian desert. Here the Nabatean arabs established a kingdom that slowly grew rich on passing caravans, until its rule extended from LAUKE KOME on the Red Sea along the eastern border of Palestine through GERASA and BOSTRA to DAMASCUS. During the first century A.D. Petra became the node of Arabia trade owing to its situation as a trading centre on the caravan routes between Mesopotamia and Yeman as well as between Syria, Palestine and Egypt.

THE TRADE ACTIVITIES IN THE RED SEA DURING THE ROMAN EMPIRE

النشاط التجارى فى البحر الاحمر خلال الامبراطورية الرومانية

يرمى البحث الى بيان اهمية البحر الاحمر كطريق ملاحى اثناء العصر الرومانى ، كما يركز على تحليل اثر النشاط التجارى على الدور الذى لعبه الرومان بصفة خاصة فى بلاد اليمن ، وجنوب غرب آسيا بصفة عامة .

وقد تعرض البحث فى بدايته الى لمحة تاريخية عن اهمية المنطقة كنقطة التقاء بين الشرق والغرب ، ثم تناول بعد ذلك القوى المتصارعة على استغلال البحر الاحمر وعلى بسط نفوذها على بلاد العرب . وقد تمثلت هذه القوى فى الرومان والاحباش والفرس .

وتعرضت فى المقال بعد ذلك لدراسة السلع الرئيسية التى تضمنها النشاط التجارى الرومانى ، وتوصلت فى النهاية الى ان النشاط التجارى فى البحر الاحمر لعب دورا هاما فى تقرير التاريخ السياسى للمنطقة المتاخمة للبحر الاحمر اثناء العصر الرومانى ، كما كان محورا للصراع بين القوى الراغبة فى السيطرة على بلاد اليمن - البوابة الجنوبية للبحر الاحمر -

The aim of this paper is to show the importance of the Red Sea as a navigable highway during the «Pax Romana» as well as to focus and interpret the effect of sea commercial activities on the role which was played by the Romans in south western Asia especially in Arabia Felix.

Historical background :

Prior to the Roman time Arabia Peninsula was mainly the arterial commercial route between the Monsoon land in the East and the Mediterranean area in the west. The Red Sea was also the transit navigable trade way between the tropical area in East Africa and the coast of the Mediterranean sea.

The Port of «GERRHA», which was situated near the recent site of «el Akir» or «Ojair», on the Arabian Gulf, was the gateway of the Monsoon land's goods, wick were sent via the caravan route through Hufuf and Najran to Marib. Adena «Aden» was the reception Port of African goods which were transported by sea to the countries of the Mediterranean Sea.

CONTENTS

	Page
1. Dr. YOUSRY EL GOWHARY : The Trade Activities in the Red Sea During the Roman Empire.	1
2. Dr. SHAWKY EL GAMAL : An Unpublished document in the History of the Anglo-French Competition for the domination in Upper Nile.	9
3. Dr. HOREYA T. MEGAHAD : The Empire of Western Sudan (A political Analysis).	23
4. Dr. SOAD SHAABAN : Bedscha-Hadandowa In Sudan (Anthropological research).	43
In Arabic :	
5. Prof. Dr. M. EL-SAYED GHALAB : The African Studies.	1
6. Prof. Dr. HASSAN OSMAN : Africa in Dantés Inferno	9
7. Dr. SAAD ZAGHLOL ABD RABOË : The Portuguese Imperialism In Angola (Period of Conquest 1482—1836).	47
8. Dr. SAEED IBRAHIM EL BADAWY : The Nuba -An Anthro-po-geographic study	71
9. Dr. SAMIR IBRAHIM GHABOOUR : Birds as agricultural pests in Africa	101
10. Dr. FAWZY MIKAWI : The Trade Activity in Meroe Kingdom.	125

OUR BULLETIN

This is the first issue of this scientific bulletin published by the Institute of African Studies—Cairo University.

The goal of this bulletin as apparent from the essays published here is purely academic. It is to publish recent researches either done by the specialized staff of the institute or by others. These researches deal with the different aspects of the continent of Africa.

Our Institute views this bulletin as a complement to its scientific mission, because—as a specialized institute, it aims foremost to encourage studies dealing with our continent and also to publish all new research and findings about it. Its aim is also to exchange this knowledge with other Institutes and Universities or other scientific bodies either in African Countries or anywhere else all over the world.

As we welcome this exchange of knowledge which serves our combined efforts, we hope that these studies about the African Continent, its inhabitants their activities, their civilization and their contributions towards the progress of mankind may always develop and grow.

Our Bulletin will be issued annually in June, but we hope that in the near future two issues will appear each year.

Editor

Editor ; Prof. Dr. M. EL SAYED GHALLAB

Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to :

**Dr. SHAWKY EL GAMAL
33 Misaha Street. Dokki, Cairo, Egypt.**

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 1

1972

Issued by the Institute of Research and African Studies Cairo University

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. I

1972

Issued by the Institute of Research and African-Studies Cairo University